محمد عمر توفيق





جامعة أم القرى - مكة المكرمة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

توفيق، محمد عمر
الرسائل. / محمد عمر توفيق ـ جدة، ١٤٢٤هـ
٢٦٢ ص ؛ ٢٤سم

ردمك: ٨ - ٠٨١ - ٤٤ - ٩٩٦٠

١ - الرسائل العربية أ. العنوان
ديوي ٨١٦,٠٠٩ ٥٩٥٨ / ١٤٢٤

رقم الايداع: ٥٩٥٨ / ١٤٢٤
ردمك: ٨ - ٠٨١ - ٤٤ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

الغلاف: الفنان عبادة الزهيري





الرسـائل

محمد عمر توفيق

مقدمــــة

ذهب الشاعر طاهر أبو فاشا في يفاعته إلى الأهرام وأبي الهول بالقاهرة كي يشاهد الآثار، لكنه عندما وصل إلى «أبو الهول» لم يستطع التركيز على التمثال الأصم والأنف المكسور بالمدافع الفرنسية، وذلك لأن سائحة أمريكية حسناء كانت تتفرج هناك أيضاً فتحفّزت شاعرية أبو فاشا، وقال هاشاً باشاً:

يكاد أبو الهول لولا الجلال
يعـريد مما رأى حـوله
وكم سبُعَ قُدَّ من صخـرة
يحب الجمال ويصبو له
وأوهــمهـا أنه كالجــماد
لتأمنـه فتُطيل الوقوف
ولولا مخافته أن تخـاف
لقـام يدق لهـا الدفوف

إن الكمبيوتر وأحدث صيحاته أو تقنياته لا يستطيع أن يجنح في آفاق الخيال فيبدع لنا صوراً تنتزع الإعجاب والانبهار، أو الضحك، أو البكاء، أو البهجة. لكن الأدب الرفيع يستطيع ذلك، إنه يُدهش، ويكشف، ويُكشكِش.

فهذا كتاب أدب حجازي رفيع بديع في فن التراسل يبتكر فنوناً في التعبير ويحلق إلى ما تظنه فلسفة وما هو بفلسفة.. ولكنه أدب صاغه فكر راق مؤسس على ثقافة عريضة وعميقة، فمثلاً يذكر حمزة شحاتة متاعب العزوبية.. ويصف نفسه بأنه يغسل ثيابه فيقول:

لقدأصبحت «غسالة ذكراً» على وزن ما يقوله العرب «حيّة ذكرا»..

فأنت تضحك من هذا الذكر الذي تأرجح بين «الغسالة» في الواقع وبين «الحيَّة» في الخيـــال.

لكن هذا الضحك لا يلبث أن يتحول إلى حزن عندما تراجع ما قال العرب في الحيَّة الذكر..

فهذا الشاعر العربي عبيد بن الأبرص يقول:

فإن رأيت بوادٍ حـيَّة ذكـــــراً

فامض ودَعني أمارس حية الوادي

لا ألفينّك بعد الموت تندبني

وفي حـيـاتـي ما زودتـنـي زادي

وتذكر أن الشاعر السعودي الكبير حمزة شحاتة قد عضَّه الفقر بنابه، ومع الفقر غربة في مصر بعيداً عن وطنه.. وجاء ضعف البصر، ثم العمى ليزيد الطين بلة، فأصبح يعيش في الظلام.. ويبدع الرسائل الأدبية الرائعة كهذه التي كانت بينه وبين الاستاذ/ محمد عمر توفيق، وكرسائله إلى ابنته شيرين ـ رحمهم الله جميعاً ـ .

عندما تذكر هذا كله تتساءل هل كان «حيَّة ذكراً».. أم أنه كان يشكو دهره الخؤون.

ولك أن تعجب من انتقالنا من ضرب الدفوف للحسناء الأمريكية إلى البكاء على الأطلال والسوداوية التي تطل أحياناً في ثنايا الرسائل.. فهذا هو الأدب البديع الجميل.

ولربما استغرب قارئ هذه الرسائل من هجوم الأديب حمزة شحاتة على عزيز ضياء، فإذا علم القارئ أن عزيزاً متزوج من أخت حمزة شحاتة رفّت البسمة على شفتيه.. وتذكر قولنا في الأمثال العامية:

«ضرب الحبيب مثل أكل الزبيب».

وفي الكتاب إشارة عابرة إلى الوضع الأمني الراسخ في المملكة العربية السعودية.. فها هو حمزة شحاتة يتوسل إلى أصدقائه بحمل إرساليته إلى المملكة العربية السعودية وكلهم يرفضون، فيضطر للانتظار حتى حان سفر زوجته التي لا تملك الرفض.. وما هي الإرسالية ؟! إنها حقيبة فارغة!!

حقيبة فارغة !!

هل أنا مجنون حتى أحمل حقيبة فارغة من القاهرة إلى جدة ؟ وماذا سيقول رجال الجمارك ؟ لابد أن وراء الأكمة ما وراءها !! كان ذلك قبل نصف قرن، الآن أصبحت الانترنت تحمل حقائب مفخخة !

واذا كان أبو شيرين - غفر الله له - مصاباً بالبواسير إضافة إلى ضيق ذات اليد ثم العمى، فلك أن تبتسم عندما يقول في إحدى رسائله:

«إن لعصعصك عليك حقاً».

ولكنك حتماً ستضحك، وتضحك كثيراً حين تعلم أنه كان ضحية لبرغوث ينهش منه ثم يسخر من نفسه قائلاً:

«والمشكلة أنه برغوث ذكر».

ولقد كان يعيش وهو الكفيف على الكفاف وعنده أربع بنات دون أن يخلف ذكراً، وهنا يجيء للذكورة معنى أرسخ حين يصف الحيَّة والبرغوث بأنهما ذكران.

ولقد كان لزاما أن نذكر أن هذا الشاعر كان يعيش أوضاعاً خاصة «لا سى سى سيما» حسب تعبيره، إنه كان يواجه دهرا خؤونا يذكره بقول الشاعر:

لست عندي بزمان ... إنما أنت زمـــانه

فالاغتراب الذي كان يؤرقه، إنما كان هروباً من الملل الذي يتوسد الانسان متى ما كان من غير عمل، ولذا كان يتطلع لفرصة عمل كي يعود لوطنه إذ يقول:

«إن أمر عودتي إلى الحجاز وقف على ما يمكن أن يتهيأ لي من عمل فيه».

أما لماذا بقي في مصر حتى وإن كان بلا عمل ؟ فلأن «مصر» بلاد لا يخشى السأم فيها الشاب إلى أن يشيخ، ولا الشيخ إلى أن يفنى، ولا الفاني ـ إن كان يحس ـ إلى أن يبعث.. لا لأن الصور فيها تفوق العدد والحصر.. ولكن لأن لكل صورة فيها نسلاً ولوداً لا يكفي لاستيعابه العمر المحدود.. وحسبك ببلاد يتغير كل ما فيها عندما يأتي المساء، تغييرات تختلف نسب الذكورة فيها وصورها ونغماتها، وإشاراتها، وحركاتها، حتى يلوح الفجر.. فإذا لاح.. كانت الذكورة التي تدعو إلى نفسها برجولة تتدفق.. وتلين.. وتميع، حتى ما يقوم الفارق بين الجنسين إلا الثياب.. أو بغلظ الرنة في الصوت.. أو بالشعر في الوجه.. وقلما تراه، وهذه صورة من صور النسل الولود.. هي واحدة من ملايين».

وفي موضع آخر يقول:

«والضحك في غير مصر ضحك يعبر عن مسرة القلب الطافحة.. ولكنه في مصر فلسفة تسخر بالحياة.. والواقع.. والعمل».

هذه الصورة عن مصر فيماتضمنته رسائله لصديقه محمد عمر توفيق تكفي لتبيان ما أبقاه فيها وقد سدت أمامه السبل إلى عمل في وطنه.. فابيضّت عيناه من الحزن ومات وهو كظيم.

والواقع أن ماتضمنته رسائل الأستاذ/ حمزة شحاتة من صور يجسد بحق القدرة الرائعة على دقة التعبير، وجمال التصوير في بلاغة متناهية وسلاسة كأنها الماء النمير منحدراً من علٍ. ولو أردت أن أستقصي بعض ما لذلك من أمثلة لما وسعني هذا الكتاب كله، ولذلك آثرت أن أترك متعة الاستمتاع بكل ذلك للقارىء حتى يتلذذ بما في الرسائل من صور مبدعة، وأفكار خلاقة ليس فقط فيما تضمنته رسائل شحاتة ـ يرحمه الله ـ وإنما أيضاً فيما أبدعه قلم الأستاذ/ محمد عمر توفيق من رسائل لصديقه حمزة ولغيره من الأساتذة الذين احتوى هذا الكتاب بعض رسائلهم، وفي المقدمة منهم الأستاذ/ عزيز ضياء، وأحمد قنديل، وعبد العزيز الرفاعي، وعبد الله عريف، وآخرون ممن تبادل الأستاذ/ محمد عمر التراسل معهم ليخلفوا لنا هذا الكم الهائل من

المشاعر التي كانت تفيض بها أقلامهم معبرة عما في نفوسهم من أحاسيس وما في أفكارهم من رؤى مستنيرة. حسبك منها أنها صادرة من نفس نقية ملؤها الحب الذي بتنا نفتقده اليوم بين الناس بمن فيهم ذوو القربى برابطة النسب، أو علاقة القلم الذي كان الأداة للتواصل بين روادنا حتى مع من باعد بينهم المكان وشاهدي على ذلك ما استفتح به الأستاذ/ محمد عمر رسالة منه لصديقه حمزة بقوله:

«كيف أنت يا صديقي بعد كل هذا الصمت الطويل..؟ ويعلم الله أنني كنت المقصر.. ولكنني لم أكن معك في حالة صمت قط.

يندر أن لا أذكرك في نفسي.. ومع الآخرين، وأتمنى أن أكتب لك دائما».

أين هذه المشاعر اليوم رغم كل ما وفرته لنا التكنولوجيا من وسائل الاتصال التي هي أسرع من البرق؟

ويبقى من نافلة القول أن نذكر أن حمزة شحاتة مثقف كبير.. فالرجل رب القلم نثراً ورب القلم شعراً، وهو طيلة حياته طالب علم في اللغة العربية.. وقد يمر بك في ثنايا الكتاب إن قرأته بتمعن أن أحد محبيه اقترح عليه أن يكون مراقباً لغوياً في الإذاعة السعودية، أي أنه في علم أبي تراب الظاهري، الا أن حديثه أقرب إلى الفهم الظاهر من كلام الاستاذ أبى تراب.

فالكتاب يضم المتعة الفكرية والأدبية ولكنه أيضا يشتمل على الثقافة العميقة، فلا يخلو قارئه من فائدة كلما قرأ احدى صفحاته.. وهو مع ذلك رطب ندي شجي يكاد القارئ يشعر بنداوته في فمه.. لحلاوة أسلوبه وطلاوة رونقه.

انني لا أملك الا أن أشكر اخواني أنجال معلمي وأستاذي/ محمد عمر توفيق الذين جهدوا كثيراً في الوفاء لوالدهم - رحمه الله - بأن جمعوا النظير الى النظير مما خطه المرحوم وأصدروا عدة مؤلفات بالتعاون مع جامعة أم القرى هذا آخرها، وقد ختموها برسالة كتبها ابنه الدكتور فارس الذي جعل ختامها هذه السطور:

«هذا الكتاب.. آخر إنتاج مكتوب لك اجتهدت أنا في إخراجه بتردد المقصر، لولا أنني أتشرف بأن أقدمه أمنية من أمانيك وأتشوق أن أرسله عملاً متصلاً لك في الدنيا لعلي أضع به قبلة وفاء واحدة على أياديك الكثيرة في حياتي..

لا أختم قولي بأفضل من شهادة أعلنها لمن لم يعرفك: إن فيك أكثر من خصلة من خصال الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله والتي منها النشأة في طاعة الله وقول الحق.. فلا نامت أعين الجبناء.. وما أكثرهم.

ولقد تركت فراغاً في غير مكان.. هيهات هيهات أن يجرؤ على ملء مثله إلا مؤمن قوي..

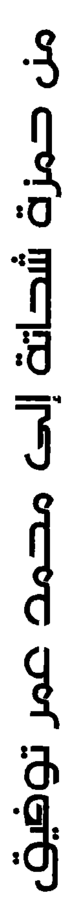
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

اللهم اجعلني فاروقاً في الحق وأرزقني الفوز بعفوك ونقاء الفؤاد، أسألك الفضل في التوفيق في الدارين واللقاء بيننا في الفردوس، وهب لنا ذرية فائزة بحسن ذكرك وعبادتك واجعلنا وإياهم فرساناً يتسابقون في سبيلك الى الربيع الدائم في جنة الخلد.

اللهم رحماك للوالد وما ولد.. اللهم آمين».

وأنا معهم أقول: لقد أوحشتنا كثيراً يا أبا فاروق جمعنا الله وإياك على الحوض المورود مع الذين أنعم الله عليهم، ممن سبقت لهم الحسنى.

عبد الله عمر خياط

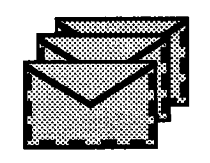






حمزة شحاتة

أحلام الخالدين



أحلام الخالدين

أخي محمد عمر

إن كل ما جاء برسالتك الأولى في التزام فكرة العودة العاجلة إلى الحجاز - حق لا غبار عليه.. وأنا إذا كنت - كما قدَّرت - أعرف ما أوردت من الحقائق في هذه الرسالة، معرفة العليم، فإني - وهذا اعتراف لا معدى عنه - أجهلها جهل العاجز عن العمل بمقتضاها.. فهذا الجهل معرفة ولكنها تُضحك وتُغيظ، لأنها لا تُفيد ولا تُنهض.

والعودة إلى الحجاز ضرورة، سواء تحقق بها أمل من هذه الآمال العريضة، أم انتعش وهم، أو زاد بها المصير سوءاً على سوئه. هي حركة لا بد منها.. كالحركة ممن تغلبه بطنه..

وما تقوله من فرص النجح والتزيد خليق بأن يحفِّز القادر على الوثب والقفز والمبادرة، إلى الاستجابة.. أما أنا فلست أرى في أي نجح يتهيأ لي الآن غير تكملة للمعنى الساخر الذي ركبتني به الحياة حتى استنزفت نشاطي.. وما خير أن تظفر بالطعام بعد تحقق عجزك عن هضمه، أو بعد انقضاء اشتهائه ؟ إنه وصال الهاجرة على الارتخاء، تزداد به النفس ازدراء للحياة..

قل إنه فساد الطبيعة وتخثرها وانحلال قوامها وتماسكها.. وهذا إن كان مرضاً فهو المرض الملازم على اليأس من شفائه.. وإن كان مجرد شعور فالحقيقة ليست أكثر من شعورنا بها في الواقع والخيال.

وقد سرني سروراً عميقاً أن تكون قد استخرجت من واقع الخيال، أو من حاصل الدنيا، هذا الوهم الذي ترضى به عن دوام الحركة في الدولاب

الدائر.. فالحق أن الحياة هي هذه لا أكثر.. وما دام كل شيء الى زوال فما جدوى التأثر والغلظة في علاج الأمور.. إن القانون الطبيعي هو استمرار التسيّر على نحو لا يكدّ الأعصاب ويثقلها بأعباء الانفعال والتوتر.. ولكن الفكر.. هذه العجوز الشمطاء التي ماتكفّ عن الثرثرة واللوم والثورة والتسخط - كيف تموت وتنطوي. أو تنقطع بها العلاقة الآثمة ؟.. انه المشكل ولا شيء غير هذا..

إن حديثك عن المركاز وأحلامه (الخالدين) فتح لي نافذة من الخيال على تلك الحياة التي كان كل شيء فيها (له) ذلك الطابع الخيالي الذي يطبع الأشياء والاشخاص بطابع التغلب على الحياة من طريق إهدار التزاماتها، وما أعرف هرباً يحقق غاية الانتصار إلا ذلك الهرب. هربنا من واقع ضيق المسالك، إلى واقع مصنوع بقوة الوهم والخيال والتصور.. وإنها لقدرة يفوتني منها اليوم أنني أعجز الناس عن توليد وهم تعود به الحياة خفيفة المحمل عليَّ..

أمازلتم تتجادلون.. وتتفلسفون.. وتتنقدون.. وتضربون في مجاهل الفكر ومعالمه مضرب أرسطو وأفلاطون.. أم غدا الحديث أرقاماً.. ومذكرات.. وإحصاءات؟ والشجرة؟ ألم تعرفوا المجرم الذي اعتدى عليها؟ لقد كانت بالنسبة إلينا نقطة تحديد.. ولقد كانت صديقة.. ومستودعا.. وشريك خيال.. أو هي بالنسبة لزيدان - دوننا - شريكة حياة طيبة يفضي اليها افضاءة يرخص بها شيئاً من أذاه.. أو يميطه.. كما كان يفعل رجل من خير أنساب العرب في سنة كذا من التاريخ مع امرأة من بني أنف الناقة مثلاً.. أفمازالت لزيدان هذه العقدة التاريخية أم تغير بها (جدّ) الديوان.. وسمته.. ومتاعبه.. لا فائدة.. وعريف! أأتاحت له البلدة من وصلها حراماً.. أو حلالاً ما يجعله يفكرك بأن مجتمعاً عصرياً قد بدأ يتكامل في هذه البلاد السعودية، بدليل كمثل الشعور بالحاح الحاجة إلى بروز صحف يومية تسند النهضة وتعمق مجراها ؟

وبعد فما أخشى شيئاً، كما أخشى أن تكونوا فقدتم ذلك الطابع الخيالي.. الذي كان مشوار الحياة البهيج في أوسع مدى لحرية الفكر والنفس، فأنتم رمز

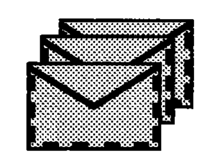
القوة في المحيط الناعس.. أفتراني على حق ؟..

ما أشوقني الى الحجاز.. وإليكم.. وإليك أنت لنتلاحم فتعود بك صحبتي قليلاً.. أو تقودني الى الأمام وهيهات !..

دمت يا صديقي وعشت سعيداً..

أخوك

حمزة شحاتة



أغـــاني التقـــديـــر

أخي محمد عمر

هذا خطاب رصين العبارة غلب الوقار على كل كلمة فيه فكادت أن تكون رجلاً يحمل في إحدى يديه عكازاً وفي الأخرى سبحة.. ويقطر الخير وآثار الصلاح من محياه المتطلق صفاءً. ولو كانت على هذا الخطاب دلالة من التاريخ أرده بها إلى زمن صدوره، لكان في وسعي أن أحدد أو أعين مؤثراتك النفسية التي وجهت أسلوبه ومقاصده.. ولعل ميسم الوقار فيه، أثر من آثار الصوم في النفس، أو أثر من آثاره في الجسد منتقلاً إلى الفكر.

قد انتهى - والحمد لله - أمر المائة، جداً ومزاحاً.. ولم يبق إلاّ أن تحسن التسرية عمن أزعجتهم بالمشاركة في مصابها شعوراً به، واشتغالاً بملابساته، وسيبقى بعد ذلك في كل نفس ما قرَّ فيها من الفهم الخاص والتفسير الخاص.. وهذا شر لا يُهَوِّنه أعتيادي الطويل له وارتياضي به وأنه حظي الذي لا مفر منه بل يهونه ضعف الذاكرة ووهنها عن ان يحيا فيها المؤثر مهما كان عنفه أكثر من يوم وليلة.

وسترى أن أسلوب الوقار في خطابك قد أعداني، وأن أثر عدواه لن يكون إلا جدّاً لو تكلفت غيره، لما انتهى بي الأمر إلا إليك، ولا يسرني أن افتقد دلالة من دلائل مرحك الذي يخرج بي من محبس انقباضي. فالجدُّ ممن اعتاد معك غيره، نذير الغضب أو التغيير وكلاهما انقلاب، أو هوَ دلالة كبت النزوع الطبيعي في النفس، وإيثار نقيضه عليه وهذا تكلف.

أماعزيز، وقناعه الكثيف، فدليل على أنه نضج في دلهي نضوجاً لم تحصل له به الفائدة إلا بعد فراقها.. ولكن للأمر جانباً آخر وهو أن حكمة الصمت تتعين بعد استنفاد وجوه الكلام وأغراضه.

ان الذي أردت أن أعرفه يا صديقي عن عزيز أنه وجد مجالاً طيباً لتحقيق

رغباته، وتقديراً صحيحاً لمواهبه وكفاءته وقدرته على الاضطلاع ـ اضطلاعاً بارزاً ـ بأكبر الأعمال وأدقها.. وهذا كلام أطلت فيه على مسمع الشيخ ابراهيم في مناسبتين كان فيهما هو البادىء..

وأشكر لك أنك طويت عني ما استفاض به الحديث منذ عدت أنت إلى الحجاز، فلا يزال الكلام سبباً من أسباب إثارة انفعال النفس، وإلا ففيم كان الحرص عليه استماعاً ورواية ؟ ولا سيما في ما يشبه هذا الباب من أبواب الحوادث والوقائع. لقد كنت أبعد مني نظراً يا صديقي..

وفي ليلة دخول رمضان جاءت الأخت زائرة تفيض مرحاً وسعادة، وتوكيداً لهما بالادعاء العريض.. وقالت انها منذ انتفاء أسباب المشكلة نعمت بالحياة.. وفاضت ـ والله ـ نفسي فرحاً بأن الله فتح لها من أبواب السعادة والفرح والرضى والراحة، ما لم يكن في الامكان تأتّي بعضه لها في الماضي القريب.

إن أمر عودتي إلى الحجاز وقف على ما يمكن أن يتهيأ لي من عمل فيه فاذا عدت وتركت الأخ بمصر.. وجب أن أؤدي عملاً غير التجارة.. فهب أن الوظائف تنتظر مقدمي.. فهل أنال أكثر من ١,٠٠٠ ريال فاذا سألتك أن تنظم لي حياتي في نطاقها فماذا يسعك أن تقول؟ البيت، والسيارة، والقراج، والخادم والخادمة، والتصييف وخمسة العيال.

دعني أتحدث اليك بطريقة أوروبية.. أيها السيد: لكي تعرف أهميتك في بلد ما. ابتعد عنه قليلاً.. وانظر من بعيد.. إنك ستجد في الغالب ان كل شيء يسير في اتجاهه.

هبني عدت فما الذي سيحدث؟ وظيفة بألف ريال؟ أهناك شيء غير هذا؟ التجارة؟ فهمت. ولكن رأس مالي كله لم يعد صالحاً للتداول. انه عملة باطلة.. لم يعد لها رصيد ضمان.. أفلا يتحتّم أن أبدأ من جديد فأتعلم كيف أعيش.. إني يا صديقي لم أعرف كيف أعيش في مجلس الشيخ ابراهيم.. الرجل الذي أبدى من التلطف لي والاهتمام بي ما كاد يفقدني عقلي.. لقد غدوت كالمرأة التي عاشت وراء سترها حتى بلغت الكهولة.. فإذا دفعها الضنك لالتماس المعاش وجب أولاً أن تتعلم كيف تصطاد رجلاً أو كيف تحمله على أن

يصطادها. إني أسمع أغاني التقدير لكفاءتي ولأخلاقي ولقوتي من أصحاب السمو ومن أصحاب السعادة، أعواماً طويلة ممتدة: ولكن أهناك شيء محدد؟ كلا.. فاذا نظرت لأعرف أهميتي، وجدت كل شيء يسير في اتجاهه.. حتى أنا.. أسير في اتجاهي.. وأتمتع بالاستماع إلى أغاني التقدير وطقاطيقه! صحَّ عزمي على الانتقال ورأيت أن أضع عيالي في مدرسة داخلية.. وسألت عما ينبغي أن أدفع فاذا به ٤ × ٥٠٠ = ٢,٠٠٠ جنيه سنوياً - والسنة ٩ شهور فهل تحسن أن تحسب معي هذه العملية البسيطة ؟؟

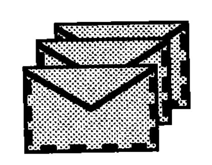
ومع هذا فالعودة أكثر من ضرورة وستتم على نحو ما كرهت أم رضيت.. إنك عميق الصلة بالشيخ ابراهيم فلماذا لا تسمع منه شيئاً محدداً ؟ وعميق الصلة بسمو الأمير عبد الله وهو يعرفني فلماذا لا تعرف منه شيئاً معيناً - شيئاً يحملني على المبادرة بالحركة أو تقريرها ؟ إنها مأساة هاردي: «من يحفر عند قبري»..

علمت أن أحمد فتحي عُيِّنٌ أو سيعيَّن سكرتيراً عاماً لوزارة الداخلية في عهدها الجديد، فهل هذا صحيح؟.. وسألتك في خطابي الماضي عن مصيرك أنت وهل ستندفع في هذه الحركة أم تظل حيث أنت؟ إنها أسئلة تنتظر كلاماً.. كلاماً يراد به حركة يدفع بها السكون، أو يتم التنفيس فهل تضع لها على وجهك الستار الكثيف ؟

لقد أطلت. فإلى اللقاء وحفظك الله.

أخوك

حمزة شحاتة



صنوف الناس

أخي محمد عمر

كان الله لي ولك. إننا نحمل على الحياة، ونوجه إليها اللوم والزراية ونراها مليئة بأسباب الشقاء والتنغيص، وكل هذا ليس فيها، إنما يجيء من داخل نفوسنا.. تصنعه مشاعرنا وأحاسيسنا المرهفة أو المنحرفة أو المريضة أو الشاذة، فتصنع به هذا المضض الذي نغصّ به ونضوى.

لقد كنت خليقاً بأن أقول كلاماً ضد هذا تستقيم به الحجة، ويؤيده الواقع المطرد، ولكنني قلت إذا لم يكن الأمر هو هذا فما بال غيرنا من الناس ينطلقون في سبل الحياة أو في سبيلها الواحدة، يأخذون ويعطون فيربحون ويخسرون..

فاذا نظرت إلى عيونهم لم تر فيها معنى من معاني الاختناق أو الانكار أو القلق أو عدم الرضا ؟ أهي البلادة التي لا تتألم لأنها لا تحس، ولا تفجع لأنها لم تحرز ؟ كلا.. انما هي دلالة الصحة وأثر العافية، وتوفر القدرة الطبيعية على الهضم والتمثيل، وإنما نقيضتها فينا الضعف والمرض الذي يستحيل به كل سبب من أسباب الرضا والبهجة إلى سبب من أسباب الضجر والانقباض.

والناس يا صديقي ثلاثة صنوف: صنف يرتبط بالماضي.. وصنف يتطلع إلى المستقبل، وصنف يأخذ بخاصرة الواقع أو يأخذ الواقع بخاصرته.. فالأول يهيم بفائت.. والثاني يتعلق بغيب محجوب.. وكلاهما يغمض عينيه ويستحضر الصورة التي يهواها في اللحظة التي يريدها على الحال التي تلذّه، فاذا هو في عالم طري من صنع يده يستوي على ما تريد منه ويقدر.. فاذا فتح عينيه تفكك وتناثر واحتل محله عالم بغيض لا تستطيع اليد أن تصنع فيه شيئاً مما تصنع في ظلمتها الخاصة.. فاذا بالتنافر أوالتباين بين العالمين يفيض ببواعث التنغيص والاصطدام والأسى. ولن تستطيع أن تقول له إن الحياة التي يسعد

بها الناس هي التي تشقى بها أنت، وما يسيغون فيها هو ما تعاف منها فانه يعرف أن هناك عالماً يستوي فيه كل شيء على ما يريد ولكنه لا يفتح أبوابه للوالجين إلا في كل أربع وعشرين ساعة مرة ! وهذا كل ما في الأمر.. فمن يقول أنه يهيم بباطل أو بما تعجز الحياة عن تحقيقه ؟..

فاذا أقبلتُ عليك أسألك، أو أقبلتَ عليَّ تسألني: من أي الصنوف الثلاثة نحن؟ قلت أننا من الصنف الرابع الذي يعيش ذووه نصفاً في الماضي ونصفاً في المستقبل كما تعيش «البرمائيات» بين الماء واليبس.. فاذا كنا أوفى إحساساً وانقباضاً، فلأننا أبعد نظراً، وأوفر علماً وأوسع رقعة أو أملاً أو خيالاً.. انها مشكلة الارتباط بين الأحزان والفجيعة..

هذا الكلام - إن كان كلاماً - هو من وحي رسالتك (١٥ رمضان ١٣٧٠هـ) التي كان فيها شيء يتأجج.. أو هو الشيء الذي يصور معنى النضوج على النار الهادئة.. هذه النار التي تسوى عليها آمالنا ومطالبنا طويلاً لتنقلب شيئاً يصلح لأن يكون غذاء تقوم به البنية لا شيئاً يمتلىء به الفراغ الرغيب وحسب.

أكان في نفسك من قبل أن يتم انقلاب كهذا في وضع البناية الثابت ثبات الأبد؟ انه الواقع يأخذ بخاصرتك فمل إليه بكل ثقتك ولا تنتقل بفكرك إلى ضباب المستقبل. وسيأخذ الله بيدك - إذا شاء - في طرفة عين فاذا أنت على ما تريد.

سافر الشيخ محمود أبار ولم أره. وكان آخر اجتماع لنا ليلة عرس ابنه وظللت كل المدة بالبيت أدفع، بتفادى الحركة، التهاب قدمي في بوادره.. والحمد لله فقد كان لهذا الهدوء أثره في تأجيل المرض أو دفعه إن شاء الله.

أرجو التلطف بابلاغه سلامي واعتذاري.

لقد كنت أود أن يكون عندك شيء عن هذا الخلاف بين شاكر وباخشب وعن أحوال الشركة.. فأنا كما تعلم أضع بيضي كله في سلتها، وما أحب أن يدور العراك فيفضي إلى نتائج لا تحمد مغبتها على المساهمين وأنا من سوادهم.

أني أرى أن الشيخ ابراهيم يحاول بذكائه وفطنته النافذين محو شعوري بوجود عقبة في سبيلي. ولا أكتمك أن هذه العقبة مجرد فرض حسابي من وضعي وارتجالي يعينني.. التظاهر بالايمان بوجودها على اكتشاف الميول وتفسيرها.. وهي في ذات الوقت مبرر فلسفي من المبررات التي أفسر بها هزيمتي المؤبدة تفسيراً يرى فيه الآخرون تعويضاً خفياً عن مرارة الفشل.. والمسألة ـ مني ـ لا تعدو التماس الستر أو تحريك الالتفات إليه كما في قصة لعلك فأخذت؟ وإلا فبماذا تُفسِّر الرغبات الطيبة على تأتي الامكان لتحقيقها كل هذه الأعوام المتلاحقة من ذوي الصلاحية؟

هو نوع من أنواع النشاط الرياضي، ميدانه بواطن الفكر، تفسر به بعض العلاقات الطيبة بين نمطين من الناس تابع ومتبوع.

مات بن فوزان كما قد علمت الآن وآلمني أن يموت. لقد كان رحمه الله من هؤلاء الرجال الطبيعيين الذين لا يصرفهم النجاح والارتفاع عن تقدير آدميتهم بميزانها الصحيح. وكنت أرى أن هذا هو دليل أصالته وأن في فكره حياة..

أفلا ترى كيف تكون خاتمة المطاف بهذه الكلمة الخافتة الجرس: مات؟ رحمه الله فقد كان ذا بصيرة بالحياة على النحو الذي نفهمه، وكان حريصاً على أن يحيا.. تقبل تحياتي.. والى اللقاء يا صديقي

أخوك

حمزة شحاتة

من أراد أن تطول لحيته..؟

أخي محمد عمر

عرفت أنك لم تكن مازحاً عندما فرغت من قراءة خطابك الأخير.. الذي كانت كلماته ترتعد وتتصبب عرقاً. أهذا هو انفعال أصحاب الفكر؟ إنك لم تنتفع ببديل كارنيجي على ما يظهر.. لماذا لم يسعك أن تدع القلق وتبدأ الحياة ؟ الآن مائة جنيه مصري كانت على كف عفريت ؟ ألم يكن في وسعك أن تفرض للمشكلة أسوأ الفروض فتنام قرير العين عنها وعن كل المشتركين فيها ؟ ..

وإذا كان لابد من الكلام في الموضوع فان القصة.. قصة المائة جنيه بدأت في الصيف الماضي.. كان هناك شيء يثير أعصابك إلى حد الهياج.. وهذا الشيء لا يزيد عن حرف من حروف الهجاء.. لعله صوت خافت من رجل يتجول بين الموائد.. وفي المماشي.. هادئاً لطيفاً.. لقد تذكرت.. إنه تكرار لا أكثر. لقد كنت تندفع إلى الشراء في كل دقيقتين تقريباً لتتخلص من الحاح هذه الحركة المكهربة.. وقلت في نفسك وأنت تغلي.. أتراهم علماء نفس؟ كنت تعني هؤلاء الباعة.

ولقد كنت أتصور شعورك على حقيقته.. وفي الواقع أنه شيء مثير.. لكل مواطن الحساسية في باطن الانسان.. وظاهره..

ورحت. وخطر لك أن تجرب هذه الطريقة على الورق.. كما طبقتها عليّ في تعاملنا اليومي .. وبدأت المشكلة في نفس الحرف مسبوقاً بأداة استفهام هي «هل.. س.. س.. س.. لمت المائة جنيه؟» .. وعرفت من أول (رس.. س.. الة)، أنك تمزح معي مزحة عابرة.. فلما أمتد بك النفس.. فيها.. عرفت أنك تحاول أن تغيظني.. وفي الوقت ذاته.. عرفت أنك تنتهز فرصة تسديد المبلغ.. لتجعل من قصة حرصك على (تـ.. س.. س.. س.. ـديد

المبلغ).. مظهراً بليغاً من مظاهر أمانتك.. وتقديرك لأمرها.. تقديراً يندر مثاله في هذا الزمن. مضيت تشكر في الاستلام، وتمعن في السؤال.. برغم أن الأمر انتهى بمجرد أن ابراهيم صرح بأن المبلغ عنده.. وبأنه حوّله على المهندس.. للصرف.. وبأنني استلمت.. وكتبت سنداً بالاستلام..

عد إلى رسالتي المطوية في مذكرات دوق وندسور.. تجد أن الأمر أوضح ولا يتقبل الشك.. لقد كنت في كل سطرين.. أقول لك.. فاني قد استلمت المبلغ.. ثم أعود فأقول.. ولا يفوتني أن أؤكد استلامي المبلغ.. وهكذا ـ على ما أذكر ـ حتى انتهت الرسالة وكانت مطولة.. لقد كانت هذه الطريقة نقدا لالحاحك في (الا س........ تفهام.. عن الاسـ.. تلام)..

وكنت لا أتوقع أن يأتيني جوابك.. (بنفس .. س .. السـ.. ـؤال). وهكذا كان.. وأعطيتني أنت طريقة أخرى.. للبحث في الموضوع.. طريقة التشكك.. والتشكيك.. (والوسّ .. سّ .. وسه).. فذهبت أغيظك ولم يكن يدور في خلدي أنك جاد.. فأسلوبك ليس (أس.. ـلوب جـد).. وأنت تعرف جيداً أن المزاح المكشوف.. لم يصبح الطريقة المثلى.. (ولا س.. ـيما) عندما تزمن الصداقة بين رجلين.. فلابد من سوقه.. مساحة الجد في التعبير.. أما المعنى.. فيظل مزاحاً.. أو مزاحاً أوضح..

كل شيء كنت مستعداً للتسليم باحتمال حدوثه.. إلا أن تكون جاداً.. وحتى في رسالتك الأخيرة لم أتبينه وأحكم بصحته.. إلا بعد أن زارني الأخ محمود أبار.. وفتح باب البحث في الموضوع على مصراعيه.. مؤكدا باستعداده لدفع المبلغ.. وأريته خطابك.. وقرأه.. وضحكنا..

وبعد وجب الاعتذار إليك.. ووجب أن أردد لك كلمة صديقك «ديل» وأقول لك أترك القلق وأبدأ (التـ.. س .. س.. ـديد !)..

وبمناسبة «ديل».. أذكر أني قرأت كلمة تشبه كلمته من بعض الوجوه.. قالها الحجاج عندما كان يشرف على بيع بعض أسلاب فارسية ليودع ثمنها في بيت المال.. وتم عرض صندوق محكم.. ففتحوه.. فوجدوا فيه صندوقاً محكماً.. ففتحوه.. فوجدوا صندوقاً محكماً.. وهموا بفتحه.. فقال: لا ..

وازداد ـ في المزاد ـ شعور الفضول لما في الصندوق، ورأى أن يباع مقفلاً.. وصعدت حرارة المزاد.. وبيع بكذا.. وكذا.. وذهب الشارى يفتحه.. فيجد.. صندوقاً.. داخل صندوق.. فسأل الحجاج سائل.. ماذا يقدر أن يكون فيه.. فقال.. حماقة من الحماقات.. فحين فتح آخر الصناديق.. وجدوا بداخله ورقة فيها هذه العبارة «من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل»..

ألا ترى أن ديل قد حل المشكلة الانسانية بنفس الأسلوب الذي حلت به مسألة «من أراد أن تطول لحيته ؟ ».

بقي يا صديقي أن مشكلة المائة جنيه أخذت عليك كل السبيل.. أين أخبارك، وأخبار الوطن.. وأخبار عريف.. والبلاد السعودية.. والشركة ونكتة ترشيحي مراقباً عاماً للشركة التي أسفر غبارها عن انتخابي مراقباً في الدرجة الثانية ؟ على أن ينسحب المنتخب الأول.. رافضاً..

وقد أخبرني المسئول يوماً.. قبل سفره.. أن عزيز ضياء قد عاد إلى الداخلية وأنه سيدير قلم الاقامة.. أو مكتبها..

هناك خبر كنت أنتظره منك.. ولعلك لم تفرض له الأهمية.. ولماذا لم تتهز سفر الأبار لتبعث معه (جـ.. جـ. راك ؟) أم تدري من أمري أنني سأعود.. أم بدا لك رأي آخر ؟ ثم ألم تجد أن ذلك بحق يحملك على طلب إجازة تقضى بها شهراً في القاهرة بحيث لا تدع في جيبك آخر مليم تملكه ؟..

وتقبل تحياتي واخلاصي،

أخوك

حمزة شحاتة

أخطر الأصدقاء وشرورهم

أخي محمد عمر

نعم، لقد وردتني رسالتك الأولى، ولم يصدر الرد مني عليها حتى الآن.. وجاءتني تاليتها وفيها الدليل أيضاً على وفائك برغم ضعف الحفاظ مني.. وليس عندي ما أدفع به تهمة الاهمال والتراخي إلا أنني في هذه الطاحون التي يدعوها الاصطلاح مصر، وقد بلغ بي الأعياء أقصى حدوده ولم يبق لي من الجهد إلا ما أدور به مغمض العينين أو أتنقل.. وقد أعفاك ذلك من أن أردد على سمعك الكريم قديم شكواي وبثي، فأحمد الله على السلامة.

وعجبت لأنك لا تزال موفور النشاط في الإقبال على الحياة، هذا الاقبال الذي يزيده الحماس الدائم إعجازاً .. على وفرة العيال، وقلقلة الحال، وغموض المآل.. زادك الله صحة وقوة وأخذ بيدك في سبيل التوفيق، حتى تحقق أقصى ما تصبو إليه من الآمال في حياة طويلة، عريضة، زاخرة بأسباب السعادة والمسرة.

أما صديقك ديل، صاحب دع القلق.. وكيف تجتذب الأصدقاء، فانه خليق منك بهذا التقدير.. وقد عرفت أن عريف حمل إليك خمس نسخ من كتابه، فما حاجتك بكل هذا العدد ؟ وعلمت أن عبد اللطيف جمجوم قدم إليك نسخاً أخرى منه، وهذا يشير إلى أن هناك طارئاً عقلياً يركبك أو تركبه. بعد أن قرأت ديل..

إن المسألة يا صديقي بالنسبة لي أني كنت أول من قرأ خلاصة وافية مترجمة عن الكتاب. ثم أول من قرأه بعد أن طبع، ثم أول من اقتناه بعد أن قرأه.. وكنت أيضاً أول من قرأ كتاب كيف تكتسب الأصدقاء عند صدوره.. وأنا إلى ذلك غير قلق على ما فات، ولا على ما يأتي، ولم أشعر قط بالعجز عن

اجتذاب الأصدقاء واكتسابهم.. وكل ما في الأمر أني كنت ولا أزال وسأظل على الدوام متعباً من ممارسة الحياة على هذا النحو.. أما التصرف على قاعدة فرض أسوأ الاحتمالات فهذا شأني منذ انتهت بي التجارب الى هذا المصير..

ولست بحاجة إلى من يقول لي أن شعوري بالتعب خطأ، بل إلى من يصف لي علاج هذه الحالة بغير الراحة التي أعرف انها العلاج الطبيعي لها لولا أنها لا تتأتى..

أما أن الكون جميل.. وأن كل ما فيه مشرق مفعم بالمتعة، فدعوى لا تفتقر إلى دليل، بل هي صدى ما في نفس كل حي.. ولكن هذه الجهود التي تفني وتضعضع قدرتنا على الاحتمال ـ وهي: أي الجهود، ثمن الحياة الذي لا معدى عن أدائه ـ هي مصدر التعب لا القلق..

إن الموت وهو أكبر كارثة تنزل بالانسان، لم يعد يشغل بال حي من الأحياء، لا باعتبار التسليم به كنتيجة لا محيص عنها أو منها، بل باعتباره ضرورة يستدعيها منطق الحياة ذاته..

وعلى هذا فأنا لست قلقاً على أخي، لأن قلقي لن يدفع مصيراً محتوماً.. ولكن تعبي من معاناة هذا الجزر والمد اليومي في حالته، وما يترتب عليهما من مضاعفة الجهد على متعب مكدود ـ هو الشيء الذي لا يعالجه ما يقول ديل..

لست خائفاً من الحياة، ولا على شيء فيها.. ولكن أنيني هو أنين المتعب يلتمس الراحة، والفرصة لها، ليقبل على الحياة إقبال ذي شعور مستقر..

ولقد ظلمتني عندما قذفت في وجهي بحقيقة أني ضد الإطراء، في رسالتك الأولى، فلو كنت كما تعتقد أو تظن لما نزلت أنت بجملتك وتفصيلك من نفسي ورأيي فيك هذه المنزلة .. وأنا لا أسلب الحياة ولا الناس محاسنها ومحاسنهم، ولكني أقرر حقيقة الطبع، والغريزة الانسانية. ولا أخرج في هذا التقرير عن حقائق سجلها العلم، والعقل باستقرائهما.. وهذا لا يعني التقبيح، وانما يعني التصحيح، وما زال العيش بالأوهام مطلب نفسي وعقلي وخيالي، ولكن أين هي الأوهام وقد استمر فيها الفناء والتلاشي ؟..

إنك تُقبل على الطعام بالشهية، والشهية رمز القدرة على الهضم والاستخلاص. وشتان بين انصرافك عن طعام تعافه، وانصرافك عنه بفقدان الشهية..

فاذا كان من دلائل القدرة، والصحة، أن تأكل حتى ما تعافه النفس، فليس من دلائلهما أن تأكل على فقدان الشهية، والاستغناء..

وصديقك ديل بسيط الفكرة خفيفها.. فهو لا يعرف أن التفاؤل والتشاؤم لا يغيران من الحقائق شيئاً سوى أن التفاؤل يعدل المزاج.. والناس يعرفون على الدوام ألوف الأسباب لتعديل أمزجتهم.. حتى بالوهم عندما تتاح أو تستعصي أسبابه..

التوتر - لا القلق - هو مرض الناس في هذا العصر.. والتوتر في حالتي - وأشباهها - منشؤه التعب، وتوارد أسباب الكد، والمتعب لا يشكو إلا متى آمن بأن هناك راحة ممكنة وإلا لانتفى سبب شكواه بفقدان ما يتطلبه ويأمله، بل بوجوده، وهل في الطبيعة الانسانية أن تتشبث بمعدوم ؟

والكلام هذا يطول ويثقل.. ويمكن الاقتصار على أن الناس أمزجة، أو أنهم أحاسيس، فبهذه الأحاسيس يتعب المتعب، ويرتاح المرتاح.. أفلا ترى رجلاً تقوم حوله الدنيا وتقعد، وهو موزون الخطو فيها ؟ إنها ليست القدرة، بقدر ما هي الإحساس والفهم والتلقي..

ولا أنكر أن مرد بعض حالات الشعور بالتعب، يعود إلى علة عقلية أو إلى سبب من مرض.. ولكني قد تخلصت من هذه الزوائد.. ولم يبق إلا التعب (الصافي)، ولا بد أن يتوازن الجهد مع الطاقة يا صديقي ليكون الاحتمال ممكناً.. والحمَّال الضليع يحمل أضعاف ما تحمل أنت في الوزن ولا يرزح أو ينوء فهل تُعاب أنت بأنك لا تحمل ما يحمل، على تساويكما في الجِرم ظاهراً.. انها الطاقة العضلية.. وهذا الحمَّال ينوء بما تؤديه أنت في ديوانك ويتضعضع به بنيانه الوثيق.. أيضاً.. وهو في منطق الوزن لا شيء..

إن ديل كارنيجي - إن كان اسمه هكذا - يعالج المشكلة بتركها، فكم من المشاكل تُطرح عن عوائق الناس بهذا (التعديل) ؟ .. أليست هناك مشاكل

تطرحها.. ولكنها لا تتركك.. وتركبك بلازم من المعاناة.. والمحاولة ؟.

ابنك المريض المتهافت.. عرفت من طول علاجك لمشكلة مرضه أن لا حل لها.. في وسعك أن تخرج مشكلته من دائرة حزنك وقلقك على مصيره. ولكن أين هو المصير ؟ وكيف تخلص من عناء السهر عليه، وجهد العناية بأمره وبأمر هذا الوجود.. الملح عليك بحاجاته.. المتضاعفة ؟..

انه كتاب ولا شك من أجود ما يقرأ قارىء ويقتني.. انه ينهض بالعزيمة الخابية، ويجلو النظر الكابي، ويدغدغ النفس، ويحمل على الاسترخاء.. ولكنه لا يحل المشكلة، إلا بما تحلها به الخمرة.. والحشيش، ان بلغ هذا المبلغ وما أراه بالغه.. أفهذا كلام تشمله حقيقة أني ضد الإطراء ؟

ليتني أفرغ لدراسة هذا الكتاب، أو ليته الآن أمامي، لآخذ منه وأعطيك.

أما كيف تكتسب الأصدقاء.. فهو خبطة من الخبطات الأمريكية.. خبطة موفقة، تصور لك الطرقات تحت الضوء الملون، والمكياج المتقن، أما ما تحت هذا ووراءه من حقائق الوجود، والنفس، والغريزة، والطبع، والاكتسابات الانسانية المعقدة، فمتروك بجملته «للواقع» الذي لا حيلة فيه لديل.. ولغير ديل.. وعليك إذا أردت أن تشتري السعادة والبهجة من المتجر.. أن تضرب، وتتلقى الضربات في سكون طالما أن الأيدي في قفازات من الحرير الناعم.. فهذا هو كل قانون «اللعبة!» في العالم الحي.

لقد كان ديل خليقاً بأن يسمى كتابه كيف تتفادى خطر الأصدقاء وشرورهم، فان كيف تكتسبهم أمر في غاية اليسر والسهولة..

وبعد فما يطول الكلام إلا على هذا النحو.. وهو ليس سلباً لمحاسن الرجل أو الكتاب وجهدهما، في تعديل «الأمزجة» كما سيقع في اعتقادك على أرجح الظنون، ولكنه تحقيق لدعواك عنهما.. فقط! .. وما آمل أن أنجح في زحزحتك عن اعتقادك.. ولكني أقول ما يستوجبه القول عندما تسنح فرصة للثرثرة..

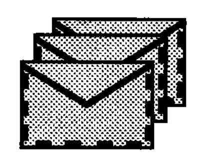
ولقد أردت أن أعالج حالة أخي، فأغريته بالكتاب، وأعجب هو به إعجاباً

كإعجابك، وراح يعالج مشكلته النفسية، أو العقلية على أساس ايمانه به.. ونهض برغبته في النهوض، متشبثاً بالسلامة.. ولكنه تعثر بعامل التضعضع. انه متعب تحت ثقل يؤوده.. ولكنه ثقل ملازم، لا ينزاح إلا بالطرح.. والطرح هنا البتر.. وما زال مجال الجراحة، الجسد، لا الدم، ولا النفس، ولا العقل..

ادع إلى الله يا صديقي أن يردّ الطمأنينة إلى النفوس بالايمان، والصحة إليها بالعبادة والإذعان، وأن يزيل الكدّ وأسبابه من شتى المتاعب، بالتوفيق والعون منه. فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ودمت.

أخوك

حمزة شحاتة



ســنة «الفِتّاق»

أخي محمد عمر

نعم يا صديقي. أنا مريض، ولم أبرح البيت خلال مرضي إلا مرات معدودات.. كنت أتحامل فيها على نفسي لباعث قاهر، فأعود أسوأُ حالاً.. وهكذا حتى تعذرت مهادنة آلام المرض على طول السكون..

لقد دعاني والأخ عمر رفيع، للغداء عنده، الشيخ ابراهيم السليمان.. وكنّا حتى ذلك الوقت دائمي التعقيب له في البيت، وفي المفوضية، وإن ندر أن نلتقي به.

رأى هو أن يدعونا.. ولم يكن بد من القبول.. وأكلنا شاكرين.. ولم نلتق حتى اليوم..

وجاء الزائر الكريم واقتضى الأمر أن أتحامل.. وخشيت أن لا يعلم الشيخ ابراهيم من مرضي شيئاً.. فذهبت إلى زيارته بداره في اليوم السابق.. وكان كالمعتاد قد تغدى ونام.. أو هكذا كان يقال لنا.. وكانت مشاوير حامية لا تبردها ـ في بعض الأحيان ـ إلا حرارة «العدّاد».

ورأيت الزائر الكريم لمحاً وهو يجتاز صالة سميراميس، وقبَّلتُ جبهته بعد أن أخذ الألم من «عصعصي» ما أخذ فمضيت أطوي الطريق في غمار الطاوين، حتى أُغلقت غرفته.. وراءه.. وكأن هذا لم يكن شيئاً منتظراً فوجم الناس ووجمت فقد يكون الباعث يستوجب الوجوم.. وإذا بطلعة الشيخ ابراهيم وصوته ينطلقان في كياني فأقبلت عليه أتعلق بما واتاني منه، وإذا به يدفعني وفي صوته رنة التوبيخ. ولم يفتني أن أضع كفي مشرعة الأصابع على جبيني.. وأن أمثل حيرة من لم يهتد إلى الزائر بعد، حتى أخذ الشيخ.. يدي، ووضعها

على ما ظننت أنه كتف الزائر.. وأنا أقول، الظُّلمة.. الظُّلمة..

لقد أطلت.. وما أردت إلا أن أريك كيف ترسم مقدرات الحظوظ، صور الرجال في عيون الرجال..

صورة مهزوزة في ضوء غير كاف.. أو في ضوء يتعدى حدود الكفاية التي يتزن بها الغرض.. هذه هي صورتي تحت عين الشيخ.. وفي كل الظروف.. والملابسات. وفي ليلة أخرى سابقة.. قديمة، أصر عريف على أن نلقى الشيخ.. وذهبنا.. أخي وعريف والمنديلي وأنا.. وكان الشيخ متدفقاً، فأصغيت، وأحسست به يتحدى، لأن حديثه كان لوماً صريحاً لمن يعرف الحق ولا يذب عنه، أو يؤلب له، أو يدعو إليه. ورأيتني محاصراً فقلت كلمة حارة في الحرية ولزومها. وأنها أساس البناء، وأساس العزة المفتقدة.. وشعرت بعد قليل بأن المجلس قد انقبض.. وأن ريح الحديث والحركة ركدت ركودها.. فتجمعت، ولمت أطرافي، ونظرت إلى عين الشيخ لأستأذن.. فاذا بها تستأذنني في الإنصراف.. وشعرت بكلمة يا لك من بسيط! يقولها الشيخ بكل شيء فيه إلا لسانه.. أكُلُّ هذا يقال ؟ ...

إنها صور مهزوزة لا شك.

أما مائة الجنيه التي أردت أن تضرب مثلاً من نبوَّة الوفاء على حساب أدائها، فقد وصلت.. استلمتها عداً ونقداً، من الأخ المهندس، واستكتبت بها إيصالاً أُمليت عليَّ ألفاظه إملاءً خاصاً يلخص قصة المائة الجنيه منذ كانت ملكاً خالصاً لي.

ولقد هالني ما رأيت على وجه الزائر من تهجم وخمود، وقلت لعله اختصني بهذه السيماء دون غيري .. أفما كان الجميع يظنونه متهلل الأسارير ؟ وذهبت ألتمس الأسباب في هذا الانقباض، وأستعرض العلل.. فكان أن انتفى كل شيء تحت محاكمات العقل.. ولم تبق إلا احتمالات صبيانية أخشى أن يصح أنها السبب..

أما كتاب اليوم، فهو مذكرات ملك انجلترا المتنازل عن عرشه لأجل حبيبته مسز لامبسون أو سامبسون.. لا أذكر.

وأظن أنك كنت قد قرأتها منشورة بأخبار اليوم، أو بآخر ساعة، أو بهما معاً فان طريقة الأخوين أمين لا تختلف عن ذلك كثيراً..

ومع هذا فسأبعث إليك نسخة بالبريد الجوي صباح الأحد وهو اليوم الذي تصدر فيه المذكرات إن أمكن الحصول عليها، فانه قد بلغني أن المطبوع منها لن يزيد عن ٥٠٠ نسخة ستوزع على موظفى أخبار اليوم وآخر ساعة، ولحظة. لتعاد الحكاية عند نفاد النسخ أو الحاح ملايين القراء في إعادة طبعتها.. فان صح هذا فالى اللقاء في الطبعة الثانية الأولى.

أعتقد أنه لابد من التوكيد بأنني قد استلمت المبلغ (إياه) من الشيخ ابراهيم.. وبهذه المناسبة ينبغي أن أقول أنك أول إنسان عرفته، يعنيه أداء ما عليه بنفس الحرارة التي يعنيه بها أمر حاله..

وإذا صح أن توضع هذه الحقيقة في قالب عصري فسيكون «ليس في الدنيا سوى مغفلين، ذلك الذي يقرض نقوده، والذي يرد ما اقترض».

أنا الآن في دور النقاهة وقد استطيع الخروج بعد أسبوع باذن الله.

وأخي محمد نور بخير ونشاطه للحركة في ازدياد بطيء جداً.

عيالي بخير أيضاً. وأرجو لك ولأسرتك وعيالك الصحة والسعادة.

لا صحة لما بلغك عن ترشيحي لمراقبة الشركة.. انما هي اشاعات يقصد بها التهديد من بعض المسئولين لبعض، فتكون أساساً للتفاهم..

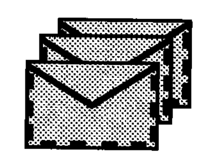
كم أود أن أعود ولكن مشيئة الله هي الغالبة وقبل أن أختم رسالتي أرى من المستحسن أن أشير الى وصول المبلغ المحول مع الشيخ ابراهيم، وإذا لم يكن من المعقول أن لا أكون قد استلمته حتى الآن، فلا بد من الاعتراف باستلامه مع التحفظ بجواز سحب هذا الاعتراف وتعديله متى اتضحت حقائق أخرى تنافي

الاستلام أو حتى الوصول.

الصيف في مصر له بشائر بهيجة. وهذه سنةُ الفِتَاق فقد أجيز به عدة موظفين، فلماذا لا ترى مصر على ضوء ما أفدته من تجارب في سنة «البواسير» ؟ شكراً، الى اللقاء.

المخلص

حمزة شحاتة



خوارق العادات

أخي محمد عمر

لا أدري ألك عندي رسالة أو رسالتان. ولكن الذي أدريه أن الجواب سيكون عليها أو عليهما في هذه.. وهي التي أرجو أن يكون ردك عليها سريعاً.. لتدفع عني خطر الوسواس الذي أصبت به في موضوع المائة جنيه، هل سدّدت أم لم تسدَّد. والأمر كما ترى مهم بالنسبة لي على الأقل. أما أنت فربما كان في وسعك أن تتركني مهبة الشك في أمري وتنام قرير العين. لقد أختلط عليّ الأمر، وتداخلت الملابسات وراحت الدنيا ترقص في عيني رقصة الشيطان - إن كنت تعرفها - وصرت كالانسان الذي حبس في مكمن «البراغيث» متسلطة على جسده من كل جانب.. فكل سؤال من الأسئلة التي يوردها وهم الشك والوسواس عليَّ، يشبه «برغوثاً ذكراً» لا يشعرني بوقعه إلا حر لدغته وشرّ مافي الأمر اني عندما ألححت على المسؤول بزياراتي بدأت أشعر بالضيق في وجهه وكل ما يأخذني - أو آخذه منه - حتى أطراف أصابعه - والله - أرى منها انقباضاً وتقلصاً، ورجفة غاضبة.. وفهمت من مساعده إلغاء التعقيب على المسئول بخصوصها. وهكذا أعود عليك بالمطالبة.. فاذا كان أحد يزعم أنه أعطاني فعليه أن يثبت.. وهناك أسئلة جديدة: أتراني أخذت المبلغ بإيصال استلام ؟ أم بدونه ؟ وهل كتبت ايصالاً بالفعل ؟ ومن مألوف عادتي أن لا أنسى «ايصالاً أكتبه» .

ولقد وجدت في أسلوب علاجك للمسألة، ما يحمل على أن في الأمر مزحة.. وهذا إذا صح - وما له لا يصح - فإنها تكون مزحة ثقيلة على مزاجي كادت تفضي بي إلى الجنون على أنني الآن في ما يشبهه وقد تؤدي إليه.

والآن يرحمك الله. إنه بعد وقبل، قرض لم يجدِ مغنماً من مغانم الدنيا..

فلقد كانت تعوزني اللقمة أمسك بها رمقي في دارك، وعلى تشبثك الجائر ببقائي، فلا أنالها إلا بأن اشتري، وأعالج، وأطبخ، وأقضي حاجة الملتفين حولي من الملتفين حولك، وإلا بعد أن أخوض عباباً من صنوف الأذى وجرائر لها تنخع ما في عظمي.. وماذا بعد ذاك إلا أنني احتملت المخاطرة على حسبان عدم سداد في هذا الزمن المرير الذي يعرف ناسه عن الدين أنه فضلة تفيض عن حاجة المتطوع به.. أو حماقة ينبغي أن يعاقب صاحبها بهذا التأديب الصامت.. وبهذا الجري وراء خلق الله عشرات المرات في الهرم والمفوضية وسميراميس وباحتمال ما يبدو من انقباضهم، وفي هاته الجفوة التي تُبذل بسخاء بالغ، لكل من تبغض حقاً..

وعندك بهذا الكلام دلالة على ما ينصب في نفسي من مرارة وألم..

أفلم أكن خليقاً بأن أعفى من كل ذاك لحرمة ودي عليك إن كانت لمثل هذا الود حرمة عندك ؟ أو لسابقة العارفة وخلوصها من الغايات ؟

وبعد فما أود أن يجري الكلام هذا المجرى، وأن من الحزم أن يقتصر على لب الموضوع، واللب هو هذه «المائة» التي ما زالت حائرة حتى لتوشك أن تنقلب ذاتها إلى علامة استفهام بعد ان كانت كمية تمثلها ثلاثة أرقام.. والأمر ـ لا شك ـ خليق بالجد من جانبك.. ولولا حرصي على أن لا يزداد الأمر بإطالة الكلام فيه على هذا النحو، اشكالاً، لسمحت بمئات من الاسئلة التي تؤدي كلها معنى الشك فيك على ادعاء السداد. ولكنك لم تدعيه.. وهذا يبعث الاطمئنان بعض الشيء إلى نفسي. ولم يبق اذن إلا أن يخير الله لك في التعجيل بسداده على شريطة أن يجيئني بطريق «بنك» فهذا أصون لجهدي وكرامتي من الجري وراء عباد الله.

وإني لفي انتظار ما يسفر عنه هذا الاختبار لمروءتك بعدما ورد عليّ من موصول الأذى. وبحسبك ما تعرضت له من المتاعب في سبيل مطاردتي لهذا الوهم الذي صنعت منه حقيقة حتى شاء الله له الفضيحة..

عبد اللطيف جمجوم غارق إلى ما فوق أذنيه في التهيؤ للاختبار.. وهو يرفض أن يسترد من «حلمي» هذه القمصان التي استحالت عليه أخلاقاً بالية

من طول الاستعمال.. أو من سوئه.. فماذا تقول ؟؟

علمت أن المسؤول سيغادر مصر يوم الأحد، واليوم هو الأربعاء. وإن كان لا بد من أن أقول شيئاً بهذه المناسبة، فهو أني قد فقدت وجودي كآدمي ذى وزن في نفسه ورأيه وتقديره.. وما يحزنني ذلك ولكن يحزنني فشل مسعاك في أن يحدث عكس هذا.. ولكن المشيئة لله وحده.

لقد عقد لي المسؤول امتحاناً عقلياً لم أحصل فيه إلا على الهزيمة المنكرة.. الصارخة.. وقد أعداني بانقلاب رأيه فيَّ، فغدا رأيي في نفسي أنني لم أعد أصلح لشيء مما يصلح له الناس.. فقد أبدلني الله بعقلي الطبيعي «لولباً» يزداد في كل يوم «طيّة» والأمر يتعذر على الإصلاح بلا ريب، وهذا أسوأ ما فيه.. ولكن لله خوارق العادات، وجميل الستر.. فلو شاء لي النجح لجعل من هذه «اللولبية» في رأي المسؤول وغيره شيئاً يروق ويحرك الاعجاب.. أو ربما أثار الدهشة.. وما أرضى أن تحجب نصحك لي عني فأنا بحاجة إليه.. وفي هذا الظرف على الأخص.

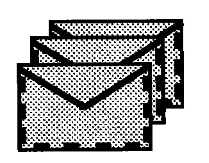
هل عندك لي أخبار.. وفي هذا الظرف الأخص.

هل عندك لي أخبار.. أخبار من أي نوع ؟ فأنا في حاجة اليها وهل وصلك كتاب «ملك انجلترا السابق وعشيقته». إنك لم تنبىء بوصوله، وهذه طريقة لا تريح.

سلامي إلى الإخوان زيدان وياسين وعريف. وإلى اللقاء،

أخوك

حمزة شحاتة



الواقع المرير

أخي محمد عمر

لقد غدوت أبرع الناس في التحدث عن نفسك.. فأنت تقول عنها، ما يقول الغني المحدود عن ثروة لا يأتي على آخر أعبائها الاحصاء.. وكأني بك تغمض عينيك صنيع من تتكاثر في رأسه المعاني وتتدافع، ليتفرغ للانتقاء والاختيار.. وقد بلغت بي في هذا حداً حملت به أثقل الأعباء.. فلو كنت تتحدث إليّ عن دنيا تزخر بما لا تزخر به دنيانا الوسيعة المترامية لما لقيت عقب بعد ما مضى من أمامك ما لا يقول !.. فهل قضي عليّ أن أُبلي عمري، أو ما بقي لي منه في الإصغاء إلى ما يختفي وراء جلدك، من أحاسيس متفجرة، لا تصاب بثقوب ولا يشارف حدودها الفناء.. ولا يبيح لها النقص بصفحته البغيضة ؟..

وأنت تشيب بالصمت في دنيا معانيك، التي تكون طبيعة الأحياء فيها الاجترار الهادىء.. ويلنا لو كانت دنياك هذه، دنيا صخب واعلان وكلام. أَفَلَسْتَ تقضي علي وحدى بأن أُغطّى في حميمها، لأني ما أزال المخلوق الوحيد فيها، وبهذا حقّت اللعنة عليّ.

وقد قلت عن الشعر الحزين ما شاءت لك معاني دنياك.. وفي الدنيا الشعر الطروب، فهل يقال أن الطرب والمرح في الحياة زيف تطروه العقول المفيقة، لأن الحزن في الحياة هو حقيقتها.

وقلت.. لقد فات هؤلاء ـ الحزانى ـ أن يسعدوا على نحو ما يسعد الأحياء، ولذلك جاءوا أشقياء من طراز شاذ، وكأن حقك أن تقول فجاءوا سعداء من طراز شاذ..

وأقول أنا.. إن التعبير عن خوالج النفس منذ صار فناً بيانياً ـ صحبته المبالغة وأثقله التهويل.. لذلك كان الشعر تهويلاً لمعاني الويل، وتهويلاً لمعاني

المسـرة.. ولا شك أن الإنسـان يحسّ أقل مما يـزعم، وأقل مما يقـول.. ولا شيء في باطن النفس أو الفكر تعجز اللغة ـ أية لغة ـ عن الافصاح عنه..

وقد يكذب على الأنثى أول ما تحمل .. حسُّها، فتحس أن في بطنها جبلاً لا جنيناً .. فاذا ولدته جنيناً، فهذا تعبيرها العملي عما كانت تحس.. أفتراها تقول أن بقيته الكبرى.. ما تزال تمور وتضطرب في أحشائها..؟ وهَبْهَا قالت ذاك، أفتكون عندنا صادقة ؟..

فالحزن يا صديقي، ومواجع النفس، حَمْلُ بمواليد كالجبال.. ولكن الوضع وحده يجعل الجبل فأرة بعد المخاض.. وقد يكون التعبير أكبر من المصيبة، ولكن لن يكون أقل منها، إلا عندما تكون المقدرة على الكلام والتصوير حقيقة عاجزة..

وقد قلت عن النفوس السائمة كلاماً ما رأيت مثله مواءمة لمنطق العقل.. فالحياة لا تلد حياة بالحركة الدائبة والصور المتعاقبة المتغايرة، ولهذا كانت باريس ونيويورك أشغل للذهن والنفس من جدة، والطائف مثلاً. لكثرة ما يتوارد فيها من الصور المتباينة.. ولكنك جعلت المقارنة.. مقارنة بين القليل والكثير.. مع أن كيفية الكثير لا تختلف عن كيفية القليل بنسبة الفرق بين الكميتين.. فالاثنان ضعف الواحد.. ولكن المليونين، ضعف المليون عدداً والكيفية عند المقارنة بين اثنين.. ومليونين، تختلف اختلافاً كبيراً لا تستوي به المقارنة الصماء، إلا كما تستوي المقارنة بين جدة ونيويورك.. في ميزان المزاج السائم في فترة سأمه وبثّه..

أما مصر فبلاد لا يخشى السأم فيها الشاب إلى أن يشيخ، ولا الشيخ إلى أن يفنى، ولا الفاني ـ إن كان يحس ـ إلى أن يبعث.. لا لأن الصور فيها تفوق العدد والحصر.. ولكن لأن لكل صورة فيها نسلاً ولوداً لا يكفي لاستيعابه العمر المحدود.. وحسبك ببلاد يتغير كل ما فيها عندما يأتي المساء، تغييرات تختلف نسب الذكورة فيها وصورها ونغماتها، وإشاراتها، وحركاتها، حتى يلوح الفجر.. فإذا لاح.. كانت الذكورة التي تدعو إلى نفسها برجولة تتدلل.. وتلين.. وتميع، حتى ما يقوم الفارق بين الجنسين إلا بالثياب.. أو بغلظ الرنة في الصوت.. أو

بالشعر في الوجه.. وقلما تراه، وهذه صورة من صور النسل الولود.. هي واحدة من ملايين».

والضحك في غير مصر ضحك يعبر عن مسرّة القلب الطافحة.. ولكنه في مصر فلسفة تسخر بالحياة.. والواقع والعمل..

والجمال فيها جمال لا يتخطى أشباهه ونظائره حيث تكون في هذه الدنيا العريضة. ولكنه مع هذا جمال يتفلسف في نفسه وفيك، فلسفة تحبّبه اليك.. لأنها تدعوك إلى أن تشاركها السخر بالحياة لحظة.. كأن اللقاء بين الجنسين اجتماع لا غاية وراءه إلا قضاء الوقت في مسرة.. وليكن بعد ما يكون..

والجهل في مصر، جهل مستنير، تعجب له عجبك.. والمآتم مآتم ضاحكة، فما رأيت جنازة قط إلا وأمامها فرقة موسيقية تعزف نغمات لا معنى للحزن والاكتئاب فيها إلا أنها تسير وتنطلق أمام نعش محمول.. والنعش بعد مزخرف موشى وعليه ـ في موضع الرأس ـ طربوش فوق حامل من الخشب.. فاذا اهتز النعش بحركة حامليه، اهتز الحامل، فاهتز الطربوش.. فكأنك تسير في عرس..

والحركة في مصر حركة حياة تتدفق وتفيض.. ففي كل نفس مصري معنى من فيضان نيلها.. وحسبك أن المصري لا يُقبل على العمل إلا لأن المال يساعده على هذه الحركة.. ولقد كنت أعجب كيف تصدر الصحف والمجلات في مواعيدها، وقبل مواعيدها.. بيوم، وأيام.. حتى عرفت أن الأدباء في مصر أقل الناس اتصالاً بحياة مصر التي تستغرق النفوس والأفكار.. بأنهم أقل حيوية جنسية.. فهم أقل حركة..

ونسبة النساء في مصر أكبر من نسبة الرجال، ولو اعتبرت صفات الأنوثة ومميزاتها وخصائصها لداخلك الشك في أن لعنصر الرجولة وجوداً فيها.. فما تشرق الشمس إلا على هذا النحل خفيف الحركة رشيقها، جاد الخطوات.. يقول لك كل شيء فيه اتبعني.. ينتشر على سطح القاهرة، وفي أخفى زواياها، انتشار النمل، عندما تداس قراه.. انتشاراً تمثل حركته، الذعر والقلق، والاشتغال بشأن الحياة الأكبر.. البقاء.. النفس. وبشئون الحياة الأخرى..

العمل.. والواجب، المسرة، بواعث الجنس..

وفي بواعث الجنس، يختفي مطلب مصر الأول.. العيش.. فالعيش فيها قاس ما يرحم.. كل شيء يدعو المرأة ويناديها من وراء زجاج المعارض.. الملابس.. أدوات الزينة.. وسائل التجميل.. أسباب اللهو.. ألوان الآكال والأشربة.. فهي تتقبل الدعوة.. لتشبع.. لأنها تجوع بألف معنى للجوع.. ملء البطن بالطعام أقلها شأناً..

ووراء مصر المكشوفة للعيان، مصر أخرى.. لا تتكشف لغير ذوي قرباها.. مصر تعمرها المرأة وحدها.. ولكن المرأة المتعلمة الجديدة.. التي تلقاك بمعنى الحديد، وبمعنى الشمع في آن.. والتي تقول لك عيناها.. أيها الرجل! إن مركز المرأة في مصر حرج، فلا تزده حرجاً.. ولكنها مع هذا تستجيب إن واتتك الفرصة بعد أن تروق في نفسك، بموضع العقيدة التي لا تقبل شكاً.. فتروح وأنت تقسم، بأنها لم تكن تستجيب لغيرك.. ولو كان هذا الغير فاروق مصر.. وتغدو وقد عرفت أن للفضيلة معنى صحيحاً هو الذي عرفته.. وجمال المصرية شمعي كنفسها، يذوب ما لامسته أنفاسك، ولكنه يبقى بودّه، وحنانه.. ومرحه وطربه.. وطبيعته الرشيقة.. وبأنه مصري.. ويغالب الفناء..

وصوت المصرية.. وكلامها.. فتنة من فتن الخلود.. لا أظن الدنيا تلقاك بمثلها.. من فم الباريسية تخطر بين عشاقها..

إن من يريد أن يؤرخ للحياة من مصر، فليؤرخ لنسائها دون رجالها، فالرجل في مصر، دون الرجال في الدنيا، بطبيعة الذكورة، وبخصائص الفكر.. ولمحة الذكاء، وبسطة العلم.. وبأن قوى الأنوثة فيها تطغى على قوى الرجولة فيه..

وإنك لدى الأنوثة الغربية. وفيها من آثار التعقل وتعقيده، والرجولة وجفائها، ما يفسد معناها ويشوهه.. ولكنك ترى أنوثة المصرية طرازاً أصيلاً من الأنوثة بمعناها البشري كاملاً.. حتى المتعلمة التي تقلد جنسها العربي.. تخونها طبيعتها.. فلا تكون إلا مصرية بجملتها وتفاصيلها، على رغم أنف المقاومة والأفكار..

والحرية الشخصية في مصر ـ وحرية الكلام فيها ـ ، شيء ليس بعده غاية

لمستنير.. فالناس كلهم، يأكلون في الشوارع سائرين وواقفين، ويضحكون، ويتبادلون النكات.. حتى نكات الجنس.. والجنسان سواء في هذا..

والرجل في مصر، أفسد الناس في فهمه للمرأة، واحتكاكه بها.. وأنه يجدر بك أن ترى علاقة المصري بالأنثى ـ أي أنثى ـ تقوم جداً وهزلاً، وقصداً واعتباطاً، على أن المرأة غانية بفطرتها. على قلة ما يلقى الرجال من الاستجابة، ومبررات هذا الفهم..

والمعارك بين الجنسين تدور ليلاً ونهاراً حيث يكثر الاحتكاك.. وهي معارك لا يخجل الرجل بالهزيمة الدائمة فيها..

والرجولة في مصر منتهكة الحرمة عند النساء.. فقد تسمع أنثى تقول لرجل.. هو أنت راجل، يا بكلاه يا بن الكلب.. يا دم.. بتحسب نفسك خفيف.. أتلهى على شيبتك.. و.. ياواد.. أوه... أنت عاوز لك جوز.. أو أنتو شباب.. دنتو ستات بشوارب.. أو ... أنت علق ناقصاك الرخصة يا صايع..

وقد سخر المصريون ـ تجاه النساء .. سواء في تقدير أسوأ القيم لكرامة الرجولة وحيائها.. وأنك لترى المطربة «المودرن».. تحتمل غزل الشاب من بعيد وتجرّه خلفها من شارع إلى آخر.. وهو يزداد طمعاً فيها .. حتى تطأ عتبة بيتها.. فتومىء له إيماءة القبول.. فينطلق وراءها إلى الدور الثالث أو الرابع.. ثم تقفل باب «شقتها» في وجهه.. ببصقة أو بكلمة كالبصقة.. فيروح وهو أشد طمعاً فيها مما بدأ..

وقد رأيت كيف تضرب المرأة رجلاً بنعلها وعلى مشهد من الناس، في منظر خاطف.. وكيف تحتمي بالبوليس منه.. إذا أطال مطاردتها.. وكيف يزوغ الرجل وثباً وجرياً إذا أنس الخطر.. وهو يشاطر الضاحكين عليه ضحكهم في مسرة ظاهرة..

وكنت ـ كالناس هنا ـ أسيء فهم مصر، وأسيء الحكم على نسائها.. حتى عرفت الواقع.

وصحيح أن مصر كثيرة الضحايا .. ولكنها الكثرة التي تجعلها ضخامة التكاثف العمراني بنسبة معقولة.. أفترى لو تناولنا رذائلنا بالاحصاء.. على غلظ الجميع، وشدة الرقابة، وفظاعة العقاب، ماذا كانت تكون النسبة ؟ ..

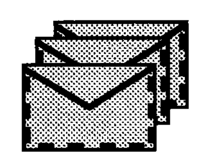
قد تعيب على مصر سفور النساء فيها .. ولكن المصلح الاجتماعي يراه ضرورة، فلكل شيء في الدنيا عيوبه ومزاياه.. فقد أدى الحجاب عندنا إلى بوار النساء بواراً أظنه نهائياً ولو كان هذا السائد بين إناث لهن طبيعة الملائكة، لأدى إلى فساد الجنسين.

وليقل قائل أن نسبة فساد السيدات بيننا أقل من نسبتها في أية ناحية من الدنيا .. فما يكون هذا صحيحاً إلا بأن نضيف هذا الرقم الضخم من إناثنا الذكور إلى سابقه.. ليكون الحكم أوفى إلى الصحة والعدل..

وبعد فما تحدثت إليك عن مصر حديثاً يتم به معناها في نفسك، كما عرفت.. لكني أجملت الكلام عما تهيأ لي ذكره، مشوشاً، مضطرباً، وحسبك هذه اللمحات. وإلى فرصة أخرى.

أخوك

حمزة شحاتة



سخطي على الدنيا

أخي محمد عمر

فرغت من رسالتي إلى المسئول الآن.. وها أنا أبدأ كلمتي إليك..

ستقرأ رسالتي.. وستحتفظ بصورة لها عندك إن رأيت فيها شيئاً ينبغي أن يدخر إلى أن يحين أوان المحاسبة عليه، أو المناقشة فيه.. أو التجريح به..

وسيهولك أني لا أعرف ماذا أقول في موقف كهذا.. فكان حقاً أن أسألك الهداية جاداً لا هازلاً.. أرأيت أني استعرت حتى كلماتك في استفتاح الغرض؟..

ماذا كان في رسالتي الأولى مما يثير ويحرك، سوى أنني غدوت «غسّالة ذكراً» كما قال العرب.. حيّة ذكراً..؟

ألا ترى أن من دلائل الادبار المجنح أن يسكت المسئول فلا يجيب، ويكون الخسران بكشف العورة لغير راغب امتحاناً عسيراً لآخر بقايا الكرامة في نفس صاحبها ؟

تشاؤم.. نعم انه كذلك.. وإنه العالم البصير الذي يندر أن تخيب له فراسة أو يسقط حكم..

إن متاعي مُعَدّ من أول أيام رمضان، والنية معقودة على أن أطيف بك في الطايف على أن لا تكون إلمامة عجلى.. فلقد أخلق جسمي هذا القيام المتصل بآلاف الشئون الصغار التي لا أقل منها لتأليف نسيج الحياة لفرد منقطع.

وكانت الرحمة بك تأخذني كلما هممت بأن آتيك ممسياً أو مصبحاً.. وكان الخوف من سوء المصير، أو عثرة السوء، للعلاقة بيننا، من دواعي التردد..

فالذي أعرفه بالتجربة أن ابن آدم أثقل ما في الوجود إن ثقل.. وأخف ما فيه إن خف.. وأنت لا تلقاني وحدك فيخف محملي عليك.. وإنما يلقاني من خلفك بيت فيه زوجة تعمل.. وعيال يطلبون.. والمنزل بمسئولياته.. كميدان الحرب بخطوطه.. لا بد أن تقصر لتتماسك الحركة بهذا القصر في الخطوط.. والضيف المفتوح النفس مثلي شيء تطول به الخطوط، وتتفرج المسافة.. بينها.. ويزيد عدد المسئوليات.. فيشيع الانقباض في جو البيت من الداخل.. أو يشيع الشعور بطول «المنزل!» عدا «عرضه!» فربما أعداك الشعور بعدواه، أو ساءك سوء وقعه في نفسك، لما تجد لضيفك عندك من هوى قديم أو حديث يجهل تأثيره «الداخل» فتضيق مساحة بشاشتك بهذا العامل.. فأظنها علامة الضجرة.. وفاتحة الادبار، فأنكمش.. فيأخذك انكماشي بمثله.. فاذا بنا في ظل حالة من المسايرة بين عاقلين يكاد كلاهما أن يصيح بالآخر في كل لحظة: أأنت مجنون؟

ويجيء دور الشعور بهذا.. فأتهيأ للمفارقة.. كارهاً لما اعتدت من لين العيش ورقته وتوفر الجهد في منزلك ـ أو معرضاً بها.. فأرى أنك تتلقى الحركة بارتياح الراغب في التعجل.. فأتهمك باللؤم، أو أتهم نفسي بالإفراط في الأثقال.. وأشعر بالجرح يثير فيَّ جراحاً قديمة نائمة.. فيتجدد سخطي على الدنيا.. وناسها.. وترى معي أن الأمر على هذا النحو خليق بأن يتقى شره.. وتدفع جوانحه.. وإن كنت لا أقصد بهذا إلا استبراءك واستفزاز حماستك في الاصرار على الدعوة.. وتوكيدها..

أبرقت ـ غير مرعد ! ـ إلى المسئول، مهنئاً بما دعوته سلامة العودة، وتجديداً لعهد الولاء والاخلاص.. ولم أتلق رداً.. فانقبضت.. وتلقيت الركبان بألوف الاحتمالات التي تَمُتُّ إلى السوء ولو بأوهى سبب..

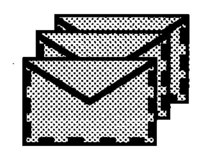
وقضيت يومي وليلتي صاعداً هابطاً على هذه الوعور المسنونة.. حتى بدأ الأمر يهون في نفسي هوانه.. فقلت لقد كنت المخطىء بالبادرة.. فلم يبق في الأمر إلا ما فاتني من وضوح علاقة الرضا أو ورودها.. وليس في هذا الفوات

مـا يؤكـد الموجـدة، أو يسـتـوجب ضـرورة وجـودهـا.. وهكذا اسـتطعت أن أمـيل بالأمر عن مسقط نظري، أو أدفعه إلى حين..

إلى اللقاء يا صديقي وشكراً..

أخوك

حمزة شحاتة



رجل مقطوع

أخي محمد عمر

أشكر لك إلحاحك علي بالدعوة إلى الانتقال إلى الطائف ضيفاً على منزلك العامر.. لقد كنت مقرراً الانتقال أول أيام رمضان تفادياً للمتاعب التي ألقاها «كرجل مقطوع»! .. في جدة.. برغم أن عشرة عوائق على الأقل.. عوائق صديقة.. ما تزال منذ هبطتها تشترك في تشكيل خط حياتي هنا..

لقد اضطررت بعد «عناد» طال وامتد على غير جدوى أن أكنس يومياً الغرفة الكبيرة بعد أن غدت غرفة نومي.. والجلوس.. والغرفة التي هي صالة التوزيع، والممر الضخم.. والحمام.. وبيت الأدب.. الرفيع! والمطبخ.

واضطررت أمس لغسل ٢٧ قطعة ملابس لأنها بقيت منقوعة في الماء (٣٦) ساعة في انتظار.. مدام دى بارى التي تنازلت وشرفتني بالوعد بقبول غسلها..

وأنا أعيش بلا خادم ما يقرب من خمسة عشر يوماً بالرغم من أني تلقيت في هذه المدة أثني عشر خادماً قدموا إليّ على أنهم ملائكة أضلوا سبيل العودة إلى السماء.. ولم يكن الخادم منهم يستقر أكثر من الوقت الكافي لتناول الفطار والسحور.. طعاماً.. أو ثمناً.. وخدمة استقبال وترحيب ومحاسنة مني.. حتى كان الله قد خار لي في أن أكون «مزلقان» الهداية لهم إلى طريق السماء مرة أخرى.. على أنهم من ملائكتها..

والحياة هنا لا تعد حياة إلا على المجاز.. أما هي بالنسبة لي فمجهود متصل لاستبقاء النفس.. لا حرصاً على البقاء. ولكن خوفاً من هول العدم في صورة مشقاته المتخيلة..

وجاء صاحب الشأن.. وكنت محلول الظهر فتثاقلت عن لقائه إلى الصباح.. فالمساء في اليوم التالي.. وحمل النذير نبأ وجودي.. فظللت حتى

وقفت وتكلمت مرة أخرى.. فقيل لي أنه يتهيأ للنوم ـ وكانت «الرابعة».. وأن من الملائم أن أجيء غداً في الثانية والنصف ليلاً.. وتثاقلت لما نزل بي من جهة الغسل والنشر والصوم وجحيم النهار.. فعلمت من العابرين.. أنه عاد الى الطائف صباحاً.. فحمدت الله على الثقل!

أما وأنت ما تزال وطيد الأمل في أرض.. المعاد.. فما عليك إلا أن تكتب لي صورة ما تريد أن أقوله.. فوالله أنني لم أستطع أن أهتدي إلى شيء مقبول أو معقول.. وأخشى أن تظهر عشرة من عثرات التعبير بوجود المنحة، أملاً ابليسياً في نيلها وغرضاً معلقاً تستمد منه حركة كل مقابلة.. وكل توديع له.. حماسها وحرارة أشواقها.. واختلاجها..

تهيأ لي اليوم أن أغادر جدة إلى الطائف بسيارة صغيرة مع أسعد وأحمد جمجوم، والمنيعي. ولكن معالي الوزير لم يصل بعد والأمر يقضي من باب اللياقة بانتظاره لمقابلته خوفاً من العجز عنها مع قدرة عليها من الطائف بعد ارتخاء الأعصاب به.. وهذه طريقة من طرائق قنديل في التعبير تشفع لي عندك إن شاء الله.

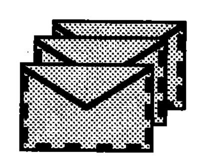
الرسائل بين يدي المتعهد بنسخها وستكون معي يوم أطلع.. من دول! إلى الطائف. أما ما معها من رسائل أخرى لآخرين فهي كما هي في مواضعها..

كان لك عندي تمر وسكرية من المدينة وبقي حتى الآن على أمل أن تنزل أو أطلع.. ولعله يصلك اليوم عن طريق زيدان أو لزيدان من طريقك، فهو قسمة بينكما.

إلى اللقاء وشكراً،

أخوك

حمزة شحاتة



براهين الإدانة

أخي محمد عمر

لا بد أن تكون متوتراً مني.. وإلا فما سبب غرقي في نفسك هذا الغرق المطبق.. ولا شك أنك قد فرغت من صنع البراهين اللازمة لادانتي.. ولن يكون في وسعي أن أهزم برهاناً منها.. فأنت في طورك الأخير عنيد متصلب.. وهذا من تأثير «الرقعة».. على مزاجك.. وأنا منذ غبت عن عينك أصبحت عبارة عن وضعية شوط شطرنج في نهايته.. يكثر فيها التعقيد على قدر ما تَقِلُّ القطعة الباقية ـ فلكل صغيرة اعتبارها الكبير، ولكل حركة ميزانها الدقيق.

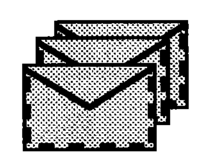
وكوني لم أكتب إليك طوال ثمانية شهور أمر يفسح المجال لعشرات الظنون والاحتمالات.. والتفاسير، على أني قد أكون واهماً، وأن الموقف عندك لا يستأثر أية أهمية، ولعل هذا هو الأرجح.. ففي بعض الظروف يستغرق انتباهنا شيء ينسينا كل الأشياء، تماماً كما يحدث عندما نحب.. أو نحزن.. أو نُصاب.. أو نحاول حَلّ عقدة معينة.. فيذهلنا الاشتغال بذلك عما عداه. ألم يحدث أن تنسى وجودي أثناء اشتغالك بكتابة قصتك؟ أو بانقاذ جندي في حركة تقدر خطورة نتائجها على الشوط ؟

إني مستغرق في هذا الفراغ الكبير الذي يحيط بي خارج نفسي وداخلها.. تمتلىء فيه نفسي بهذه الفواجع التي زلزلت كوني الصغير.. ولله الأمر وهو ولي التوفيق..

تحياتي وأشواقي.. وحفظك الله،

أخوك

حمزة شحاتة



أريد أن أحيا

أصر عريف أن يقرأ هذه الرسالة وقرأها.

أخي محمد عمر

الآن فرغت من قراءة رسالتك، وعرفت أنك تستقبل طوراً نفسياً مدى الحركة فيه أن تدور على نفسك. وهذا أسلوب من العيش يُعفي الحيّ فيه من جهد الحركة، فيكرع من رحمة الله التي لا تنفد. والصبر يا سيدي شيء لا يَلجأ إليه القلب المشبوب إلا متى أحس بعجزه عن الطلاب والغلاب، فهو باسم الاذعان أو التسليم أو الانقياد أو اليأس أو الزهادة، أولى. وما أعرف أني صابر على شيء، ولي فيه غير الصبر حيلة، ولكنا ـ معاً ـ وغيرنا من الناس، أو كثرتهم، نفهم الصبر على أنه مغالبة النفس، ومصابرة الصعاب، على أمل الفوز، وحرارة النشدان، فهذا ـ حفظك الله ـ الأمل، وليس الصبر..

فما أوردته في رسالتك على معنى الصبر والاستسلام، قد جريت فيه على طريقة السلف، أو على طريقة الوهم الشائع..

والحياة يا صديقي ـ بعد ـ دولاب ما يكفّه عن الحركة أن أحد قواطعه جمع رأيه على أن يأنف هذه الحركة ولا يشترك فيها، ولا أن جميع قواطعه تجتمع على مثل هذا الرأي، فما دامت «العجلة» تدور، فالقواطع تدور وإن كانت في ذاتها معطلة الحركة، إلا إن استطاعت أن تقطع صلتها بالدولاب وفي هذا معنى مماتها..

وللدولاب ـ يا سيدي ـ رأي في نفسه وفي سيره وسرعته، يقل أو يزيد أو يتساوى، بما ترى له الدواليب الأخرى، أو بما ترى له أمداء ما يستطيع تحقيقه، ولكن للقواطع، أو لاحدها، أن يظن أنه هو الدولاب، وباعث الحركة، وسببها، وأن يرى أن الدولاب «قاطع» كبير يلتوي لأن الاستقامة تعوزه.

وبعد، فان كنت لا ترى في ما يقول القوالون جديداً، فذلك لأنك تعيش

بفكرك السباق في مستقبل الحياة لا في حاضرها!! وما علينا بعد إلا أن نعتقد أن مجهود الحياة، والأفكار، والعقول، والتفوق والعلوم، باطل.. وأن الدولاب قاطع ملتوٍ لا يسعه أن يستقيم.. وهذه ـ على الأرجح ـ نتيجة لا تزلزل أعصابي، لأني قدير على هضم الأرزاء، بالرغم من أني أضعف الناس عن احتمالها.

وتقول أننا تناولنا في أحاديثنا اليومية ألواناً من مشاكل الفكر والإحساس ما أحسبنا انتهينا فيها إلى غير رأي متفق عليه، أو مختلف فيه.. وأنت تسوق هذا الكلام دليلاً، على أن التعرية تكشف معها خبايا النفوس، وتزعم في جد أنه لم تبق لي فكرة منطوية في نفسي، لها صلة بالحياة، لا تدريها.. فان كان هذا تمهيدك لأن تدعي «جديداً»، فإني معلن تنازلي عن مجموعة نظراتي في هذا السبيل.

إنها الألفة يا صديقي، وليست التعرية، ولطول المسايرة عصف، حتى بالجمال وهو مادة البقاء للنفس الشاعرة العاشقة. وكل شيء في الحياة قديم، يمكن أن ينقلب على عينك جديداً، متى سرت بحس المتطلع الراغب، لا بحس السائم المنصرف.

وما أنكر أني اختلفت في عينك عما كنت فيها، يوم كانت العلاقة جديدة، بل ما أكثر سروري بأن كان الأمر هكذا.. ولكنك في عيني كما كنت عرفتك. ولكن أهذا من ضبعك بي أو بنفسك؟ كلاّ. أنه من ضبعي بنفسي.. فما أبحت لها قط أن تحمل عليك اعباء حسّها الثقيلة، وتكاليف مطالبها الوعرة.. ولا تطلعتُ من وراء جلدك الى ما يخفيه، إنما عرفتك انساناً كالناس يكون قوياً فاتناً، إذا أسعده الجهد، ولم يضق به ذرعه، ويكون ضعيفاً يستثير الشفقة، إذا انقطع به لغو به ـ أو تزاحمت أنفاسه.. فاذا قال قائل إنك ضعيف المقدرة على الاستفزاز، قلت فهو بهذا الضعف قدير على أن يحملني على حبّه. وما أردتك داعية، تلمّ الناس حولي، حتى يؤسفني أن تكون ضعيف التأثير فيهم.. .. وإذا حسبت أنت أن للأدب أثره في العلاقة التي نتبادل أواصرها في نشاط تارة، وفي همود أخرى، عددت لك من الكتب ما قرأت لتعرف أن كتاباً ثمنه قروش،

يضمن لي ولك من فائدة العشرة وجمالها ومتاعها، مالا تضمنه صداقة أديبين، بل عشرين أديباً..

وأنا يا صديقي العزيز، عرفت ضعف الحياة في نفسي، قبل أن أعرفه في نفوس الناس، فان جئت أعيب عليك الكذب أو الجشع، أو فتور الحيوية في جاذبيتها الفعالة، رجعت إلى واقع الحياة، وإلى صداه في نفسي وأفكاري، وماضي عمري وحاضره، وما حفل به من المؤثرات مداً وجزراً، وسعادة وشقاء، وعدت إلى قوانين الاستطاعة والمقدرة، وطبيعة شعور الحي ودوافعه الانسانية، والحيوانية، وعكفت على طائفة من الأفكار والقوانين والقواعد، أعرض عليها أمرك، فأكون أخيراً ، كمن ينصب محكمته للدفاع عنك. وهو يعني الدفاع عن الحياة، أو عن رأيه فيها.. أو عن حياته هو كإنسان.

فأنت ترى أني أدفع عنك عوادي الفناء في نفسي وبواطن إحساسي، وأنت ترى أني إنما أخذتك وآخذك بما لا يخرج عن طوق انسان عادي أن يحققه، فبقيت على حالك في نفسي لم تتغير. وقد قلت لك مرة ونحن نسير ليلاً.. أن تسعة أعشار شقائنا إنما تجيء من ناحية إفراطنا في تقدير قيمنا. وكانت هذه الكلمة عنوان حديث طال حتى ضنكت به، أو حتى ضنك به كلانا.. فاليوم أقول - ياصديقي - أن تسعة أعشار فجيعتنا في من نحب ونود، انما تجيء من ناحية إفراطنا في تقدير مزاياه وافتراضها. والمثل الأعلى للإنسان أو للحياة، ما يزال فكرة لم تتحقق بعد، ولو شاء الله لها أن تتحقق، لكان معنى هذا، أنه شاء للحياة أن تنتهي. والكمال - كما قلت مرة - نشيدة الحياة المطولة.. ونحن نعرف الجمال الكامل، ونتطلبه، ولكنا نتبلّغ أحياناً، ونتدله أحياناً، بما يعدّ تحت الصفر بالنسبة لما نعرف ونتطلب..

وقد قال محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، بطل الانسانية لامرأة ارتعدت فرائصها في حضرته.. أو لرجل، فما أعرف إلا معنى الحادثة: هوّن عليك، فانما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد..

فإذا غصصت بشيء مني، أو بشيء فيَّ، وهالك أن أكون هكذا، فاعلم أن هذه الغصة، عقوبة إفراطك في افتراض مزية لي أعجز أنا، أو يعجز الناس

عن تحقيقها. والصديق يا صديقي، ليس أجيراً، سائق حياته الوحيد أن يرضي رغبات متبوعة. فالصداقة - في ما أعرفها - صدق، والصدق حرية النفس والفكر وقانون انطلاقهما من كل قيد. والصداقة بين رجلين، تختلف عن الحب، لأنها أقدر على التعقل والحرية.. ولذلك كان مزاياها وتبعاتها والتزاماتها أبعد أثراً في مواقف الجد والدوام ومغالبة الفناء وأسبابه..

ولقد كان عريف يقول لي يوم الجمعة، في حديث طويل ممتع، أن غلطتي التي تحول بيني، وبين استمرار افتتان الناس بي - على نفاذي في هذا - أني أتكشف لهم عن دخائل حياتي ونفسي وفكري وطبائعي، في سهولة وسرعة.. فيكونون أمامي بعد السعي والرغبة في الاتصال بي، كمن يقول: أهذا هو؟..

إنه هنا يترجم لنزعاته المكبوتة، ويمثل لافراطه في تقدير قيمته، ولبرمه بتعاسته لعجزه عن تقريرها وفرض الايمان بها على النفوس والأفكار. وإلاّ فقد عرف - كما عرفت - أني أوثر الضعيف على القوي أحياناً، والساذج البسيط على الرائع الفاتن. ولست مع الأقوياء أضعف سبباً، ولا أقصر خطواً، ولكن لأني أفرض لنفسي - في نفسي - قيمة الصفر يتحرك على يمين الرقم فيكون سبب رفعته وحياته، ويتحرك على يساره.. فلايزيد ولا ينقص بحركتيه لأنه الصفر فسحب..

وأنا كثير الكلام - لا شك - ، ولكني لا أقول إلا ما أريد أن أقوله، ويندر أن يتحلل لساني من قيود ارادتي. وكذا أنا في سيري، أو في سلوكي الاجتماعي، أو في حياتي كإنسان، لا أفعل إلا ما أريد أن أفعله، وإن كنت أفعل ما أكره أحياناً، فلست مغلوباً في هذا على أرادتي، لأني لو لم أشأ أن أفعله، ما فعلته.. ولأني أريد أن أحيا..

وأنت تقول أننا في جو يستحيل أن تكتسي الأفكار فيه لباساً جديداً، فهل تعد هذا ذنباً لي، يتحتم عليَّ أن أعتذر إليك عنه؟ لطالما قلت أن الحياة نفسها لاتقدم الجديد إلا في أسلوب وحركة.. وأنا قد أحببت خمسين جميلاً، وأعجبت بمئات، فهل كان لكل جميل خلقه المستقل الذي يغاير خلق أغياره؟.. كلاّ. إنها الوحدة، والقرابة، والمشابهة.. ولا شيء إلا اختلاف الأسلوب،

أوالتباين في معنى.. أو في حركة.. أو في لفتة..

والحياة أغنى وأقدر على تنويع ذخائرها، فلماذا لا تطلع علينا كل يوم، إلا شمس كل يوم، ولماذا كان البحر فيها هو البحر، والجبل هو الجبل. والأنثى هي الأنثى.. إلا الأسلوب.. إلا الأسلوب ؟؟ ..

لست أكثر شعوراً بما دعوته.. «هذه القدمية العتيقة».. في رسائل أصدقائي، فمنهم من لا أبلغ غباره مقدرةً على التلاعب بالألفاظ، وتوليد المعاني وتركيبها، ومن أخور دون مقدرته على المماطلة، ومن تبعث العبارة من كلامه حرارة الحياة في دمي، حتى أراها على غير ما كنت أراها. فهل تقاس الكلمة بما تعنيه في ذاتها المحدودة، أم بما تفتحه أمامنا من آفاق وأمداء، وما تبعثه من حركة ؟ ..

أما الجديد، أما الجديد، فشيء لا تفعله الحياة، على ما نؤمن به لها من استطاعة. فما نرهق غيرها بأعباء التزامه دونها !.

وبعد، فان كان في هذا الكلام الطويل، ما يمسّ استغلال شعورك بنفسك، أو ما يلهب حماستك، ويجرك إلى غشيان حومة الجدل في عراك كلامي يطول ويمتد، فلأنك لا تدقق في اختيار ألفاظك لمعانيك تدقيق من يعرف أن لكل شيء تبعته.. أو لأنك تخطىء أحياناً فتسيء الظن بعمق فهم سامعك، وما أختار لك أن تكون هكذا، فربما ضاق مجالك بين الأحياء به..

وللهزل كما يعلم كلانا، مناسباته وأساليبه، وله أيضاً مبرراته وحدوده. وأخشى أن تكون قليل الصبر على أن أكون غير ما كنت، أو غير ما أريد أن أكون. فهل كنت تهزل أم تجد حين قلت «ما زلت أنت وما زال كل قوَّال هنا يعيش وفي ركن منزو من نفسه كمية مختزنة من الرأي والعقيدة لم تتغير، ولن تتغير أبداً»؟؟.

أفهذا من ضمن ما تتسع له حدود الصداقة والود وتبعاتهما ؟..

إنني لا أجد في أن أحتملك غضاضة أو مضضاً، لأني لم أفرض نفسي «كقوَّال» قيمة يضيق بي أن ينحدر بها تقديرك. ولكني لا أريد أيضاً بأن تشقى

لأنك تفـــرض لفكرك المقـــدرة المطلقـــة، أو الحق في اعطاء هذه الأحكام وفرضها..

وإذا كنت ـ حتى الآن ـ لا أعـدو عندك قـوَّالاً من القـوالين، فـانما تكون عندي انساناً يستحق التأديب. وما يرضيني أن تخشى هذا الوعيد، ولكن يرضيني أن تستخف به.. لا لأني، أكثر من قوَّال، ولكن لأنه ليس من حقك أن تقول هذا في مجال التودد إليَّ، كأنك تقدر فيَّ تحجر الفطنة.

والآن حسبك بما اتسع له وقتي ـ على ضيقه اليوم ـ وإلى اللقاء حيث يريد «الجديد» الذي يستطاع معه مران النفس ورياضتها على ما يشبه المشقة، في حياة ضاقت بركود الراحة وطمأنينتها..

واقبل تحياتي،

أخوك

حمزة شحاتة

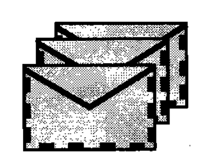
أخي محمد عمر:

دي حتة تعليقة على الهامش.. وفي الكتابة في ذيل رسالة الأخ حمزة ما يجعل التعليقة «زعراء».. حتماً. والواقع أني مشتاق محموق من عدم ارسال الروايات وإلى اللقاء في الطائف لفتح اعتماد القيامة الشفهية معك.

ودمت

أخوك

عبد الله عريف



إن لعصعصك عليك حقاً

أخي محمد عمر

فازت دونك رسالة عزيز بأني تلقيتها على مكتبي، حيث كان الجو ملائماً للرد الطويل، على ما فيه من غثاثة. وأنا الآن بالبيت، حيث تُصفِّر الريح مولولة، عقب أكلة ثقيلة، لم تدع فيَّ لغيرها بقية، فليكن الرد عليك (طرقاً) عكسياً، يُذكِّرك بأن «لِعُصْعُصِكَ» عليك حقاً، فأنت رجل يتسع ويمتد نصيب فكره منه، حتى ما يدع لشيء من الأشياء مجالاً معه.. حتى رسائله إلى أصدقائه ـ النائين ـ تغدو حلقات درس يتصل فيها فقه القول على ما يشبه تعبير الزهاد في الصوامع والبيعات وما تطيق أعصابي ـ ولا أكذبك ـ هذا النمط من جدّ القول أو هزله، ولك عليَّ عهد الله أن أقول لكل حي ألقاه إلى الجمعة التالية، أنك في هذا هزمتني. فأفاء الله عليك بهذا العهد، ما يهوِّن في نفسك مضض الانكفاء عني بالخيبة في مجال ما تسميه فلسفة، أو ما أحسبه فلسفة.. حتى يقيض لك فرية غيري.

قال معتزلي:

يد بخمس مئين فضة وديت   ما بالها قُطعت في ربع دينار؟

وقال آخر:

ألقاه في اليمّ مكتوفاً وقال له   إيّاك إيّاك أن تبتلّ بالمـــاء

وقال غيره:

كم عالَم عالم أعيت مذاهبه   وجـاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأفهامَ حائرة   وصيَّر العالم النحرير زنديقاً

فالنحو في هذه الأمثلة يتجه اتجاهاً متماثلاً، مصدره الشعور بتناقض

القيم وتضارب الأحكام.

فلو قال الشقي: لِمَ أشقى؟ ، وقال السعيد لِمَ سعدت؟ لما كان الجواب إلا أنها مشيئة الله. فاذا ألاحت مسألة العقاب والثواب، والجبر والاختيار، بشعرها المنكوش كتب الله الهزيمة على كل كافر ثائر.. وترصدته اللعنة الخالدة..

فان ذهبت تلتمس الصلة بين ما قلت، وما قال المعتزلة، أو معتزلتهم، أضفى الله عليك من ثياب الفلسفة أطولها، بل أسبغها طولاً.. وما أرى هذا الفهم إلا جناية من يرى الماء، فيقول أنه ماء.. أو جناية من يراك فيقول أنك تشبه أباك..

أما إن كان هذا المذهب من القول، فلسفة، أو كلاماً له ما لسائر الكلام من صفات، فما يطول الخلاف بيني وبينك على مثل هذا - إن شاء الله - وما يسوءني أن يبدلني الله بكل صحيح أعرفه، صحيحاً تعرفه، وسيان أكانت الفلسفة ما زعمتها، أو كان كل كلام يند عن فمٍ، فلسفةً، فإني ممن انتهوا مع افكارهم إلى هوادة تتهادن فيها النقائض أو تأتلف..

ولك بعد تثبت وتلج، في أنك لا تشبه أباك، ولكن ليس لك أن تنكر صلتك به.. ومن الأشياء شيء لا يستقيم دليل على أنه صحيح، ولكنه صحيح. إن استقام الدليل، أو مال.. فأنت فيلسوف على هذا الأساس، أو فيلسوف على أن بين ما قلت وقال فلاسفة المعتزلة قبلك، مشابه، وصلات، لعل هذا الكلام في صدره، قد ألقى شبهة الاحتمال عليها..

ولو وقف متهم بالسطو على خبز أمام قاض فسأله أحق أنك سطوت.. فقال نعم ولكن بباعث الجوع والحاجة الملحة. لما كان جوابه جواباً ولكن جوابين. فاذا قلت أنك تتفلسف في معارض النفس والحياة.. لأن نزوات السأم العارضة من شأنها أن تدفعك إلى ذلك.. فما يدفع عن الفيلسوف أنه يتفلسف مضطراً غير مختار.. وما أحسب أن في الدنيا اختياراً، انما هو الاضطرار على درجات فأنا بترجيحي لوناً على غيره من أطعمة تجمعها مائدة، إنما انقاد مضطراً لعامل الترجيح فيَّ.. وحتى ما تسوقه البديهة عفواً لا بد أن يكون

صادراً عن حركة باطنة، لا يمنعها خفاؤها علينا، أن نسلم بوجودها.. وعلم النفس هذا أوسع مجالاته، وأقوى دعائمه..

وقد قلت أن نقمة الناقم مظهر معكوس لحب الوجود. وهذا صحيح، على أنه في الظاهر ليس كذلك، وعلى أنه في نفس الناقم لا يلقى دليلاً على الصحة.. ولعلك لم تدرك أني كنت أمزح في أسلوب من الجد، أو أجِدُّ في أسلوب من المزح، في رسالتي الأولى إليك، وأعني سابقة هذه...

وقلت «ما بي أن أضرب كما تضرب الخفافيش.. ولكن أن أمضي في العيش مضيّ من تدفعه مناسباته وظروفه» وهذا كلام لا أجد أنفى منه لمعناه المقصود. فما تدفع الخفافيش إلا مناسبات حياتها، وظروفها وعواملها، وكل شيء في الحياة قوة، والقوى بعد تتغاير وتتفاضل، وما أظن أن حياة أي متنفِّس تخلو من دوافعها ومناسباتها وظروفها وعواملها.

فأنا وأنت والخفافيش في هذا سواء.. ولا معنى للتظاهر بالإباء وقلت «لئن كان في أسلوبي شيء غير قليل من الاندفاع الوخيم، فذلك ما قد ترفعت عنه من أمد غير قصير».

فهل أفهم من هذا أنك غدوت مثل الخفافيش في سراديبها المظلمة.. فذهبت ترعد بهذا الزئير المكتوم؟ أم أفهم أنك عنيت معنى لم تصطنع له ألفاظه الخاصة فجاء مفكك الأوصال ؟..

وبعد فما أعدُّ لك من الحسنات حسنة تعدل عندي وفاءك بما ابتدعت أنا تسميته بالالتزامات الفكرية أو النفسية. فان قال عزيز غير هذا، فإنما يقول رأيه فيك لا رأيي، أو انما يقول رأيه في نفسه، في شكل تهمة مزدوجة يأخذ كلانا نصيبه منها. ولو شئت لعتبت عليه سوء استعماله لحرية لسانه، عتباً يدخلك من كل باب، يخرج هو منه بأوكس النصيبين..

وأنت الكريم المرموق.. وإن شئت طويتُ وطويتَ أمثال هذه الهنات التي تشبع الانسان عن قلب أخيه بعداً، كلما ازداد قرباً.. وما اشتريك به في هذا الكلام، ولكني لا أبيعك بعدد شعر رأسك من الناس .. وليس هذا لأني أحبك.. بل لأني أحب نفسي.. فأنت في مأمن حتى من ايماءة المُنَى.. وحبك بتزاحم

هذه الميمات في جملة، دليل على أني أرسل قولي من قرارة النفس. لا من طرف اللسان. وأرجو أن لا تعصف بحالة الود بينك وبين عزيز آراؤه العارضة، فهو انسان يغلبه لسانه على ما نعرف له من ضعف مبين.. وعساك تجد الجرأة على أن تقريه هذه الرسالة، فلعلك تكتشف في ارتطامه بنصيب منها أينا أصبح مهماً لانسانيتك وقوتك في التزاماتك. وإلى اللقاء.

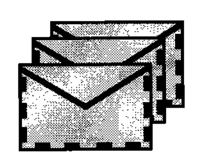
أخوك

حمزة شحاتة

أخي: عريف

أنت البادىء السَّباق دائماً فيما عرفتك، ولئن كنت عندك بالمكان الذي ليس بعده مكان لصديق أو حبيب، فلأنك مولع دائما بأن لا تدع الغاية لغيرك. ولكني سأعاندك فيها، وأصاولك عليها.. فأقول.. إنك عندي بمكان ليس فيه إلا أنت وحدك.. وهذا مكان لا قبل له ولا وبعد، تتمتع فيه بحرية الانفراد.. ولا تدفع له أجراً . لا كمكانك الزاخر بالأصدقاء والأحباب، الممتلىء بحيث لا يسع جديداً ، أو يبش لطارق. وليس من حقك بعد أن تلومني على أني لم أذكرك حين ذكرت أصدقائي، فما يُتذكَّر إلا المنسي، وأنت القائم في نفسي وأمام عينيّ.. ومالك ولاستعداء التقاليد، وقد عرفت ايماني بها من قديم وما لك وأي شخص تتخذ من لسانه رسالة، لم يحمله ضميره على أدائها. وفي الوقت فسحة، وليس لمشتاق عذر..

وعفواً لأني لم أجبك برسالة مستقلة، ينوء نشاطك دون اتمام تلاوتها لطولها.. وإلى اللقاء قريباً.. حيث يتسع الوقت والجهد لها.. وسلمت..



الجــهدقــتَّال

أخي محمد عمر

قالوا .. وهام الجعران بالشمس هيامه، وأطال اليها الشكوى، وخطبها بعد أن استفاض في حديث حبه، فشاءت أن تدفعه إلى حيث تمتد به الشقة.. فقالت أنت لا تستطيع الصعود إليَّ، فأين ترى نلتقي! فقال في هذه الأرض الواسعة. قالت وما شأن هذه الأقذار التي تتأفف لها نفسي! قال سأطهر الأرض منها.. قالت فما لي بغيرك ثقة، قال فسأضطلع بالعبء وحدي..

قالوا.. فهو من يومه ذاك، موكل بما لا ينتهي من هذه الأقذار، لا يختفي منها شيء إلا لبلوغ شيء، وهو على حاله من النشاط والدأب والأمل الموفور.

فدونك أنت يا صديقي، وهذه الحثالة من الناس، تُنَقّ الجو من أنفاسها، وأرى أن صاحبك رماك من الجهد الجاهد، بما لا ينتهي.. ولا تنتهي منه، إلا أن رزقك الله عمر نوح، في أمل جعران!.

وبعد فما أود أن أضاعف عليك الرزء، فما أعرف أنك تضرب إلا في خواء.. وستعرف متى ثاب إليك رشدك العازب، أن الإنسان يصاب في عينه وهو مبصر.. وستقول إنه عمى لذيذ، هذا الذي يجعل للدنيا غير لونها الكالي، فما يسعني أن أنكر عليك دعواك، إلا أن أنكرت على المدمن قوله في الخمر.. والعشق سكر، والجمال مادته، والدنيا لا ينتفع بها أو بنفسه فيها، إلا غير المفيق، وإلا غير الخاضع لأحكام عقله.. بل لأحكام العقل.. فما يرى الانسان الرأي في الجمال بعاطفته وحدها وحسه، بل بعقله أيضاً..

وقد قسم الله الأرزاق بين الناس أول الخليقة، فسرى التذمر بينهم.. كل يتطلع إلى قسمة غيره صعوداً.. فأرضاهم الله بقسمة العقول، فما ترى من يرضى أن تبدله بعقله عقلاً..

وما أطيل لك القول، فإني أجد في إرساله هذه الأيام مشقة، وأحس أن

برأسي (قبضاً) لا ترخيه أقوى المسهلات. فصنع الله لك بهذا اللين ما تطول به لذتك، ويمتد حبالك، فأنت جدير بأن تكون سعيداً..

ولو كانت رسالتك أمامي الآن، لكان الأرجح أن أجد مجال القول واسعاً فقد أحسست فيها بتهافت يسفّ ويغلو ـ لا يعلو ـ ، فالحركة فيه لا حركة الحياة ولكنها حركة مغالبة الفناء ـ فان كانت في العين حركة، فهي في الفكر سكون.. وما أصعب أن تحدد الألفاظ ما نريده، أو ما نشعر به. وماذا نصنع بانسان يعرف من الهجو أنه مديح؟ ذاك قد أطلقه الله مما قيدك به، فما نال منه على الجهد الناصب، إلا ما نال الريح من قفاك حين توليه الجنوب في كل مساء، منطرحاً على كوعك تتطرح لك الدنيا مطارح الإغراء والضراعة، وأنت صادف عنها صدوف الغني الممتلىء، لا يرى في أيدي الناس، إلا ما يزيده العرض والظهور هواناً عنده..

والحمد لله على نعمة الخيال، ورقة الحال، ومن صرفه الله عن التعلق بماذا تكون عليه عقباه، فقد صرف عنه تسعة أعشار المشقة، وقديماً قيل أن الجهد قتّال، ولكنه لا يفعل بمثلك، فعله بآخرين. فالمشقة عندك أن تطوف الدنيا، غير محرك رجلك، وليس في ما تريد ما يستعصي عليك أن تقيمه كاملاً في لمح البصر. فأنت تبني البيت، كما تنظم البيت، وقد ترى في الحياة ما لا يقع من نفسك موقع القبول والرضا، فتليح لجانب من وجهك، فاذا الأشياء تتذابل.. وماذا بعد أن تكون خالق كونك الصاخب، إلا أن يحتل عرشه الخالي، ملاك إن فات قدرتك خلقه، فما يفوتها تحسينه، وإضفاء شيات الفتنة عليه، حتى يكون خليقاً بأن يحكم دنياك ويسوسها، وأنها لفرصة..

وقيل لي أنك تهاجم، أو هاجمت قصيصاً، فإن كان هذا صحيحاً فاني أسأل لك السلامة من عقبى ما تجره عليك هذه الوعكة.. ولن تجد في خمسين قصيصاً عندنا من يتسع قلبه للرأف بك، بعد أن تمس حرمة واحد منهم، بل من خيرهم، بل من طليعتهم الجبارة، بل دنكشوت هذه الطليعة، وأعني قائدها.

وليس من الخير لي ولك أن تقول في القصة، ما يقول نقادها، ونحن من قرائها لا أكثر.. فلو طلع عليك القصيص، بفلسفة الحبكة، وطرافة المفاجأة،

وإحكام العقدة، وتسلسل الحوار.. وحشد لك مما قال، فرانشي، ودبور، ودانز، وهبلوس، وفالس، وزوابت، وماكس، وآرني، وهيوم في القصة وفلسفتها، ما يملأ عمودين في صوم الحجاز، لما كان في وسعك أن تنكر أن ليس بين هذه الأسماء اسم كائن عرف الأرض، أو مارس الحياة. فما يدريك أنه قدير على أن يفاجئك بأن لأحدهم عدة مؤلفام في نقد القصة ؟؟.

وللرجل بُعْد قدير في الانجليزية قدرته في العربية، فلو أطبق عليك، فإنما يطبق بمحصوله منهما، فماذا أنت فاعل بلغة لم تحذق بعد ما يحذقه خريج دار علوم، فيها، مثلا؟؟.

ونحن - يا صديقي - أبناء عصر خلا، فمن الخير أن نترك المجال للقصة وذويها، فما نملك - وهذي قوانا - أن نسد على الناس سبيل السير.. ويؤذيني أن لا أستطيع أن آخذ بيدك لو أعييت - وهذا محتمل - ، فما بقيت لي قوة الاجابة، لا تدفع عني ولا عنك شراً.. وكتاب القصة عندنا عشرام ولا أعرف فرجة في صفهم، وهم أميل من كتاب العهد القديم، إلى التكاتف، والسواد معهم.. ودفع الله عنا الشر، والشماتة، وسوء المصير..

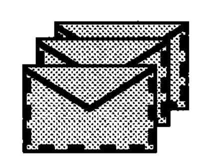
وهذه يد سيحمدها لي الرجل، كما أحمد سالف أياديه عليَّ، أن نجحت في صرفك عن إثارة المعركة، كما نجحت في حمل المغربي على نشر مقالك كاملاً غير منقوص..

ورأيت البارحة - فيما يرى النائم - الرجل وصديق للجميع معتنقين في حماس وكلاهما يضحك للآخر. وفسر لي هذه الرؤيا رجل أثق بعلمه، فقال إن العداء بينهما سيستحكم ويستحيل (هراشاً).. قلت فلو رأيتهما في (هراش).. ماذا كان يكون التفسير؟ فقال في هدوء: العكس.. فصرف الله العناق بالهراش إذن.. لينصرف عنا سوء ما تفضي إليه المشكلة..

غدا الخميس، وسنذهب جماعة إلى وادي محرم.. فليت في وسعك أن تشاركنا - وإلى اللقاء..

أخوك

حمزة شحاتة



اسأل الجفالي عن الأرباح

أخي محمد عمر

دعنا ـ بعد هذا الصمت المريب ـ من جانبي وجانبك نتحدث في الجد.. فالمليان أولى..

الشنطة مع أم العيال التي تحمل إليك هذا الخطاب.. لقد رفض حملها كل من عرضتها عليهم من الإخوان.. والرفقاء.. والمعارف.. ولعل الأمر آت من أن ارسال شنطة.. فارغة.. أمر لا يصدق.. ولا يمكن أن يحمل على الظاهر..

هذه واحدة.. والثانية.. أني وصلت بخير.. وفي الوقت المناسب.. لأن الأم عزمت على زيارة أهلها وأنا كما لا أحتاج أن أقول.. أؤدي الآن أي من الآن.. بصورة استغراقية دور الأم.. وقد تهيأت له خلال شهر ونصف منذ حضوري..

أفأنت بحاجة بعدما تقدم إلى اعتذار عن تأخر الكتابة إليك؟ لا أظن..

ومن المليان.. أني قابلت في الأيام الأولى.. الأخ يحيى أبو الفرج.. وترجل من سيارة عندما رآني في الشارع.. واعتنقنا.. وعرفت أنه عائد إلى الحجاز في تلك اللحظة.. وكان في منتهى الرقة..

ولم أسمع جديداً عنك. إلا أن في نفسي اطمئناناً من ناحيتك فأنت إن شاء الله في رعايته الدائمة.. ويسرني أن أتلقى منك مزيداً من التفاصيل..

تحياتي إلى الشيخ ابراهيم السليمان.. وأعتقد أنه لم يدع من وسعه شيئاً في موضوع عبد المجيد.. ولكن الأمر في عمومه صعب العلاج.. ولا شك أن عبد المجيد في رعايتك الموصولة.. ولاحول ولا قوة إلا بالله..

سأكتب إلى سعادة الشيخ قريباً..

هل من شيء يقال عني كملاحظات منك..؟

أوصيت الأخ نور جمجوم أن يرسل إليَّ خميرة بيرة أمريكاني لا توجد هنا وهي لازمه للأطفال كعلاج.. فاذا تهيأ لك أن تبعثها مع صديق قادم فأرجو أن تتصل به لإعدادها..

زيدان كان هنا.. وعاد.. ولم أعرف ذلك إلا من البلاد السعودية.. قبل ثلاثة أيام.. في خبر عودته المنشور بأحد أعدادها الواردة للأستاذ عبد الله عبد الجبار.. وطبيعي أنه تجنب أن يشعرني بوصوله..

أرجو أن تكون بخير.. وهل من خدمة؟ أرجو الاتصال بالإخوان آل الجفالي لسؤالهم عن الأرباح المنتظر توزيعها هل حان وقت صرفها؟ وبأية نسبة ستكون.. وماذا لديك عن أخبارها.. وعن أخبار شركة كهرباء جدة.

وسمعت أن مشروع انتقال الوزارات إلى الرياض قد تحقق الآن.. فهل أنت في الباقين بمكة؟

هل أتممت قصتك.. أم لا تزال مستمراً في عملية الخلق؟ لعله قد تهيأ لك فيها ما يحملني على تغيير رأيي.

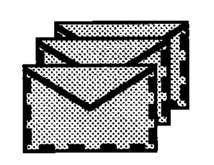
من يدري؟ قد أكون مستهدفاً للعدوى.. فأكتب قصتي - أو إحدى قصصي على الأحوال وربما أتوقف عند حد ما في انتظار ظهور قصتك.

إلى اللقاء أيها الأخ الكريم، ورعاك الله.

أخوك

حمزة شحاتة

القاهرة



أختنق بدمعي

أخي محمد عمر

لم أر زيدان حتى اليوم. وانما جاءتني رسالتك إما معه أو مع رسول منه. وعرفت اليوم فقط من صهره ناصف أنه ما يزال بالقاهرة.. ولم يكن بوسعي أن أخجل من شيء تحملني عليه حالتي النفسية والجسدية، والتفصيل أسخف وأغثى من أن أركبك به بعد هذا الصمت المطبق..

إنه واقع لا يسهل تصويره مع انتفاء الجدوى لك ولي من عرضه في رسالة أحس أني أنتزع كل كلمة فيها من بئر بعيدة الغور حتى لكأنها من الفضاء الذي يلي الأرض من تحتها أو من تحتي فقد أصبح ما تحتي، ذلك الفضاء المتخيل ذاته.. حقاً، لا شبهة فيه.

ولست بهذا في شيء، غير ما فيه الناس.. كل الناس، ولكنها تهاويل النفس المريضة وزحمة الحس بواردات التحريض، والاثارة، لهذا الذي لا بد لي من اعتباره مرضاً، وإلا فما هو، أكاذباً كان أو صادقاً، وواقعاً أو وهماً؟.

ومن سلامة الذوق أن أعفيك من بقية الرحلة فأنت بحاجة إلى ما يُسري عنك لا إلى ما يُغثيك ولا شك أنك موثق الظهر، أو مقلد العنق، بما فيه الكفاية من نقائض حياتك ومفارقاتها.. وتواتر أحداث الصراع فيها ومنها وحولها ومن فوقها.. ومن تحتها، وهكذا تنزلق مرة أخرى إلى تحت.. كأنه دون أي اتجاه، مركز الثقل، فمن الخير أن نمسك، وندع الأمر كله لله. وللطفه ورحمته وحكمته..

نعم ياصديقي، لقد آنستني رسالتك بما تضمنته من معنى الوفاء لذكرى ماض سحيق انطوت به الأيام في منحدراتها العميقة.. واني لأسأل نفسي كيف وسعك أن تكتبها، وأن تتفرغ لها، وأنت في بحران معمعتك مع الحياة، فلا

أقول إنها بقية من نشاط الشباب لا يضيق بك أن تنفقها في وجه من وجوه الالتزام والاستجابة له، وهي نزعة الخير التي تنطوي عليها نفسك بلا شك أرجو أن يبارك الله لك فيها، وإن حملت طابع فتوة الخلق، وتقدير الذات في ما تجمعه لك كلمة «الشيمة».

ولعلك ترميني بالتهويل والاسراف. ولكن منطقي في تقدير ما يشق على غيري، هو القياس على ما يشق عليَّ. وقد أدلي لك معنى ما أريد بقوله تعالى: «وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين» ولعل المراد احتمالهم، وهنا لا ينافيها كبرها في الطرفين إلا باختلاف الاحتمالين، والله أعلم بالمراد على كل حال - ونحن أجهل وأقصر فطنة، وأضحل علماً، وأضعف ادراكاً، وأقصر بصراً.

وقد ينوب قولي هذا عن الشكر، فهو الآن لك مني لفظة مبتذلة تخلو من معنى الإثابة التي تقابل همتك في فضلك حاضراً وغائباً.. وقريباً وبعيداً، ولعل في الاضراب عن الشكر على هذا الاعتبار معنى أليقاً بأن يقال على أنه ذو معنى يُفهم أو يستساغ.

وبعد فأنا أرجو لك أن تكون على خير أحوالك موفّقاً للخير.. ولرضاء الله، مدلول الخطى على ما يحقق آمالك، وييسر أحوالك دائماً، ويعينك على ما تكون به موصول الطمأنينة والاستقرار. وأعاد الله عليك وعلى ذويك، الأعياد زاهية مشرقة. وحفظك ورعاك، وجزاك خير ما يجزي به واصلاً عن منقطع، وحافظاً عن مضيّع. وإلى لقاء قريب أيها الصديق الحبيب تحت سماء الوطن، وعلى رحابه الطاهرة التي ينزع بي حنيني إليها نزوع الظامىء إلى الماء، والساهد المؤرق الى كراه.. وحسبك فاني اختنق بدمعي الآن.

أخوك

حمزة شحاتة

حمل العبء

أخي محمد عمر

لقد علمتني أن لا أفسر.. وكتب الله لك بهدايتي إلى هذا المبدأ الذي تلقيته عن «دزرائيلي» على ما أذكر، جنتين، الأولى أنك أرحتني من عناء حمل الناس على عاتقي الموهون، أما الثانية فأنك أرحتهم من هذري الذي لا ينقطع..

وهذا هو الحق الذي سألتني في مطلع رسالتك أن أقوله..

كنا أيضاً متفقين على ألا تنقطع الرسائل بيننا، أو أن هذا على الأقل هو ما وجب أن يكون مفهوماً.. حتى تتهيأ لي أو لك، أو لنا معاً، أسباب تهيُّج جديد.. ففي آخر رسائلك إليَّ شكوى مريرة من نضوب قدرتك على الكتابة أو من نضوب بواعث تحريك هذه القدرة.. وتراني استعمل كلمة قدرة وهذا احتياط عقلي أنفي به الظن عن شهوة كلينا ورغبته.. في استدامة الاتصال الكتابي بيننا.. وفي ردي على تلك الرسالة ترديد صريح لشكواك، من ناحيتي، تلاقينا فيه لا على تقرير المبدأ والاعتراف فقط، بل وعلى التزام موجبه مع التصرف.. وهكذا سَكتَّ وأُسكتُّ..

وإنك لتعلم كما أعلم أن اتصال الكتابة بين أخوين، أصبح دلالة على توفر الوقت لهما، وأنت على هذا الاعتبار في حال أنا في مثلها.. وليس ما بيننا من عمق العلاقة ووثاقتها وصدقها بحاجة إلى ما يؤكده أو يزيده، أو يشبع الشعور به ويحركه..

إن ما سمعته عن احتمال انتقالي إلى الحجاز، صحيح من حيث انعقاد الرغبة منه وعليه إن شاء الله. أما أن لي عملاً معيناً، أو وظيفة مسماة، فهذا لم أتلق عنه إشارة مفصلة أو مجملة، حتى الآن.. وقد تكون الإشارة في الطريق!!.. وقد تكون من حيث لا أتوقع فيكون علم عزيز بها آتيا من هنا.

أرجو من الله أن يحيطك وكامل أسرتك بعنايته ورعايته.. كما أرجو أن يكون لك الله معيناً، فالحياة أعباء ومغارم.

ينبغي أن تنجب أكبر عدد من الأبناء الذكور لترصد لي منهم خمسة لخمس بناتي وإليك اسماؤهن على ترتيب الأعمار: شيرين، ليلى، سهام، نجلا، زلفى.. وحسن مآب إن شاء الله..

فاعقد عزمك على من شئت منهن، على أن يكون المبدأ، أن لا يفوتني ولد من أولادك.. فما يقنعني منك إلا أن تحمل العبء كاملاً.. وأنت أول وآخر صديق - على ما يبدو - ينعم بهذه الثقة النبيلة.. حفظك الله يا أبا فاروق ورعاك..

إن البنات هنا لا يتلقين في المدارس شيئاً عن أمور الديانة.. ولكن هذا مما يمكن استدراكه متى بلغن طور الإدراك.. أو هذا ما نرجو أن يكون بتوفيق الله..

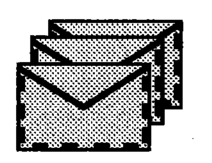
سافر سعادة الشيخ عبدالله ابراهيم الفضل إلى الحجاز، وأعتقد أن من غايات هذا السفر إجراء تعديلات عامة وترتيبات جديدة في وظائف القنصلية، والمفوضية، ومعظم الموظفين فيهما.. وأرجح أن سبيل نجحه ممهودة بالنسبة لشعور المسئولين عندكم بضرورة إمضاء هذه التعديلات من زمن بعيد.. ويلوح لي أن الشعور بالحاجة إلى كفاءات جديدة يمثلها عنصر معين هو الموجه لهذه التعديلات المتوقعة.

ماذا تقول أنت في أن تقفز إلى هنا في هذه الحركة؟ ألا تجد مرشحاً ينفعك فتعيش حيث يمكنك إيجاد تناسب معقول بين مواردك واحتياجاتك. إن هذا التناسب أصبح مختل التوازن في الحجاز بالنسبة لتطور الغلاء. هذا التطور الذي أسمع عنه أروع الأنباء. حاول. وعسى أن يكتب الله لك النجح.

شكراً وإلى اللقاء يا صديقي،

أخوك

حمزة شحاتة



الحلم الجميل

أخي محمد عمر

ينبغي أن أكتب إليك قبل أن أغادر البلد.. فقد تقرر فجأة أن أسافر إلى لبنان، ولعلي أعود منها إلى مصر.. فالحجاز. والمفروض الآن أن الغيبة «بحالها» لن تستغرق سوى ثلاثة أيام.. ولكني أعرف أن من الخطأ أن نقرر ما يتعلق بالمستقبل.. فقد تطول هذه الرحلة فتكون أبدية. وإن كان ما يقال بعد ذلك، فإن أراك في خير إن شاء الله..

وليكن لقاؤنا ـ إذا قدره الله ـ بعد عودتي، عوضاً عن «منزال» العيد الذي أطت التهيؤ له من جانبي.

أعتقد أن الاتصال بابن ملوَّح من ناحية الموضوعية لا يقل دقة عن الاتصال «بالقمر» أو «بالمريخ» في الحلم العلمي الذي بدأه.. «مسيو بيكار».. أما من الناحية الشكلية فابن ملوَّح هذا لا يعُرف له مقر.. وقد قضيت ولفيف (مفروق!) من أصدقائي، منهم العتيبي ـ وعمر عبد ربه ـ وقنديل كل هذه الأيام ننشد الرائح والغادي على طريقة الشعراء.. والعشاق، أيام زمان! عن هذا الرجل، دون جدوى.

وبقي أني كنتيجة ـ لهذه الخيبة الجماعية ـ قررت أن آخذ الله خلفاً وعوضاً في «حلمك الجميل» لحسابي ! أم ترى أنه أصبح من الواجب أن أكتب إلى صاحب الشأن أطلب أمره بالقبض عليَّ وتسليمي لابن ملوَّح أو بالقبض على ابن ملوَّح وتسليمه لي؟؟ لأتمكن من فهم وجهة نظره هو الآخر في موضوع الأرض تحديداً.. وتمليكاً..

إن قلبي يحدثني يا صديقي العزيز بأن.. ولكن لا.. فأنت وكعهدي بك، ضد التشاؤم كما أنا ضد الإطراء.. ومن الخير أن أضع رأسي في «عُبَّك» خوفاً

من أن أعطيك دليلاً على أن التشاؤم هو صانع العُقَدْ..

لقد ابتدأت أنت، فليكن التمام من نصيبك أيضاً. أفكثير أن يكون عليك هذا..

سألني أحد ممن سمعوا نبأ رحلتي المفاجئة إلى لبنان عن سببها. فقلت إني أريد أن أدرس عملياً موضوع تصدير الفاكهة والخُضَرْ منها إلى الحجاز.. فقال مندهشاً. ولكن لماذا لا تتوظف.. قلت لم يعرض عليّ شيء حتى الآن.. ومعنى هذا أني لم أجد عملاً. قال «إدارة المطافىء».

فقلت: حتى هذه كانت مجرد خبر سمعته ولم تكن عرضاً.. أو طولاً!.. فضحك.. وقال: ولكن ألا تراها خيراً من مشروع التصدير؟.. فقلت: أما من الوجهة النظرية فنعم.. قال: والموضوعية.. قلت: لم أجربها..

وأذكر لك بهذه المناسبة قصة.. من أراد أن تطول لحيته فليمشطها من أسفل.. هي قصة حماقة من حماقات العجم اكتشفها «الحجّاج» فراسةً.. قبل أن يرى ما في داخل صندوق في داخل صندوق في داخل صندوق..

أيها الصديق! ـ نحن الآن في الحجاز.. وقد ضاق بعض المهتمين بأمري ذرعاً بحالي، فرشّحني أحدهم «مراقباً لغوياً للإذاعة» فقالوا له استوثق من رضاه أولاً.. فأعلنت رضاي.. فلما حمله إليهم خرجوا من الموضوع وبه بقولهم إنه يسخر منك.. إنه لا يمكن أن يقبل.. والذي لا يمكن أن يقبل هو أنا..

إننا ما نزال هنا.. هنا في الحجاز حيث لا يُصَدَّقُ شيء.. حتى أنك في حاجة الى العمل..

إن البلد في حاجة إلى فاكهة.. وخُضَر.. وليست في حاجة إلى موظفين يطلبون أعمالاً.. لو كانوا بحاجة إليها.. لما ظلوا بدونها حتى الآن.. إذن فهم يسخرون.

أنت مشغول.. مشغول عن أن تقرأ أو تجيب.. أعرف هذا.. ولكنها رسالة الوداع.. ومن العادة في رسائل الوداع أو في بعضها أن تطول.

إن في لبنان «مُنْتحراً» كما تقول «مُتَّكئاً» يدعونه.. صخرة الخلاص يقذف

منه الراغبون في الموت بنفوسهم إلى هاوية تحته.. والمنتحرون يسمون في لبنان، كما في غيرها «جبناء» فإذا سألت لماذا؟.. قالوا لأن الهرب من معركة الحياة عجز.. وهذا الكلام لابد أن يكون صحيحاً.. لأنه شائع.. أما سؤال ما هي معركة الحياة هذه، فليس من يسأله أو يجيب عليه.. إنها الحياة وحسب.. أن تعيش.. وأن تعمل.. وأن تنجح.. أو أن تخفق.. فالأمران سيان من وجهة أن لا تنسحب من المعركة حتى إذا كان عملك فيها تلميع أحذية المحاربين أو إعداد حجرات النوم لهم !!.. أو غسل الموتى ـ أو دفنهم.. أو حتى إذا ظللت فيها بلا عمل

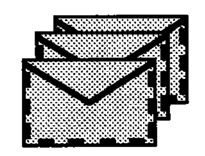
.. إذن فلنظل «شجعاناً» يا صديقي !

إن في لبنان أشياء غير الفاكهة والخُضَرَ ـ على ما يظهر.. أشياء خليقة بأن تُرى .. ليتك معي يا صديقي..

إلى اللقاء.

أخوك

حمزة شحاتة



العاشق المسعور

أخي محمد عمر

هذه فرصة للكلام لولا أني أُنسيته، أو فقدت القدرة عليه. وقد كتب إليَّ طالب يستفزني، فاكتفيت بأني اعترفت له في طمأنينته بالسبق والتفوق، فظن أني أهزأ به، وقال إن تلك عادتي المعروفة عني، فأقسمت له بما حفظته من مغلظات الايمان أني غير هازىء، فقال ومن يصدق إنساناً فنه الكذب؟ وكدت أستشيط لو لا ما أحس من وهن قواي.. وزهدت في أن أحمله على أن يفهم مثلي، أن الكذب فن الحياة الفرد.

هو طالب لا أعرفه، ولكنه لم يبلغ الثامنة عشر على الأرجح. وقد شكا أن الناس لا يشعرون بوجوده إلا لأنه جميل مترف. ولو كان غير ذلك لكانوا أخلق بأن لا يتفطنوا لوجوده. وقلت له في ما قلت من كلام أن هذا يُمثِّل لإرادة الحياة ذاتها، ولقانونها الأبدي، فما يخلو ما نحب له الرواج من عوامل الاستفزاز والإثارة بإسراف.. فالجمال، ووضاءة السيماء، دعوة ملحة من الطبيعة إلى الإقبال.. وقد لا تكون الغاية في الجمال أن يشتهي ويطلب ويلتذ به، ولكن أن تثير دعوته في النفوس ألواناً من السَّعار والاضطراب العنيف يتم بها نظام الوثاقة للفكر أو للعواطف، أو للجسد، أو للحياة وأهدافها ويكون العاشق المسعور ضحية التمهيد..

والجميل في ذاته، ليس إلا وسيلة من وسائل الحياة لتحقيق أغراضها ومراميها، وسيلة تنساق كارهة وراضية، ومستقبحة ومنحرفة، كما ينساق الجندي لا يعرف من أغراض قيادته، إلا ما يحقق له أنها راغبة في الخلاص منه، أو إلا ما يعتقد أنه باطل، ولكنه لا يتوقف.. إما لأنه لا يستطيع.. وإما لأنه

يجد الناس لا يتوقفون من حوله، وإلا لأن الانسياق إذا تكرر أصبح عاملاً قوياً من عوامل القضاء على الشعور بحرية الاختيار.

وقد أنكر في كلام طويل أن يكون وسيلة تناسق كارهة، فعلمت من هذا أنه على شيء من عناد الصبا، ومضيت أرقيه برقى حذقتها عنك.. وبرقى عرفت نفاذها، ومنها أني هونت عليه الاعتراف، بأن اعترفت بأني أنساق كارهاً إلى ما لا أعرف وإن أجدني قد خضعت ـ على نفوري من الخضوع ـ لرغبات مجهولة تقودني. فأنا في هذه الحال، جمال ينقاد كارهاً، لتتم سنة الحياة.. وأنكر عليّ هو أن أكون جمالاً فأقمت له الدليل على ضعف رأيه، فجمالي هو الذي اقتاده إلى التحكك بي، وان هذا التحكك، نتيجة صراع نفسي، طال أو قصر أمره، فالأدب جمال، والسمعة الطيبة جمال، والأناقة جمال، والفصاحة جمال، وحتى الشيخوخة ـ وهي دليل ضعف دواعي الحياة في الانسان ـ لها جمالها وسحرها وفتنتها أحياناً.

وكنت اليوم، على أن أكتب اليه، لولا أن خيالي أحس باحتمال الفجيعة في ما صورت له لحظات الفتور والسآمة، ولولا أنني تلقيت رسالتك وحسبتني كاتبها، أو ممليها، لما عرفت من مشابه أسلوبي فيها. ولي في هذا كلام لا بأس أن تسمعه.

السحنة ومعارفها تُميز انساناً عن آخر، والأسلوب هذا شأنه، فلا تقول لماذا تتشابه الأساليب، لأننا لا نستطيع أن نقول لماذا تتشابه السحنات. وأبناء الحرفة الواحدة يتشابهون لطول العشرة والاحتكاك والخضوع لمؤثرات متشابهة، والابن في العائلة يشبهها بعامل التقليد والاحتكاك والتأثر النظري والتبني أكثر مما يشبهها بعامل الوراثة. وأنا ـ على ما أعرف لنفسي من وثاقة وعناد في المحافظة على خصائصي وعاداتي ـ أرى نفسي متى اختلطت بجماعة طالت العشرة بين أفرادها، في حالة قابلة للانطباع بالحالات والحركات والاتجاهات المتركزة كصفات عامة لهذه الجماعة..

والانسان فيما أظن يقلد القويّ مختاراً أو مضطراً، ولكنه يقلد الضعيف والأضعف غير مختار ولا متنبه. ولذلك كان فشوُّ الضعف في جماعة من

أسباب انهيارها. وأعني الضعف الظاهر.

غلب على أساتذة الفلاح بجدة في طور معين، ضعف الجسم، واستتبع هذا ومشقة الدراسة ونصبها انحلالاً في القوى، فكنت ترى معظم الأساتذة في حالة تفكك، فراعني أن ٨٠٪ من الطلبة الذين يحتكون بهؤلاء المدرسين مباشرة، أصبحوا مثلهم.. حتى خيف السل على الجميع..

وعرفت طلبة، يعبرون لتأثرهم بأساتذة معينين، بالسّعال على طريقتهم، ولذلك عُدَّ الوهم من أسباب المرض.

في وسع أحدنا أن يشيع الحزن والكآبة بين جماعة يلعب بها السرور، متى وجم واكتأب وتلاعب برقة صوته، ونظراته.. إن الحزن ضعيف ولكنه يتغلب. وهذا سبب أن يكون الضعف أكثر تأثيراً عندما يحملنا على تقليده. تقليد القوة يحملنا على ممارسة صنوف من الصعوبات، فهو إيجاب، ولكن تقليد الضعف يشعرنا بالانطلاق والاسترخاء، ويندر أن يكون في الدنيا ضعف إلا وبالقرب منه لذة أو راحة..

أفرطت في التدليل، وتركت لك ثغرات تملؤها بما تختزن من تجارب وملاحظات وليس غرضي أن أهون عليك الاعتراف بتشابه أسلوبينا.. أظن أنه متى اشتركنا في تكوين خصائص فكرية أو آدمية أو خلقية، نجحنا في وضع تقليد عام لهذه الأمة..

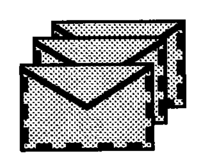
إن كل انسان يميل إلى تقرير ذاته وتوكيدها، والجهود التي تبذل في ترسيخ أفكار أو مذاهب، أو تقاليد خاصة، هي في الواقع تسعة أعشار الجهود العامة للانسانية، مع اعترافي باسراف هذا التقدير، هذا لأن تقليد الفرد أو نزعاته، يكون نصيبها من الحياة والتأثير، على قدر نصيبها من الشيوع.. والشيوع كما تعلم، يجعل العيوب مألوفة، أو حسنة، وهذا معنى ضمان البقاء والاستمرار..

وبعد، فإن كان هذا كافياً فسأقف عنده، وإن كنت لا تزال بعده في حاجة إلى مزيد، فليس أحب إلي من أن أسح واسترسل وأحفر في عدوي، كما يفعل

الجـواد الذي يكاد يخـرج من جلده نشـاطاً وهـذه عـقـبى المرض الذي لـم يطل، وفـي كتـابي الـطويل إلى عـزيز «الأب!» فلسـفـة يلعب بهـا الابتـذال، كـمـا تلعب برأسـي الآن نـشوة أني أتمـمت هـذه الرسـالة فـي أسـبـوع ونصف تقـريبـاً. أليس هـذا دليل القوة ؟ .. إلى اللقاء.

أخوك

حمزة شحاتة



تفاؤل وانبساط

أخي محمد عمر

أنا بخير على ما تعهدني.. ولقد كنت خليقاً بأن تعرف أن أهمية الجراك لي مقدمة على حوالة السيد.. ولكنها أنانيتك المثلى بعد أن صرت من المشاهير بالستة والأربعين.. سأنتظر على كل حال فما يسعني إلا هذا..

ليس من الغريب أن يلقى كتابك كل هذا الاهتمام في البلد.. ولا من الغريب أن يظل حديث المجتمع وقتاً طويلاً.. ولا أن تتركز الأضواء عليك بسببه، إنما الغريب اعتقادي أنه انقلاب تقوم به حدود وعي جديدة للأدب والأدباء في المملكة.. وأخشى أن تظنني غير جاد في ما أقول..

كنت متوقعاً بأن تقول لي شيئاً عن وضعك وعما انتهيت إليه.. ولكني على كل حال استطعت ان استنتج أنك في حالة تفاؤل وانبساط..

أما من ناحيتي فأنا على استعداد للسفر حال انقضاء عمل الطبيب لتثبيت حالة الاطمئنان على عدم احتمال حدوث المضاعفات المستوجبة للعملية.. وسيكون ذلك في الوقت الذي حدده من قبل كحد أدنى..

وبالله التوفيق وفي لطفه الرجاء إن شاء الله.

وسأكون إن شاء الله في منتصف شعبان أو أثنائه بمكة.. لتنتهي حالة التهديد بفقدان عملي، المنطوية في هذه الإرهاصات المتوالية.. وفي أنني مضطر ـ كما كنت ـ لمواصلة العمل موظفاً .

لقد كان من الواجب أن أكون بمكة لمراعاة مصلحة أسهمي بعدما انتهت إليه الشركة.. ولكن الطبيب متخوف من نتائج تسرعي بالسفر.

كان الشيخ محمد سرور بعد موافقته على تمديد اجازتي يريد تصديق التقرير الطبي من السفارة وقال إنه أمر بأن يعاد إليَّ لذلك.. ولكنه لم يردني

حتى الآن. فأرجو أن تتصل بالنقابة وتطلب إرساله إلي مسجلاً إن كان قد أحيل من معاليه إليها، أو بمعاليه إن كان لم يحل إليها، والغرض السرعة لأتمكن من إجراءات تصديقه..

ان التقرير من طبيب عسكري وهو عبد اللطيف جوهر القائمقام بالجيش المصري وهو لذلك مصر على أن يعاد اليه التقرير بالذات نفياً لاحتمالات التلاعب، أو تقيداً بالتقليد الرسمي.. العسكري..

والأمر - على ما ترى - في حاجة إلى همتك..

كان من الضروري - ولا يزال - أن أعرف المزيد عن حالة عزيز ووضعه لاطمئنان الكريمة.. فما لك نسيت واكتفيت بكلمة لا تعني شيئاً ؟

يمكنك أن تتابع حركة أشواق زملائي في النقابة بما زودك الله به من الحكمة في علاج الأمور، وأن تلطف حدة تحرقهم إلى أخباري.. وأنت أقدر الناس على بث الطمأنينة في قلوبهم ونفوسهم إن شاء الله.

أين زيدان في رسالتك؟.. لم يرد إلا اسمه فقط في معرض الكلام على غيره.. وهذا والله غريب منك، وأنت العارف بمكانته في نفسي.

ما زال ياسين مختفياً.. ولم أره والله حتى اليوم رغم حرصي على أن أراه.. ولكنه مما أسمع عنه في خير تعدى حدود.. النقنقة..

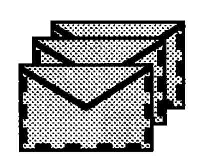
السّت تسلم عليكما.. والصغيرات أيضاً..

أظن أن في النية تعيين مندوب تجاري في السفارة.. أو سكرتير.. وقد يكون من المفيد أن تُذكّر الشيخ ابراهيم وسمو الأمير عبد الله بحاجتي إلى هذا العمل وكفاءتي له ولو على سبيل الفرض الذي هو أول المؤهلات المؤثرة.. عند الاختيار.. وأرجو أن يسعك هذا والتوفيق على الله.

وشكراً أيها الأخ وإلى اللقاء.. وتحياتي وأشواقي لزيدان وجميع الإخوان وحفظك الله.

أخوك

حمزة شحاتة



مضض الانتظــار

أخي محمد عمر

لعل في هـاتين الرسـالتين تعـويضـاً لما فـاتنـي منك، أيام كنا ننـام في غـرفـة واحـدة.. ومـا زال العـهـد بالبـعـد بـين صـديقـين، أن يكون هذا فـعله، لأنه يتـرك مجـالاً للتـفـقـد والذكرى وانبـعـاث الحنين والاسـتجـابة للدواعـي.. بسـبب فـراغ النفس مما تمتلـىء به إلـى حـد الـكظة.. وقـد يكون البـاعث أضـعـف مما ذكـرت ارتبـاطاً بدوافـع النفس والشـعـور.. فـتكون الاسـتجـابة في ذاتهـا على أي نحـو جاءت، شيئاً محموداً يُشكر..

ولا أكتمك أن انتظاري لرسالة منك، طال حتى تعتعني انشغالاً على العيال، وأمضيتهـا أياماً سـاء فيهـا شعوري بالحيـاة.. وبالناس.. وبنفسـي، حتى أعتللت بشيء كالغصة في مجتمع صـدري.. وحلقي.. وتمادى بي تأثيره.. حتى اعتقدت أنه مـرض لا خـلاص منه.. ومـازلت أتردد على الأطبـاء.. وأتجـرع الأدوية.. وأتلقى النصائح الطبية.. بصبر من كمل ايمانه بأن حال الدنيا والحياة لا يمكن أن يكون إلا هكذا.. تعباً موصولاً في حلقة مفرغة..

وفـهـمت من النـاس حـولي.. أنـهم تلقـوا رسـائلـك.. وسـألتنـي أم العـيـال ألم يأتك نبـأ من مـحـمـد عـمر عنهم، فنفيت.. فـارتـابت.. واندلع الاتهام في عينهـا كـالنار المشبـوبة.. وبدأت تسـخـر.. وشـعـرت بالطـنين في أذنيَّ.. ومضت أيام بعـد ذلك عرفت فـيهـا أنك بعثت برسـائل.. ومقالات للنشـر.. ثم .. أن فيهـا ما يتعلق بالعـيـال.. ويتـعلق نـشـره على أن آذن به.. وبدأت الحلقـة حـولي تضـيق.. وإذا بيـحـيى أبو الفـرج.. يسـألنـي أمـا جـاءك شيء؟ وصـارت كلمـة «شـيء» عندي مرادفـة لكلمـة «مصـاب».. وأذن الله أخيـراً أن أتلقى هذا (الشيء) منك واذا هو رسالة عن العيـال لا تتناول من ظاهر حالتهم غير ما أعـرف.. ولا ضير في هذا

فلا شك أنه كل ما يسع مسافراً عابراً بلبنان في ظرف ضيق أن يعرفه.. وزادني غموض كلامك المقفل عن ضرورة اختيار مدرسة أخرى للعيال.. همّاً على هم.. ووسواساً على وسواس..

وجاءني «شيء» آخر.. أي رسالة أخرى.. وفيها صورتان للعيال يظهر أن «عيار» التحميض زاد فيها عن المعتاد.. فشاع طابع الانكسار على ما تناولته الصورة.. وأختها.. بسبب عدم التصرف بالضوء.. وتقريب مدى الالتقاط.. واختيار اللحظة المناسبة.. وصحة الوزن والتقدير.. وهذا منتهى ما تبلغه الجهالة بصناعة التصوير..

ولك الشكر بعد على ما تجشمته من العناء في الرحلة الى المدرسة.. واحتمال سوء الظن بك من الراهبات.. ومضض الانتظار..

إنني أتهيأ الآن. لدراسة موضوع الانتقال الشتوي.. لزيارة العيال مع أُمهنّ.. وقد أجد من حالهم ما يدفعني إلى نقلهم إلى مصر.. وكل اختيار يتوقف على خيرة الله وقدره.. جعل الله العاقبة خيراً للجميع..

وفهمت من يحيى أبو الفرج أن العلاقة بينه وبين الشيخ قد صحت من غفوتها واستعادت سابق عافيتها.. فهي الآن تعدو عدواً ولا تسير..

وقرأت مقالك الثالث عن بناتي فوجدت ما راعني.. لقد حذف نصفه باعتبار يجمِّله، أما توزيع المحذوف على جميع سطوره.. وجمله، فقد اشتركت فيه أقلام ثلاثة.. استبدلت كلمة راهبة «بسيدة».. ووضعت موضع الكنيسة والراهب.. عابداً.. ومعبد.. وحذفت اللفتة التي قارنت فيها بين شوارع الجبل.. وشوارع مكة..

ورأيت الجريدة مصرة على نشره.. كما عاد من الرقابة.. فأعلنت أنني لا أوافق على نشر شيء عني.. ولا عن بناتي.. وكان هذا هو ضمان دفع القائلة عنك أمام قرائك الذين لا تأبه بهم الأقلام التي شاركتك في تدبيج المقال على رغم أنفك.. وأنوفهم..

والحياة هنا بعد على ما عرفت منها، وقد يلغي الشتاء إجازته القصيرة

التي اعتاد أن يقضي بعضها لدينا، في هذا العام، لتكون الفرصة أوسع لتوثيق روابطنا القوية بالصيف..

ولست أسألك عن حالك فأنا أعرفه فرضاً وتخميناً.. واشتهاء لمشاركتك فيه على طريقة «الباط بالباط»...

والقول يطول لو شئت.. ولكن الإقصار أولى، فأنت أغنى عن هذا الهزر الآن، منك يوم كنت هنا.. وماذا يقول لك مثلي، وقد بسط الله لك من القدرة على الفعل.. وموافاة الحال عليه، فما أنت فيه ـ ما يغنيك عن كل كلام من كل قائل في كل باب من أبواب القول.. وليس في وسع من كان على هذا أن يحسن الاصغاء، أو يتعنى للفهم، إلا محمولاً على ما يكره، أو مغلوباً على أمر نفسه.. وقد وقاك الله هذه المحنة بما أتاح لك من سعة المدى بيننا براً.. وبحراً.. وجواً.. وقدرة على الإفلات..

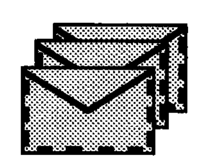
وشكراً يا أبا فوز على ما تمتلىء به نفسك الكريمة من حب وإخلاص ووفاء.. يتجلى كل معنى من معانيها في عارفة من عوارف فضلك التي تزداد بالخفاء الذي تتوخاه لها، عمقاً في نفسي وقلبي وعقلي..

تحيتي.. وشوقي.. للأخ عمر الياس.. ولمن حولك من الرفقاء.. وحفظك الله وإلى اللقاء.

أخوك

حمزة شحاتة

١٠ / ٢ / ١٣٧٣



غمزة حجازية

. أخي محمد عمر

كان علي أن أشخر عندما فرغت من رسالتك.. فقد كان تاريخها ٢٨ / ٣ ووصلت ٩ / ٤ .. أي في نهاية المدة التي أعطيتها موعداً لبقائك بالشام.

ولعلك الآن في مصر.. فهذه الرسالة ستأتيك فيها.. عن طريق الجزار وستكون إن شاء الله «معدول» المزاج.. فقد احتضنت في هذه الرحلة من الزمن العريض ما لم يتهيأ لك في سابق رحلاتك كلها.. زادك الله خبرة بالحياة وما فيها.. وضاعف لك من أسباب العلم بها وبه، ما يعود بك تاريخاً حافلاً بما يشرق ويضيء.. ويملأ.. ويحرك.. ويثير.. ويدفع النفس إلى أوسع آفاقها.

أشكر لك زيارتك لبناتي.. أو لبناتك.. وتسجيلك على نفسك أنك عمَّهن.. وأنت إن شاء الله العوض الصالح لي ولهن عما فاتهن.

ومونتانيا.. كما عرفته وعرفته، خليق منك بهذا الحماس في الحديث عنه، والاعلان له.. فهو صورة من صور لبنان الرائعة.. وحسبك أنك لا تكاد تجد له مثيلاً في مصر من ناحيتين: .. ما فيه.. وما يرد إليه.. وعهدي به هكذا في الصيف ـ فكيف كان هكذا في الشتاء؟ انه سحر مضاعف..

متى تعود.. فإن الشوق إليك قد فاض.. وإلى ما يسر من أبنائك في هذه الرحلة التي كنت أود أن أكون رفيقك فيها ـ وليت خطابك تضمن دفعة على الحساب عن تركيا.. ففي نفسي إليها نزوع قوي..

أحوالنا هنا حسنة.. والشتاء كأحسن وأقوى ما مرَّ بالحجاز.. بل قَلَّ أن شدته كانت شيئاً جديداً على الحجاز فما تزال الحرارة في انخفاض حتى بلغت للآن ١٨° س. وما تزال في الانحدار..

إذا شئت أن تعرف عن المشكلة .. فاتصل بالأخ محمد عمر رفيع فهو الواسطة.. والمشرف.. والصديق.. والعارف بالمشكلة أساساً.. وانتهاء.

وعسى أن لا تعود إلا وقد تهيأ لك أن تعرف منه ومن الأخ احمد عشماوي أن سبب المشكلة أنه يريد المزيد.. مما تؤدي إليه المساومة.. والشطارة.. ولو على حساب استغلال محنة المرض وتقدم السن.. وتراخي القدرة على العمل.. ويسرني أن أكون واهماً في هذا..

وأنها غرائب الحياة في الحي ومنه، لا تفنى ولا تزول ـ حتى يفنى ويزول..

أو إذا آثرت الراحة.. والارتخاء.. فمالك ولهذا.. ولعله أبقى لمسرة قلبك ونفسك أن لا تلج هذه المداخل التي يضيق مجال الخطو فيها على العقلاء والمخلصين.. ومن يقدرون الحياة تقديراً صحيحاً..

لماذا وقف نشاطك في الكتابة إلى البلاد السعودية؟. وقد قرأت أمس لأستاذ أظنه «مصرياً» من المدرسين يهاجم ملاحظاتك التي أوردتها على المطار.. وجمركه.. وإجراءاته..

وأحسب أنك ستجد من الطريف أن تهتم به ـ وأن تغمز له بعينيك.. أو باحداهما، غمزة «حجازية» التأثير.. فقد استعدى عليك الشعور القائم الآن بين الممالك العربية.. التي صار أسلوبها في التقارب.. إندماجاً في عمليات الغزل.. الرفيع !.

لقد أوجد ابتعادك فراغاً كبيراً.. يحس، في جو عملك.. وفي جو الحياة العامة.. وفي نفسي.. ولم أكن أعرف أنك انقلبت جزءاً هاماً.. كبيراً، من البلد وفيها، إلا بعد أن امتد غيابك..

وتحدثت عنك إلى القادمين.. سائلاً.. ومتشوقاً إلى أخبارك.. فعرفت أنك أصبحت من كبار المغامرين جرأة.. على المجهول.. والشاق.. والبعيد.. وهذه ظواهر الشباب في بدايته.. وظواهرها في نهايته.. وما أحسبك في البداية منه، حتى لا تستبقي بعض ما يدّخر من نشاطه.. وشهيته.. واندفاعاته.. وما يزال النهل.. والريث.. وتثقيل الخطوة.. واستبقاء الغايات.. سياسة الرشد

ممن أوفى به سعيه على مشارف الشيخوخة.. أو الكهولة.. ان كنت ترى أن هناك فرقاً بينهما.. وما هو إلا أول الخط.. بالنسبة لآخره..

وأقول بعد: إنني بحاجة إلى أن أراك وأسمعك.. وما أجد ما يصور جملة مشاعري نحوك إلا كلمة «أوحشتني!»

وأين عمر؟ .. وأين حسن؟ .. ألا يزال أسير المستشفيات؟ أم انطلق منها ليمارس نشاطاً ينتهي به اليها ؟..

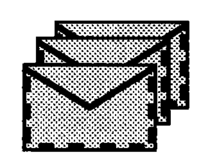
سمعت أن عمر هزازي يعمل الآن في شركة اتوبيس النقل لمصر الجديدة.. مع العشماوي وعبد الرءوف صبان، موظفاً بـ١٢٥ جنيهاً مصرياً.. فإذا كان هذا صحيحاً، فلماذا لا يحاول الأخ عمر الياس .. أن يرشح نفسه للعمل بها؟ ليتمكن من البقاء بمصر.. وهذه أمنيته.. وأنت في هذا يمكن أن تفيده..

شكراً.. وإلى اللقاء أيها الصديق،

أخوك

حمزة شحاتة

١٠ ـ ٤٩ / ١٣٧٣



نفـــاد الذخـيرة

أخي محمد عمر

بين يدي ٢٠ صحيفة في دفتر مدرسي من دفاتر بناتي، كتبتها رداً على خطابك الذي كتبته إليَّ يوم زيارتك لمصنع حلويات.. محمد نور جمجوم. وقد كلفني الرد رحلة إلى معمل تكرير السكر بالحوامدية، والقيام بجولة «زمخشرية» استهلكت يوماً «بحاله!»..

وظلت رسالة الرد تحت «التبييض» كل هذه المدة، مع تجدد الاصرار يومياً وليلياً على إنجازه.. حتى غلبني اليأس، وغلب العيال، فنزلوا فيها تفريقاً وتمزيقاً..

أتعرف قصة القائد العسكري الذي خسر المعركة لعشرة أسباب ! أعفاه الحاكم العسكري من ذكر ٩ حين ذكر أولها !.

إنها قصتي أيها الصديق الحبيب.. نفاد الذخيرة أفندم ! ثم (٩) أسباب أخرى، ليس نفاد الذخيرة أهمها ولا ألعنها، ولكنه أوَّلها في السياق فقط.

ولا بد أن سوء الظن بي قد ملأ نفسك هياماً بلعنة ماضي علاقتنا.. وامتدادها.. هذا الامتداد «الزوجي!»، الذي لا يعطي الحياة، ولا يأخذها، وإنما يتركك في حالة من الالتواء .. والعسر.. تشبه حالة المصاب بالفتاق! لا هي مرض يقتل، ولا صحة تستقيم.

ولا شك أنك أخذت غايتك في هذا الهيام ومنه.. وهذا نصيب من الحرية والانطلاق يحسد عليه العقلاء المجانين، والأصحاء المرضى، وأغبطك على أن الله سبحانه وتعالى قد أتاح لك حظك منه على حساب قفاي، كما كُتب لي في يوم قريب أن «أتمرطح» على قفاك «مخفراً» و«مسلتاً» و«مستكرشاً» و«مستكبداً» لمجرد أن نَفَسَ العلاقة «الأخوية» كان ما يزال يتردد بين النقابة -

ثم التيسير... والنيابة بما يستلزم ضرورة التسليم بوجودها ولو اعتباراً..

يسرني أن أعرف المزيد عن أحوالك فأنا أعرف أن موقفك سيتغير كثيراً.. بعدما تم من انتقال العامل.. أو تحوله. والذي أرجوه أن يكون التوفيق حليفك.

ما يزال الطنين في أذني متصلاً يشتد. العودة. العودة. فقد كرهت مصر وما فيها كراهية تتصل فيها النتيجة بالسبب.. ولولا أن قطع تعليم العيال، أو استمراره «داخلياً» في حالة انتقالي وحدي، قرار يجب أن لا يمليه التسرع، لما بقيت حتى اليوم على ما يشبه الخوازيق أو يفوقها.. إنها حياة مهدرة من جميع وجهات النظر اليها على اختلافها..

أين أصدقاؤنا؟ وما فعل الله بهم معك أو معك بهم؟ وأليس لديك ما يقال إلا هذا الحديث «السكري»، يا «حلو» عن المصنع وجوّه؟ وماذا عن نجاح «دكاكين» أو «بيبان» وهل توسعت.. فيه أم ظل على حالهِ؟

هل يمكن الحصول لى على قطعة أرض ٥٠×٥٠ أو نحوها تصلح لبناء فيلا لسكناي والأطفال إذا عدت وأين موقعها؟ والقيمة؟ ورأيك؟.

ماذا كان نصيب قصتك. ولماذا لا ترجو الناشر أن يهديني أو يبيعني نسخة منها لأنني لم أقرأها، ولم أرها مطبوعة، حتى الآن، وإنما سمعت ممن سمع، ممن عرف، ممن قرأ، أنها طبعت ولم يوزع منها هنا غير الهدايا.. ليت اللعنة تجوز.. ولكن لا، فما تزال لبعض الكلمات حرمتها «وعوضي على الله - وعليك!» - في جهد التصحيح..

وبعد، فما هي القصة التالية لأستعد لكتابة مقدمتها من الآن.

وبهذه المناسبة، لقد كان نصف رسالتي المسودة ملاحظات عن القصة، يمكن أن تعتبر مؤخرة لها.

أنا الآن أكثر تردداً على السفارة والقنصلية من أي وقت سابق. وقد أتاح لي هذا أن ألاحظ الفارق الكبير بين ما تستطيع أن تحققه حيوية السفير من فائدة لبلاده.. وبين سفير أقل حيوية.. إن الزائر المعتاد يشعر بأن هناك تجديداً.. وحركة.. ونشاطاً، لم تكن. كلها أو بعضها طابعاً مميزاً لمن في المكان

وما فيه..

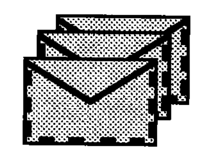
لم أرد بهذا إلا أن أسرك، ومن ناحية أخرى لأشعرك بمقدار الخطأ في.. عدم تشبثك بالانتقال إلى مصر في هذه الفرصة. إني أعتقد أن من الممكن اصلاح هذا الخطأ في أية مناسبة من مناسبات الانتقال.

أرجو أن لا تكتب إليَّ رسائل تفيض بالتحفظ.. فان مما يؤلمني أن يكون البعد من أسباب إشاعة الانقباض بيننا.

إلى اللقاء، ودمت،

أخوك

حمزة شحاتة



تعليم «العيال»

أخي محمد عمر

لم أكن قد استجبت لإلحاح الصديقين، حين تلقيت خطابك في الأذن لي بكتابة مقدمة للقصة.. وكانت حجتي أنها لا تحتاج إلى تقديم، وأن أدب التقديم يتضمن وجود فارق في الأستاذية لحساب المُقَدِّم على المُقَدَّم.. وهذا الفارق ـ أصلاً ـ معكوس، على الأقل من وجهة نظر القراء ونظري..

وكتب الله السلامة لي من احتمال تأثير الحاحهما عليَّ في كتابتها، بأنك كتبتها بنفسك، وكفى الله المسلمين شر المقدمات.. وأنت بمقدمتك قطعت السكة على من تحدثه نفسه بهرش قفاه.. على حساب قفاك، من الناقدين.. وهذه حصافة لو تهيأ لك مثلها في ماضي حياتك لاستغنيت بها عن كتابة القصص..

توجست أن للناشر غرضاً في أن يقع بيننا شيء من شر اختلاف النظرة الذي قدَّره سلفاً.. والا فما داعي أن تكون للقصص مقدمات.. أو مؤخرات، والعرف ضد هذا في الأعم الأغلب؟ وما داعي أن أكون كاتبها بالذات وقد اقترن اسمي مع المقدمات بأفكارها، وبتجريح من أقدم له تجريحاً لا تستقيم، موازين العداء والاعتبار؟ ولعله ـ كناشر! ـ عرف أن اللغط خير مروج للكتاب.. فأراد أن يستفيد من سوء حظي..

ويجب أن يحمد الله كلانا، على السلامة، والعافية، وحسن العاقبة.

أما بعد، وعلى طريقة خطباء الجمعات في المساجد، فقد شاقني من أمرك أنك ماض فيه على رضى وبصيرة، وايمان من يعرف أن المصير المقدّر لا يدفعه الحذر، ولا التوقي. واسأل الله أن يبارك لك في حياتك واتجاهاتك، وأن

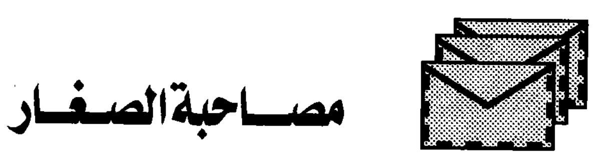
يرعى أمرك وأمري بما يعفينا من عناء التدبير، وأخطاء التقدير، ويكفينا الشر والسوء والعثرة..

بقائي بمصر لن يطول ان شاء الله، والأمر مرهون بأن يدبر الله لمسألة تعليم العيال نقطة ارتكاز عاجلة. وإلى اللقاء يا صديقي العزيز.

أخوك

حمزة شحاتة

٢٠ رمضان ١٣٧٦



مصاحبة الصغار

أخي محمد عمر

لعلك لم تنسها. قصة المرأة التي يغرق فراشها كل ليلة في بول زوجها.. فحين سأله القاضي أمن علة يا أبا فلان؟ نفاها وأكد السلامة. قال ففيم اذن؟ قال: إني أرى في منامي بحراً مضطرب الموج، في وسطه صخرة عالية عليها منارة طويلة، في رأسها رجل على جمل أضر به العطش ما يفتأ يميل بعنقه إلى الماء، مرتعش القوائم ليشرب، فأبول من الفزع. وصاح القاضي مختنقاً وما بك أنت من هذا؟ فقال متنهداً أنا راكب الجمل، يرحمك الله.

وتزحزح القاضي عن موضعه وقال للمرأة انظري ما تحتي يا فلانة لقد تبرزت من هول الحكاية.. فكيف بمن تقع له.

لقد كان موقفي من حكاية تعبك، ذات موقف القاضي من حكاية راكب الجمل، بزيادة طفيفة هي أني كنت المسؤول عن تنظيف الفراش، وهي زيادة من حسن العاقبة فيها أنها لا تجر غبطة ولا تثير حسداً ولا تكون مداراً للوفاق بين مختلفين، ولا للخلاف بين متفقين.. وهذا أدعى جوانب اليسر فيها إلى الدعة..

فهمت يا صديقي.. انها الحالة التي تعرض لذوي الحس المرهف، والانتباه اليقظان.. التوتر الحاد الذي هو نتيجة اكتشافنا تفاهة دورنا في الوجود المبهم، سواء أكنا سعداء مرموقين، أو أشقياء منكورين.

انها صخرة «سيزيف!» في اسطورته المحزنة، رحلة شاقة دائبة بين القمة.. والسفح.. إذا تصورتها شقاء كبيراً.

وانها «بعرة» كل «جعران» ما يزال موكلاً بها، أو ما تزال هي موكلة به، إذا أردتها جهداً حقيراً.. يحلم باذله بتطهير الأرض من نجاستها..

هي هناك لعنة ونقمة..

وهي هنا فن .. ووهم.. وخيال.. وعذاب.

الكل عذاب.. لا يدفعه ملل، ولا ينجي منه أمل، ولا يعصم منه عمل. ولا هرب إلى رأس جبل..

لأمر ما هرب العارفون من متاعب الحياة وعذابها إلى متاعب الزهادة ورياضة النفس على التزام الحرمان والاستقرار عليه.. واستدبار الدنيا وما فيها..

لكن هذا الهرب حل غير ميسور إلا لذوي المواهب والعزائم، ولمن خار الله له فيه .. ولقد مات الزمن وأهله.. رفَّت على نفسي كلمة «الرخاء والجمال في أسمرا» رفيف النسمة الباردة في وقت الهجير. فما زال اسمها وما عرفت من حالها منذ ثلث قرن مهرباً من مهارب خيالي ألوذ به كلما أحسست الضيق والغثيان من الحياة التي أحياها..

ولكن حديثك عنها لم يطل. أفلم نفترق على اعتزام الهجرة إلى بلد يقل فيه تعقيد الحياة، والأحياء؟ فلتكن أسمرا.. ليكن أي بلد يجمع لنا أيسر ما نريد ويجمعنا.. قبرص.. مالطا.. بلد بعيد قريب لا يشتد فيه العسر على النفس فالمهاجرون العرب فيها أبرز عناصرها، وما أظن الحياة فيها فقدت بساطتها الممتعة.. ووداعتها الحبيبة..

فاذا كنت تؤثر ما أوثر من وضع حد لهذا التمزيق الداخلي الذي نعانيه، فابسط لي في رسالتك القادمة ما رأيته عن معدلات رخائها والنفقة الكافية فيها لدرجة متكاملة من العيش، وعن امكانيات العمل التجاري فيها للقادم الجديد.. وعن ثمن العقار بها ونسبة دخله.. وعلاقات قوانينها بالغرباء المهاجرين.. وكذلك أسباب الحياة فيها. وتعداد سكانها.. لأن الازدحام مظنة تعقيد الحياة.

وأدخل في حسابك اتصالها بما لم تر من مدن ارتريا.. والحبشة التي هي مصدر علاقات تجارية مفيدة بعدن.. وببلادنا في منتجاتها الحيوانية،

الزراعية.

إنه مشروع مثمر، مع ضمان الرفاهية.. وطلاقة الشعور.. نكون فيه شريكين، أو صديقين متساندين.

أنا جاد إن كان بوسعك أن تستجيب لهذه الدعوة التي سيكون أثر توفيق الله فيها، اجتماع عزمنا عليها إن شاء الله.

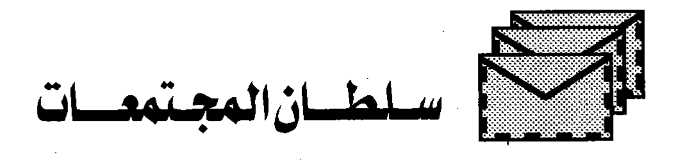
إن وضعي هنا على ما تعهده من انقطاعي التام عن الناس، والتوفير على الاشتغال بكفالة هذا المجتمع (الصغير) المعقد الذي أنزل من أفراده منزلة الأب. والأم. والمعلم. والرقيب. والدادة. والزميل. والخادم. والمهرج أحياناً ليست من الندرة بحيث تسلم بها الهيبة، وتدفع الجرأة على حرمة الأبوة وتضمن السلامة من بوادر السوء ونزوات النزق والجهل ومكاره العدوان.

ولست أكثر منك علماً بأحوال الصغار، وما تجره مصاحبتهم من فقدان الرشد.. ونقصان الرجاحة.. والارتداد إلى عهد الطفولة. وانحلال القوام، وضعف الاشتمال بالحزم وسقوط جد السن.. وتخثر صرامتها.. ولعلي لا أدخل عليك بشيء من هذا، إلا وأنت صاحب أصوله وفروعه، السابق في مضماره، والمتعمق في أغواره.. والمتبحر في أسراره.. والمتضلع بأطواره، والمتمرس بأخطاره - منذ شاء الله لي ولك أن نبلغ مدى السابقين في خدمة النوع، واتصال السلالة البشرية.. وانها لمشيئة حكيم خبير، متفرد بالقدرة والسلطان.

تحياتي إلى جميع الإخوان الأصدقاء.. وتهنئتي لك بعيد الفطر أعاده الله عليك وعلى أسرتك بالخير والبركة.

أخوك

حمزة شحاتة



سلطان المجتمعات

أخي محمد عمر

اننا نمارس عادات، لا تسايرها ميولنا.

وفينا ميول لا تتحول إلى عادات.

فإذا سألنا أيهما الأسهل؟ أن تتحول عادتنا إلى ميول، أم ميولنا إلى عادات؟ وجدنا أن تحول العادة إلى ميل، أيسر من تحول الميل إلى عادة.

والسبب أن منشأ العادة، ممارسة فعل معين، وتكراره ظاهراً عن طريق الالتزام، أو الإلزام.

أما الميل فرغبة باطنة، قد تجد أو لا تجد، مجال ظهورها وثباته، في فعل متكرر أو غير متكرر.

ومن هنا فان بين الميل، والعادة، علاقة تجانس، أو تنافر إلى حد ما.. فالعادات تمثل ميولاً أو تستحيل إلى ميول، أو لا تمثلها ولا تستحيل إليها.. والعادات تكون أثراً للميول، أو لا تكون فتظل نتيجة للممارسة والتكرار..

الفرق بين العادات والميول، أن من عادتنا ما يفرض علينا قسراً، أو اختياراً، في شكل سلوك ومقاييس يقررهما المجتمع، فنعتادها ونلتزمها كارهين لها، أو راضين عنها، أو غير شاعرين بها أصلاً.

أما ميولنا فلا تفرض علينا، ولا يمكن أن نفوت وعينا لها، ولا سلطان ظاهر من خارجنا عليها، وإن كانت عوامل تكوينها فينا ليست ذاتية دائماً.

لقد اعتدت التدخين منذ سبع وثلاثين سنة، لا نتيجة لميلي إليه، بل لأني أكرهت على اعتياده، من انسان له دلالة عليَّ.. وبرغم أني من أشد المفرطين في استعماله على مستوى (عالمي!)، فأنا شديد الكراهية له وعلى نفس

المستوى..

فهذه عادة استحكمت، بطول ممارستي لها، ولكنها لم تتحول إلى ميل.

وأنا أميل إلى الحرية والانطلاق ميلاً جنونياً من صغري، ولكنني من ناحية سلوكي شديد الالتزام للحدود إلى حد التَّزمُّت. وحتى عندما لا تكون هناك حدود تواجه هذا الميل أو تعارضه، فإني أضعها ولا أتجاوزها متشدداً ضد نفسي التي تكون دائماً في حالة ضنك.

ومع هذا فأنا لا ألتزم معظم مقاييس المجتمع، وأتخفف منها، وأهدرها قولاً مقترناً بالعمل، وعملاً لا يلتمس التبرير والتوكيد والتفسير.. وأتحمل عقاب المجتمع راضياً.. وغير راض.

هذا اللون من الحرية والانطلاق بالنسبة لذاتي كإنسان، هو الذي لا أضع له حدوداً ألتزمها لحساب مقاييس المجتمع، وضد نفسي.

وهو ليس نتيجة ميل في ولا عادة اعتدتها، ولكنه عبارة عن سلوك أو منهج يتصل بمزاجي أو بعقلي، فما زلت حائراً في ربطه باحدهما.. إنه شيء تُمليه عليَّ طبيعتي بعنف وحسب.

ولعله يرجع إلى ضعف ذكائي ونقصه، لأنه بلا شك نتيجة لضعف القدرة على التكيف، فالذكاء عندي هو هذه القدرة على تفاوت درجاتها.

إن ميلي إلى المشاركة الوجدانية والتجاوب مع مشاعر الآخرين، والانفعال بها، يشكل أخطر نزعاتي عليَّ وأكثرها توهجاً وحدَّة، وهو مرد كل ضعف فيَّ.. وغالباً ما تدفعني غلبة هذا الضعف وسلطانه عليَّ، إلى مآزق من الضر والجهد تعرضني لأفدح التجارب التي يستنكرها ويثور عليها عقلي، لأنها كانت ولا تزال وستظل مصدر ٩٩٪ مما أُصبت به في حياتي من تعاسة وخيبة.. ليس في ذلك مجال للشك !

فهذا ميل عاطفي يتحول إلى سلوك قاهر لا سبيل لتفادي آثاره السيئة بأي قدر من الإرادة، كالتدخين.. إنها أمثلة للتجانس والتنافر في العلاقة بين الميل والعادة.

وهي في ذات الوقت أمثلة لما في حياة الناس وميولهم وعاداتهم من تناقض.

وهنا تبرز ضرورة نشأة المصطلحات البشرية في مجتمعاتها..

فالاصطلاح عبارة عن قانون اجتماعي تضعه فئة من الناس لعموم فئاتهم..

قانون يتم به التعميم، ويهدر أمامه اختيار الفرد، لكل قانون.

والعادات العامة من حيث انها بعض قيم المجتمع، تعني اصطلاحاً، لا سبيل للتحرر من قيوده إلا بالخروج عليها.. وهذا الخروج معارضة للمجتمع أو صدمة له، تماماً كالخروج على قواعد المرور..

إن المرور لا يضطرب إذا خرجت جميع السيارات على قاعدة من قواعده، فالخروج العام يشكل قاعدة، ولكن سيارتين أو ثلاثاً تكفي لحدوث اضطراب حقيقي..

ماذا يحدث لو أسقط فرد عادات مجتمعه العامة، واصطلاحاته المقررة؟! يتهم بسوء النية المتعمد نحو هذا المجتمع.. لن يكون هناك مجال لافتراض الخطأ في تحرّي العرف أو جهله.. وعلى فرض الجهل فان المجتمع لا ينفي المسؤولية به.. وهكذا القوانين..

إن هذا الاسقاط في عمومه ليس أكثر من اقتراح تجربة جديدة لتبسيط الاجراءات مع اقامة المثال علمياً لتبريره أو تفسيره.

والمجتمعات دائماً لا تسمح لأفرادها باقتراح تغيير مصطلحاتها وعاداتها عن طريق الاسقاط.. كل ما تسمح لك به أن يكون اقتراحك كلاماً.. أي مجرد ترشيح لنظريتك في شكل دعوة إليها.

يحدث أن تربط عليك ضريبة ما مع خطأ التجاوز للحد فيها. ليس لك أن تتوقف عن أدائها.. ادفع الظلم وإن كنت تعتقد سلفاً أن التظلم بعد الدفع، سيفقد وجاهته !

وقانون الضريبة محق في هذا، فانه لو توقف أداؤها على بحث التظلمات،

لعجزت الدولة عن الوفاء بالتزاماتها، وأفلست..

بذات الطريقة والمنطق، يعاملك المجتمع.. ادفع ثم اقترح.. وهذا إذا كنت أديباً.. أو مفكراً. أو حتى كاتباً في صحيفة، وفي بلد يجوز فيه التنفس.. والعطاس للطبقة التي تنتمي إليها.. إن كان مجتمعك طبقياً.. وأي مجتمع غير طبقي !.

إنه مجرد استطراد.. فلنعد.. لنعود من الصحراء التي قادنا إليها هذا الزقاق الضيق.

ماذا كنا نقول؟ سلطان المجتمعات؟ نعم إن المجتمعات كالقوانين، لا تتقبل المساس بأحكامها ومصطلحاتها .. وإلى ذلك يرجع ثباتها واستقرارها ـ بمعنى جمودها.

لكنها مع ذلك، وبرغمه، تتغير، لأن كل مجتمع بُنْيَة حيّة، وليس قطعة من الصلب.. والصلب ذاته ألا يتغير بالمحاولة أو بالزمن؟ إن التغير والتحول ـ والتطور ـ سنة الحياة.. ما لا تغيره الاقتراحات.. والعوامل، يغيره الزمن.. وعوامل الزمن، في بطء.. أو في سرعة، الزمن نفسه، كحركة، أو كفرض، أو كمقياس للشعور، وللحركة ـ يتغير.

إن بين الزمن ـ والمجتمعات البشرية، علاقة تجانس وتنافر، كالتي بين الميول والعادات.

أنت تسير القهقري، أو تقف ـ أو تجري.. هذه علاقات مع الزمن.. علاقات تجانس واطراد، أو تنافر وتناقض.

هناك شيء آخر.. أناس يسبقون الزمن.. أحياناً يكونون أفراداً، وأحياناً مجتمعات كبرى يقل فيها قدر المصطلحات الثابتة.. ويتغير كل شيء فيها بسرعة الزمن.. وأحياناً أسرع من الزمن. من هذه المجتمعات مجتمعات تحاول أن تلغي الزمن، لأنها تحس تخلّفه عن حركتها، أو تحس أنه مجرد اصطلاح.

إنها مجتمعات المستقبل، لأن حاضرها دائماً عبارة عن ماض لحق بالزمن الذي هو عندها مستودع أو متحف لمخلفات الساعة الخامسة والعشرين. ساعة

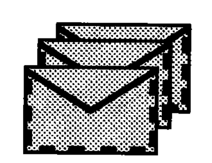
الصفر التي تنطلق فيها المعارك بين الانسان وبين المستقبل، ليتحول إلى المستودع الذي يعيش فيه الزمن مع مخلفاته ذكرى من ذكريات الساعة الخامسة والعشرين المنطلقة خارج حدود المكان والزمان وراء الذات العليا التي تتحول ميولها إلى عادات، وعاداتها إلى ميول، أو التي ليست لها عادات ولا ميول. الذات التي لا تصدها الحواجز والمصطلحات والقوانين، ولا تنتظر أن يغيّرها الزمن، لأنها هي الزمن، وهي تغيِّره. وتحوِّله. وتطوِّره لأنها أسبق وأسرع منه.

والآن ألا يكون السؤال وجيهاً؟ ما هي علاقة مجتمعنا بالزمن؟ وحذار أن تحاول الإجابة فأنا أعرفها والمجتمع لن يسمعها إلا ممن يعيش معه في ماضيه. في المستودع.!

وإلى اللقاء.

أخوك

حمزة شحاتة



الأمور المعقدة

أخي محمد عمر

ضحكت من نفسي وعليها كثيراً عندما قرأت رسالتك.. وسألت: أمن المروءة أن يصرخ ويشكو رجل من امرأة؟ وكان يهولني من قبل أن أراك تعالج الأمر بهذا الهدوء وأقول في نفسي متسخطاً: أترى الأمر لا يعنيه؟ ومما يسرك طبعاً أن يعديني هذا الهدوء منك فأعرف كيف أسخر بنفسي ومنها فاذا عقدة الاحتقان تحل، وإذا بغيوم التوتر المتلبدة تتقشع.. وإذا أنا في حالة من الصفاء وسلاسة النفس والفكر والخيال، ليس ثم بعدها مطلب يستزاد.

نعم يا صديقي انهم يقولون، فان كان ما يقولون حقاً ففيم الأسى والألم؟ وإن كان باطلاً فمن الحق أن يكون باعث مسرة وارتياح وتندُّر.

أترى كيف كان لك الفضل في حل هذه العقدة؟ سلمت ودام إخاؤك أيها الصديق..

لم أتناول العدد الذي بعثته إليَّ من البلاد.. ولعلي آخذه غداً.. وأشكر لك فضلك عليَّ بنشر الإعلان المتعلق بأفكار المقدمة.. وسيقول الناس شيئاً عن هذه الأفكار فيسرني أن تبعثه إليَّ قصاصات إن لم يمكن أن تبعثه أعداداً ينشر فيها.

أما القصة «كاملة» فستعرفها بعد.. لقد كان المفروض أن تنشر هذه المقدمة باسم عبد الجبار، أو الفلالي.. ولكن سلسلة من «المقالب» غيَّرت الوضع، فمنع النشر، وإذا بالمقالب تتصل فيتم النشر.. ومن هذه المقالب أن شيئاً زيد على المقدمة، وشيئاً حُذف منها.. وأن سطوراً بحالها.. تحركت إلى غير مواضعها لتحل محلها سطور أخرى متحركة عن مواضعها الطبيعية..

فالمقدمة أصلاً، ثم بحكم هذا «التحريك» والحذف، والزيادة.. وبنسبتها

إليَّ.. شيء لا يمكن أن أدعيه، ولا أن ينسب إليَّ..

هذا المعنى الأساسي الذي تدور عليه «القصة» التي ستأتيك قريباً أو بعيداً أما الأجزاء والتفاصيل فهي أطول وأثقل من أن أقدر على سوقها الآن.

إن فيك الآن شيئاً يحيرني. سألتك متى وكيف اطلع الصديق على رسالة أو رسائل مني إليك؟ فأجبت جواباً غامضاً لا تنفي به ولا تثبت..

وكتبت إليك مرة أو مرتين منفعلاً.. وكان لا بد أن يكون لهذا الانفعال صداه المفضل عندك ومنك.. فطويت هذا الصدى في غيمة تكاثف بها الشك وازداد الغموض.

وكانت هناك رسائل لابد أن يكون لها جواب تفيض به استجابة أو مشاركة، أو رجعاً.. ولكن الاعتذار بتراكم الأعمال، وتعقد الأحوال، ألقى عليها ظلمة لا يتخللها شعاع.

لك أن تقول: إنّها وساوسي.. وثق أنني لن أدفع التهمة عن نفسي ولكني سأظل متحيراً إلى أن يتاح لشيء جديد أن يدخل رأسي آتياً منك، أو نابعاً فيه..

والآن أستطيع أن أضيف إلى هذه الظلمة المطبقة شيئاً جديداً.. شيئاً ليس بذي خطر.. ولكنه شيء كان خليقاً بأن تقوله أو تتحدث عنه على نحو ما في رسالة من رسائلك.. هذا الشيء، هو أنك قرأت المقدمة المعروضة عليك، وأنك علمت أن عريفاً والسرحان قرآها معروضة لهما.. أفلم يكن هذا خبراً ـ على تفاهته ـ كان خليقاً بأن يكون له صدى عندك؟

أنت مشغول. مشغول ولا شك.. والشغل عذر يجب أن يكون مقبولاً بيننا على الأقل.. ولكن ألا تصدقني إن قلت لك: إنني في حيرة؟ ثم ألا تصدقني إن قلت لك أني أجد في موقفك مني شيئاً غير يسير من التكلف؟ لعلك غاضب، أو منطو على معتبة أو موجدة تتقلب عليها عادتك في تكتم ما يسوء أو يغشى أو يحزن أو يحيق؟

لقد أعتدت مني أن لا أكتمك شيئاً من سريرتي، فأنا بهذه العادة ألقاك

الآن.. فإذا كنت لا تقول غير أني واهم.. فسأصدقك وأتهم نفسي وعقلي.. ولكن هذه الحيرة لا تنفك تلازم نفسي وعقلي حتى يتيح الله لشيء معقول يقال، أو لشيء معقول يَحْدُث، أن يخلصني منها، أو يخلصها مني.

وبعد فما تزال أنت أنت عندي بهذا، وبغيره، ورغم آلاف المؤثرات.. والدواعي.. الصديق.. والأخ، ويسرني أن أكون مفهوماً عندك على هذا الأساس وحده، ولا شيء بعده.

لم ألق محمد نور غير المرة الأولى.. وكان المرض يلاحقني كل يومين أو ثلاثة، مرة تدوم فتطول أو تقصر على العموم فان محمد نور بخير.. ولكن اقتضى الأمر أن أطلب توكيلاً يعينني على حل سلسلة طويلة من الأمور المعقدة..

كما اقتضى الأمر أن أكتب إلى الصديق في هذا البريد راجياً - إن كان في امكانه تدبير الأمر - أن ألحق بناتي بمدرسة داخلية على موازنة البعثات رغبة في التحرر من محنتي بهن وبمصيرهن.

ولم أفض إليه بالباعث على هذا الطلب، طبعاً.. وسأنتظر كلمته.. وطلبت إليه أيضاً أن يدبر لي أمر الحصول على جواز خاص أحمله فيعفيني من قيود الإقامة ومفاجآتها المخيفة المربكة.. أملاً في أن اقتحم باب أي عمل يعتمد على المجهود في مصر.. فقد هالني أن أعود إلى الحجاز مجرداً من كل شيء..

وقد فقدت حتى الآن من وزني ما يقرب من عشرة كيلو.. وهذا ليس بذي بال، ولكني أقوله للدلالة على عنف ما أخذني من المؤثرات..

ولا أود أن أثقل عليك باستطلاع رأيك، فلن يكون لك رأي في الأمر غير أن انتقل إلى الحجاز بعيالي.. وهو الرأي الذي يزيدني شعوراً بسوء الحالة بالنسبة للعيال.. ولن تقول معي: كيف؟..

إنه إذا أتيح لي أن أعود مفرداً، كان هذا هو المعقول لا غيره.. وإنه إذا أتيح لي أن أتخفف منهن بالحاقهن في مدرسة داخلية، كان في وسعي أن أزاول أي نشاط بالرحلة إلى الحبشة أو عدن أو السودان أو الحجاز وما الحجاز إلا آخر

ملجأ..

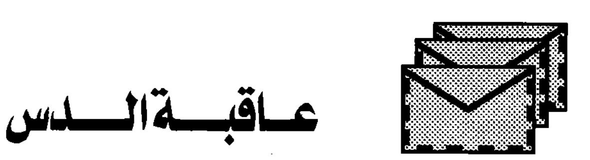
لقد عقدت عزمي على أن تكون هذه الواقعة آخر وشائج اتصالي بأخي.. فلم يبق في داخل نفسي شيء ينهدم.. إلا الرمق الأخير..

أرجو أن لا يرد على نفسك من هذا المؤثر ما يؤلمك أو يشغلك بالانقباض به.. إنها غاية من غايات الحياة يصطدم بوعرها كل من يهب حياته ونشاطه وحيويته للآخرين ولو كانوا الأهل والأشقاء.. وهي غاية كل مجرب يغلبه الحمق، وضعف الرأي، وانحلال الطبيعة أن ينتفع بتجاربه ويستثمرها.. وأن يفهم الواقع. ولكن ما عند الله خير.. وما اسأله إلا حسن العاقبة، وسلامة المصير..

تقبل تحياتي واخلاصي وأشواقي أيها الأخ الصديق وإلى اللقاء،

أخوك

حمزة شحاتة



عاقبة الدس

أخي محمد عمر

ليست الخمسون، سناً ملائمة لاحتراف الكتابة في الصحف.!

هذا ما انتهيت إليه عندما تلقيت اقتراحك.. وما أزال حتى الآن متردداً في اختيار ما أقوله لك لأتفادى المسألة.. مسألة أن أكتب بأجر.. لا إيثاراً للهواية على الاحتراف، ولكن هرباً من الالتزام..

لقد هجرت الكتابة أربعة عشر عاماً.. فما الذي بقي لها مني وفي بعد فترة هذا طولها باستثناء عرضها وعمقها، وما لا يدرك أو يعبر عنه من أبعادها الأخرى، وفي حساب الزمن، دون حساب الشعور، والنفس، والعقل، واختلاف أطوار العمر والقدرة والخيال.. بعد هذا الشيء الكبير الذي سقط من حياتي، كما سقط كل شيء بعده وقبله؟

حتى القراءة الجادة يا صديقي، سقطت في ما سقط من حياتي واهتماماتي.. نتيجة لتوافر الصوارف وعوامل الاستغراق في ما لا تنهض به بقية النشاط المثقلة بأعباء اليوم.. والليلة.

إن من مرويّات الحكمة أن لا تبدأ حباً جديداً، قبل أن تتخلص من القديم.. بمعنى أن لا تخوض معركتين في آن.

والكتابة الملتزمة ليست منْحاً من بئر يكفي له الحبل والزند، ولكنها عمل يقتضي التفرغ لوقته، وتجشم المشقة لادمان القراءة ومتابعة الدروس على مستوى من الدقة وحسن التدبير لا يعين عليهما إلا الوقت والجهد، وحماسة الدوافع وحضور اليقظة والانتباه.. أو أن هذا ما يخيل لي الآن، ويمليه عليَّ تصلب عضلاتي وأعضائي..

فأين أنا من هذا وقد غلبني فتور الأمراض، وأخذتني ركدة السن ووهنها، ودساس كلال العقل والجسد؟

ومجال النشاط الصحفي اليوم خاضع للسرعة، وخفة الحركة.. واليد..! ووجيف الطبع، فعلى من يغشاه أن يتهيأ له، وأن يستبدل الحلج والجمز، بالتؤدة والأناة، واعتدال الخطوة ووزنها وتقديرها، لضرورة المساوقة..

وهذا تغيير لابد أن تدور ـ حتى تستقر ـ عليه الممارسة والمران طويلاً إلى أن يواتي.

والانتقال من حال إلى حال تغايرها مشقة يستعان عليها بالصبر وتحريض الطاقة واستفزازها، مع سعة الصدر ومهادنة الضرورات.!

فما حاجة قراء الجديد وشهوده إلى انتظار ما سيكون، والحاجة مقضية بالميسور الذي انقضى اختباره، وتم قبوله وإيثاره ونهض به ما هو كائن؟؟

وها أنت ترى أن سرعة العرض والانتقال تنقضي، وأن هذا يعيبك مني وبي، ويثقل برأسك حتى الضجر.. وأنا معك في أنه شيء كدوار البحر لراكب السفينة، لا تشفع فيه السرعة حتى لو تحول إليها بطؤها، فصارت في سرعة الطائرة، لأن المسألة هنا مسألة الدوار، الذي يتضاعف بالسرعة مصابه، على راكب البحر.. وهذه هي العاقبة التي ينبغي أن تخشى شرها، بكل ما في وسعك من الحيطة والحذر والحرص على اجتناب المجازفة.. لو تحولت من البطء والتركيز، إلى السرعة والتخفيف، بمعجزة ومعجزات المران والمحاكاة..

فعسى أن يصرفك ما أصبت، عما تريد، وتكون قد ضمنت السلامة وثوابها على أوسع نطاق، لي، ولك، وللقراء، فهم مصب الرزء على أي حال.

ضحكت من تهديدك بنشر رسائلي إليك، فما يخيفني من النشر والإذاعة، أهون مما يخيفك، وما قد يصيبني من الشر منهما أيسر مما يصيبك.. إن ما يدور بين الناس أو بين أثنين منهم في الخفاء، سر يستوجب الستر، على قدر ما فيه من مغايرة للعرف، أو من تخييب لآمال الناس في سرائر بعضهم، فأنت موكول إلى القراء في ما تطلق عليهم من سوء يضيقون به، وما زال سوء

الاختيار لهم مثار سخطهم على الفاعل، لا على التارك !..

وعلى أن النشر يخلو مما يثير قلقي وقلقك، فماذا يمكنك أن تختار، وأن تدع؟ وكيف؟ ولماذا؟ وعلى أي نحو، ولأية غاية؟ إنك ستبذل من الجهد، وتحتمل من العناء مايشغلك عن (مقطوعيتك اليومية) .. في البلاد.. والعباد. وماذا عن قرائك إذا قايضتهم بما يكرهون مني، بما يحبون منك، وإذا أعطيتهم ما يألفون بما لا يألفون؟ أتراك إلا خاسراً رضاهم عنك، وارتياحهم إليك، واقبالهم عليك بالشوق والمثوبة والترحيب؟

إن بعض هذا ياصديق، جدير بصرفك عن فضول تسوء عواقبه، ولو أن غايتك الاحسان والاستجابة لدواعي المروءة في اصدقائك أو أعدائك، فما يشتغل بالناس عن نفسه إلا أحمق.. أو هذا ما يؤمن به القراء الحصفاء ذوو البصر.!

ولعلك تعلم علم اليقين أن مثل هذا الحمق، قد أودى فيَّ بما كانت بلادي.. وبيتي.. وأهلوهما، ينتظرونه مني، من يسر ونجح، يجريان على شرط الأمل وتوقع النفع.. فهل كان هذا هكذا إلا بسبب الفضول بلونيه اللازم والمتعدي؟

وأنت لو قضيت عمرك كله، تدخل في ما يخرج منه الناس، وتخرج مما يدخلون فيه، لما بلغت في ضرار نفسك بذلك، ما تبلغه بالفضول. ولست آتيك بهذا عن طريق العلم وحده، لأن ما حصل لي منه وفيه، بالتجربة، والخبرة، أضعاف ما حصل بالعلم والتلقي، وما العلم إلا تجربة الآخرين.. ما في ذلك شك.

والآن فليس لك إلا أن تفكر بجد، في ضرورة التأكد والاحتراز عند نشر شيء.. أي شيء لي ـ أو باسمي، إن حدثتك نفسك بان تتخلني بعض ما تضع، للكيد لي، أو للقراء.. وأنت أفطن لسوء عاقبة الدس لهم ممن استحوذ على اعجابهم وثقتهم به ـ أعنيك أنت ـ .

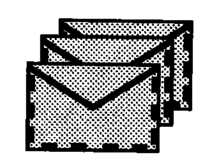
ولقد رأيت في شراسة مدخلي عليك وجراءتي، أنه ليس ثَمَّ ما يخيفني، لسعة أبواب الخروج مما تصطنع لي من مآزق.. وقد عرف القراء لي في ما مضى من علاقتي بهم، شيئاً من الرصانة، ومن استقامة السمت، تضاعفه السن،

وتوفر التجربة، والملابسة الطويلة للحياة والناس! فما ظنك بمروءاتهم، متى استعديتهم عليك!!

ألا تراك خفت العاقبة، وتراجعت مرتعد الفرائص منها؟ تماماً كما كنت تفعل عندما يزين لك التسرع، والإقدام على نقلة خطرة، لحجر من أحجارك على رقعة الشطرنج، أيام كان لعبتك المفضلة، فأكاشفك بخطورتها عليك، فتلوذ بالفرار منها.. لتلعب غيرها؟

فالى اللقاء إذن، على ما شرعه بيننا حسن العلاقة، في القرب والبعد.. وحفظك الله لأخيك،

حمزة شحاتة



عمليــةتطــهيـر

أخي محمد عمر

ينبغي أن أبدأ بتهنئتك، فـأنت الآن كـاتب آخـر، لا يشبـه مـن قـريب ولا من بعـيـد أي كـاتب كنتـه. تخلصت من رائحـة ديل.. ومن عـبـيـر سـيـدة المكسـيك الأولى.. في مذكراتها عن زوجها الحبيب البطل القديس الذي كانت المرحومة مـخـدوعـة في بطولتـه وقداسـتـه، ومن تأثيـر غـرزة أنيس منصـور، والشناوي، ودوقة وندسور..

إنها ولا شك عملية تطهير واسـعـة النطاق، تماماً كعمليات التطهيـر التي كنت ولا تزال تقـوم بها في نهاية كل عـام للتخلص من الصـداقـات الزائدة.. أو التي استنفدت أغراض وجودها..

وأنت جدير بالتهنئة والإعجاب لقدرتك على التجرد.. والتجديد.. فـأنت في رسـالتك هذه بطل من أبطال القصص أكثـر مما أنت كـاتب.. أو أديب.. أو مفكر.. أو حتى صديق.. وهذا الانقلاب نتيجة طبيعية لارتباطك بالقصة التي نقلتك من جو «المحليـة» الضيق.. إلى جو «العالمية» الرحب. فكلامك ـ «العود» ـ وهو ما يزال في خشمك ـ كلام بطل من أبطال القصص.. البطل الذي يحل كل مـشكلة بالسـخـرية منهـا إذا كـانت أهون، أو أخطر، ممَّا يقدر لهـا. إنه الطابع العالمي! الشائع في القصص.. وما يزال للسخرية قدرها وسحرها، من حيث هي مهرب يضمن الأمان أو الشعور به من كل ما يخيف ويروّع أو يثقل ويؤود.. وقـد يكون هذا صـحيحـاً من وجهـة منطق الشعـور.. والطاقـة، فـالبسـيط لا يقتضي الجهد والاشتغال لتفاهته، والعظيم لا تضطلع به القدرة، ففيم تجشم العناء إذا؟ إن النكتة تتكفل بالحل.. وتحقق البطولة.

وأظنك تجد الآن مثلي أن البطولة من أهون المطالب، وأقلها عسراً بل لعلها

أهون مطلب على كل صاحب همة أو مراد لأنها عبارة عن القاء موعظة في قالب نكتة، أو نكتة في قالب موعظة، وتتحسم العقدة بإيجاز..

وعلى هذا النحو، فإن صاحبك الذي تقدمت إليه في طبع قصتك أو تهيئة الجو ـ في مصر ـ لطبعها .. من الأبطال أيضاً .. أبطال القصص.

فالقصة ـ عندك ـ عالمية، وهي بهذه الصفة متوفرة النظائر والأشباه لوفرة سكان العالم وسعته ولاتساع نطاق القصة بينهم وغزارة (انتاجها). وماذا يفوت على عالم كهذا ـ من وجهة نظر صاحبك ـ بأن لا يتهيأ الطبع والنشر لقصة لا تتعرض للرأسمالية.. والاشتراكية.. والشيوعية.. ومشاكل العمال.. والطعام والعمل.. والأجور والجنس والصراع بين الشرق والغرب.. وهي مشاكل العالم الكبرى اليوم! إنها قصة عن زوج.. وزوجة.. ورجل آخر، فهي من المسائل التي تمت تصفيتها آلاف المرات من أيام المرحوم.. كارل ماركس.. والمرحومين.. دوماس الصغير والكبير.. وهيجو.. وأمثالهم من تحت ومن فوق.. وفي كل زمن ووطيء.. وبعبارة أكثر وضوحاً أنها من المعروضات التي انطوت أسواقها على مر الزمن المديد.. وأرجو أن لا تنسى أننا نتحدث عن العالم.. وعن قصة عالمية..

إن من المشاكل التي لم تتعرض لها النخوة حتى القرن التاسع، مسألة أن يكون للزوجة حق اختيار أي عدد ونوع من الرجال لصداقتها.. مقابل أن يكون للرجل حق اثبات الخيانة الزوجية بما لا يدع لدى القضاة شكاً في ممارسة الاتصال الجنسي، وبما لا يدع شكاً عندهم في سلامة عقله وأعصابه..

وقد تطورت وسائل الانتقال السريع.. واتسعت الرقعة التي تنتشر بها الأعمال.. والمصانع.. ووراء كل هذا نظام العمل.. وتغير عقليات المجتمعات بالمؤثرات الناشئة عن تطور الحياة.. واستبحار العمران وعذراً لاستعارتي تعبيرك.

وفي ظروف كهذه لا يكون هناك معنى لقصة تقوم عقدة الصراع فيها على زوج.. وزوجته، ورجل آخر فقط .. وشيء آخر، أين ـ في غير الشعوب التي تستمتع بكامل بدائيتها السعيدة ـ رجل آخر.. يستطيع أن يضع نفسه تحت

تصرف زوج وزوجته أكثرمن المدة اللازمة.. لقضاء الغرض؟ وأن يظل بين يدي الزوج.. أو كاتب القصة، حديدة في يد صانع؟ ثم أن لا يكون باجمال هذه المشقة.. بطلِ القصة دون الزوج ؟ وحتى تنتهي ؟

كلام فارغ.. حتى في اليمن السعيدة ـ بعد طيران البدر إلى روسيا ـ وحتى إذا كانت القصة «محلية» .. فكيف إذا كانت «عالمية».

إنه جانب من وجهة نظر صاحبك البطل، تتضمن الحل على أنه السخرية والسخرية على أنها الحل..

وسوء الحظ أن يرتطم بطل ببطل.. فالقصة لا تقسم البطولة فيها بطلان.. ولقد ترصد لك سوء الطالع في شكل بطل.. أو البطل في سوء طالع.. فتلازمك البطولة بنفس الثمن التقليدي.. السخرية.. وفي ظنك أنه ذو أهمية لأنه يمثل جزءاً من نفسك في فكرة.. أو مقصد من أفكارك ومقاصدك أنت لا من أفكاره ومقاصده هو..

وهنا تبرز مسألة الفورد كوحدة من وحدات الدور.. وبالتسلسل. لقد عاشت فيك فكرة.. تحولت إلى حافز .. فمحاولة قدر لها أن تفشل.. وأن تتلاحق صور فشلها بتكرار التجارب.. والاختبارات.. وأن يلد هذا الفشل مشكلة.. امتلأت بها أبواب الزمن الثلاثة الماضي.. والحاضر.. والمستقبل.. وأن تقتضي هذه المشكلة حلا.. وأن يكون الفرق بين الحل المُرضي ـ بضم الميم ـ والممكن تأتيه رقماً من الريالات أصبح التسليم به مشكلة أخرى.. فأدت إلى مشكلة «التخزين» عاماً هبطت به القيمة.. ولم تصعد. وانتقلت إلى التاريخ لترتبط به على نحو ما، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، علاوة على ارتباطها بالأعصاب.. وبالمجتمع في تبادل التأثر والاشتغال.. أو السخرية والهزء من المشاركين والشامتين.

أليس هذا من سوء تقدير الناس لسلعة ذات أهمية.. في تحقيق دخل قومي ثابت، تحمل كل هذه الشحنة من ذكريات عارضها، وحوافزه، وآماله، ومقاصده، وجهوده.. وأخيراً كفاحه.. وطابعه الأدبي والفلسفي..

وبطولته..؟

وقد آن أنِ أسألك عن اسم صديقك الضيق الفكر الذي تشغله القاهرة عن أمر جيد كطبع قصتك.. العالمية؟ إنه لعقوق بالعالم يا صديقي ما يصدر عن رأس يصيبه ذرة إدراك. ودع ما فيه من العقوق بحقك عليه، وسابقة علاقتك معه، وأنا لا أعرفه حقاً.. ولكن لابد أن يكون الأمر بينك وبينه حرياً على ما أوجب لك عليه الحق والدالة.. وإلا لما استثقلت منه ما استخف به من جانبك ومن حرمة حقك، وحق العالم رقعة.. وسكاناً يفيضان بالحاجة إلى رسالة تحملها قصة لا يغني عنها ما سبقها من ملايين القصص.. إنها غفلة ما أحسب أن الله يغفر للمصاب بها زلة من زلاته.

وتأخذني الرحمة به وأقول: لعل له (فورداً) وأنت تلوم.. أو لعل له قصة لم تقسم البطولة فيها بعد لأحد.. فقام هو فيها بديلاً عن البطل.. كما يقوم رشيد عنك بالعمل كله في اجازاتك المتلاحقة.. ونصيبه «ربع راتب الوظيفة!» أي وفي حدود النظام.. حتى تعود وتتسلم كرسي البطولة..

وسمعت كلاماً عابراً عن دكاكين.. وبيبان.. وهو مشروع سيكون إن شاء الله محمود العاقبة، فالحاجة إلى مثله ماسة من أوساط الناس وعليتهم.. قادرين على الدفع.. أو غير قادرين.. وكنت مشوقاً إلى أن يكون كلامك عنه عرضاً لما ستكون عليه حالته، فمن المرجح أن أكون أحد زبائنه المستديمين، ولا سيما إن حُسِبَ فيه حساب الوافدين المنقطعين مثلي، وإن كان من مبادئه البرُّ بهم ومسايرتهم على ما يستطيعون.. وما لا يستطيعون.. إجتلاباً لحسن الأحدوثة من ألسنتهم الشاكرة.

أتنوي الشروع في قصة أخرى! إنها قصة.. الفورد موديل ١٩٣٦ أو ١٩٤٦ فقد نسيت تاريخ صدوره.. قصة لا تختلف عن قصة رجل متفائل بزوجته اختارها على حسن القالة من العارفين بحالها.. تزوجت رجلاً.. أو رجلين قبله.. وتركت وراءها من الحالتين ذكراً حميداً !! ولكنه النصيب اقتلعها من يد الرجلين ليسعد بها الثالث الذي ازداد.. إيماناً بأنها جوهرة أحالها القدر في يديه إلى جمرة تأخذ منه أضعاف ما أخذ منها.. والباقي للقصة.. وبطولة الزوج.. ولن تعدم رجلاً آخر.. فهو على التقريب أو التخصيص الذي نازعك

هواها.. وأغراه بها أو أغراها به.

انها القضية التي تدور بها أمثال هذه الأمور في بلاد ما يزال لدى أهلها الوقت والمزاج والرغبة في تتبع الأسرار ! والمجهولات ! والغوامض.. والعلاقات والهيام بالقصة.. وتعريف السيارات.

لا تتسرع إن أمامنا وقتاً طويلاً.. وبهذه المناسبة ازاي محمد أحمد..

إلى اللقاء أيها الصديق.. وسلمت ،

أخوك

حمزة شحاتة

١٩٦٠م

الـــرزق المـقـــســـوم

أخي محمد عمر

لم أجد الشجاعة الكافية لرفض اقتراحك.. والواقع أني شعرت بتخاذل أعصابي تجاه الدعوة إلى أن أكتب بأجر.. بصرف النظر عن كونه ملائماً لمساعدة مواردي المحدودة، أو متكافئاً مع تحولي من الهواية إلى الاحتراف الذي هو تغيير يقتضي شيئاً من المرونة أراه الآن يعجزني.. نظرياً.

من حسن الحظ أني أصبحت مؤمناً، إيماناً جاداً، بأن الحياة عبارة عن تغيير مستمر - تغيير لكل ما فيها - وأن ثبات اطرادها، يتنافى مع ضرورات النشاط البشري الذي هو عبارة عن مجموعة من التحولات.

ترجمة هذا الكلام إلى مفهوم واضح، يعني قبولي للمبدأ.. مبدأ تطليق الهواية، والتزام الاحتراف.. ولا بد أن اكتسابي المرونة الضرورية للاحتراف، لن يستغرق وقتاً أطول مما يحتمل صبر الصحيفة على كاتب قديم يتحول إلى جديد.. لن أشق غبار السابقين وبالتأكيد.. ولكني سأجد محلاً في المؤخرة.. أو على مقربة منها، إلى أن تقع المعجزة.. وإذا قُدِّر لها أن لا تقع، فالأمر لن يكون مقلقاً إلى الحد الذي يبرر الندم على الارتباط بينى وبينها.. فما يزال بين القراء على الأرجح، قطاع.. آدمي.. ثقيل الحركة، لم يتحول بعد إلى مستوى التجانس مع معطيات السرعة!

سيعطيني هذا القطاع، عدداً كافياً من العملاء، أقصد القراء المتجاوبين، بالقدر الذي يكفي لضمان الرزق المقسوم، بمعنى أنه يكفي لتقرير لون من الأهمية قابل للتطور..

الأهم بعدما تقدم أن تصغي إلى وجهة نظري، في ما يتطلبه تحولي عن الهواية، من نوع الاستعداد ومتطلباته.. فأنا سأقرأ، أي لابد أن أقرأ كثيراً، بعد

انقطاع طويل، لأعوض ما فاتني.. وسأقبل على الحياة والناس، وسيقبلان عليَّ، وستفرض عليَّ هذه العلاقات المستأنفة نشاطاً يتسع نطاقه باستمرار، فأين الطاقة والجلد على كل هذا ؟

ولن يسعني الهرب من تبديل مظاهر حياتي التي اتخذت إلى الآن مجرىً محدوداً، في إطارات ضيقة جداً، تشبه قوالب الضغط والكبس.

هذا تطور ينبغي أن يحسب حسابه، وحساب جرائره وتبعاته، حتى بالنسبة إلى أسرتي.. وخاصة أصدقائي الذين لن يفوتهم العلم الصحيح بحقيقة الحال.. والرقم ! ..

إن كونك تعمل عملاً ما، لا يعني إلا اتساع نطاق امكانياتك مادياً.. ومن هنا أتحول من رجل في (قوقعة!)، إلى رجل يحترف عملاً، في صحيفة ناجحة، وبأجر يزيده الغموض، والقياس، والتخمين ـ قابلية أتوماتيكية، للنمو، والارتفاع، والتضخم !

باختصار، وبعد تحليل الموقف على هذا النحو، معقولاً كان، أو غير معقول ـ فإن الأجر المعروض في الاقتراح ، لن يغطي بحال، احتمالات المشروع ـ وتكاليفه، وبايجاز، مخاطره..

إنها صراحة علمية ـ من النوع الذي كنا نستنكره، قبل أن تصير الأمور إلى ما صارت إليه، .. ! ولكن يزكيها واقع الحياة ومقاييسها.. وإذا لزم الدفاع عنها، فإن إعلاناً تجارياً يشغل، ولمرة واحدة، مساحة ما أكتبه في الأسبوع بمعدل نصف صفحة على الأقل، سيمثل ضعف أجري لشهرين، وربما لثلاثة على التقريب !

يبقى بعد هذا أن الجريدة لا تتجشم من مشقة العمل والمسؤولية الأدبية والاجتماعية، وربما الرسمية، ما يتجشمه الكاتب، مع إغفال شتى الالتزامات الخفية والظاهرة. !

ليس هذا تعقيداً للمسألة، بقدر ما هو تبسيط مخلص لها.. يدل على رغبة جادة في الالتزام !

إني أدرك مقدماً أنك - إذا كنت وحدك - ستخرج لسانك لي - وأنه سينطلق بكلمة أحمق - أو خيالي - أو دون كيشوت.. وسيكون ذلك مؤسفاً، ليس لأنه دليل على سلاطتك، بل لأنه يضع حداً مؤلماً لخيالي الذي ما أنكر أنه نشط، ولاقتراحك، ولسمعتي كهاو اشتهر في ماضي حياته بالتصوف - والزهادة - والرومانسية الحالمة .!

سيكون من حقك نشر رسالتي هذه، ليدرك القراء، أن فساد الاحتراف قد زحف إلى نفوس الهواة أو لتأجيل حكمهم، أعطيك حق نشرها، على شرط الهواية، بلا أجر ولكن أتراك تخدم الحقيقة والفن بنشرها؟ لا..

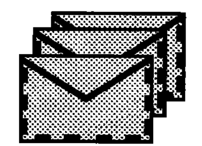
لشد ما قد يسخر الزمن من كفاحنا يا صديقي، منذ كانت حياتنا.. على ما يشبه السراط.. زحفاً وانطلاقاً، شيئاً معلقاً في الفضاء، لا ينتسب إلى الأرض، ولا إلى السماء.. أو كأنها الصلب الذي لا ينتهي فيه عذاب المصلوب بانقضاء أجله !

والآن أتعتبر رسالتي هذه مقارنة سطحية، أو شكلية، بين المقالة الأدبية، والاعلان التجاري في صحيفة واحدة؟

أرجو أن لا تقع في الشرك.. وإلى اللقاء أيها الصديق الحبيب.. وشكراً..

من أخيك

حمزة شحاتة



اتصال الشعور

أخي محمد عمر

لم تكن الرسائل بين صديقين قط من وسائل تأكيد الشعور بنمو الحب واطراده، أو هذا ما يصح عنها بيني وبينك على الخصوص وكلانا يعرف أن الحياة تبتلي الناس الآن بما يجعل فرائض الصلات بينهم نوافل وبما يجعل النوافل فضولاً وبما يجعل الفضول حماقة و(سقاعة). وهذا هو شأن المشاعر الانسانية في ظل الزحمة واحتدام الصراع وتجمّع العقد.

وقد لا يكون مما قُدّر أن تضيق الحياة بالانسان كلما كثرت مخارجها ومداخلها واتسعت، ولكنها حضارة الأشياء وما ضاعفت الأشياء من احتياجاته ومطالبه، لو اقتضته من زيادة الجهد والكدح والنصب التي صارت ألواناً من الشقاء، تتوالد وتتكاثر حتى هددت كل مصدر من مصادر راحته وطمأنينته واستقراره، فكان لابد أن يموت لكي يعيش وأن يلقي نصيب نفسه ليلزم نصيب عيشه وأن يسخر فيه ما هو أعلى لما هو أدنى وما هو أيسر لما هو أشق، فيعيش بالأشياء ولها معجلاً مصروفاً حتى عن الانتباه لذاته حتى ينتهي.

وكلامك هذا لم يعد مما يتسع له صدر القائل ولا صدر السامع لولا أنه كلام مناسبة.

إنني يا صديقي أحس باتصال الشعور بيننا وبصدق دواعيه وبواعثه، احساس بذاتي فأنت لا تبرح فكري في أحلك ساعاتي وأضوائي كما كنت وتكون دائماً وأرجو أن يتيح الله لنا لقاء قريباً.

لم أسمع إلا منك نبأ زواج فوز كتب الله لها ولاخوتها الخير والتوفيق في ظل حياتك الصالحة وأعانك وأعانني بالصبر والرحمة واللطف والتوفيق إلى

طاعته ورضاه.

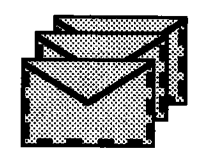
وصل المبلغ مقابل المائتي ريال وليتك لم تبعثه لأن ما نشر لم يكن شيئاً يقصد نشره وانما كان كلمة من صديق لصديق جرى ما فيه على شرط الهوايه.

تحيتي وحبي وإلى اللقاء.

أخوك

حمزة شحاتة

١ / مارس ١٩٦١م



دولاب الحيــــاة

أخي محمد عمر

الكلام على الحياة وعنها بهذا الأسلوب في رسالتك اليوم كلام معقول أو هو أولى بأن يكون الكلام..

هذه هي الحياة يا صديقي، ولا شيء بعد ذلك.. دوامة.. إعصار.. دولاب دائب الدوران. قطار مزدحم بما ومن تعرف وتجهل، من الحوادث والحركات والناس. يسرع تارة حين يكون الابطاء ضرورياً.. ويبطىء عندما ينبغي له أو لك أن يسرع.. لا يبلغ بك حيث تريد بالضبط، ولا بالتقريب، وإنما حيث توجهه التحويلات.. وهو مختلف عن نظام القطارات بأنه يمشي إلى الوراء أحياناً.. ويكتفي «بالكسكسة» أحياناً، وقد «يُبَلِّط» بك حيث يكون «التّبليط» خطراً غير محمود العاقبة ولو بتفويت غرض من أغراضك.. وفي أنك لا تملك النزول منه عندما تشاء، وإذا بدأت الرحلة عليه، فلا بد أن تتمها.. وتمام الرحلة ما يراه هو، لا ما يراه راكبه.. فاذا «بلَّط» بك دون غايتك أو بعدها فقد حقق بما أخلف منها، غاية آخرين.. الراكب فيه على المجاز، مركوب على الحقيقة، أو الراكب فيه، مركوب عليه في ذات الوقت..

وتنظر يمنة ويسرة وفوق رأسك، وتحت قدميك.. فلا ترى إلا أمواجاً آدمية تتدافع، متقابلة ومتدابرة ومتواكبة أو متقاطعة.. لا عرف ولا نكر.. وهناك صرخات تبدّد السكون.. أو تهزّ بعض المشاعر في بعض الراكبين المركوبين، ولكنها لا تهز القطار.. ولا تسرع به، ولا تبطىء، ولا تقف به.. إنها صرخات الضحايا يتكفل بها الهواء كما يتكفل بهم التراب..

وصرخات أخرى رتيبة هي زفرات الشاكين.. المنكرين.. المكلفين بأن يعرفوا لهذا.. أو لكل شيء فيه، معنى.. تذوب في هذا الصخب بين عجلات القطار

وقضبانه، وبين هدير هذا البحر الآدمي المضطرب.. هي صرخات الذين ضاقوا بهذا العبث.. وبهذا الجنون، إنهم يصرخون.. ولكنهم يسيرون بنفس السرعة التي يسير بها القطار.. ولو سكتوا لما تغير شيء.. ولكن كيف يسكت المتألم.. إن الصراخ صوت تفجر الآلام والمتاعب في النفس.. أو في العقل.. لماذا لا يكف القطار عن الجلجلة ؟

هذا هو مبدأ الرحلة، ومداها، وختامها.. وليس هناك شيء آخر فيها.. إنه قطار يعيش فيه الناس إلى أن تنتهي أعمارهم.. قطار كبير يجر وراءه عربات لا عداد لها بعضها محجوز.. يدخله من تشفق الحياة على أعصابهم المترفة من الضجيج والزحام.. والاختلاط المزهق.. يعيشون فيه.. وينسلون نسلاً سعيداً يرث هذا الميراث فينعمون به أو يحرمونه إذا انتقلوا إلى عربات أخرى.. لماذا؟ ينبغي أن لا تسأل ؟ إنه منطلق القطار.. تبدأ الرحلة عليه في عربة محجوزة.. فيدفعك الضغط.. أو شيء غيره.. إلى عربة من عربات الخليط.. لا تصرخ.. إن الصراخ لا يجدي.. أو تبدأها في عربة من عربات الخليط.. فاذا أنت في عربة محجوزة ! لماذا ؟ من الخير أن لا تسأل.. فليس ثم من يجيب.. ولا من يقف ليصغي.

هذا كل ما في الأمر.. أنت سائر على كره أو رضا.. وسائر ما وقفت أو تحركت.. بقوة الدفع من خلفك وجانبيك.. فأنت مدفوع.. ولكنك دافع.. ما أمامك.. إنك دافع، ولو لم تتحرك.. ماذا ترى الخلاص!..

فعليك أن تعمل اذن، عملاً يعطل الدفع من ورائك.. وعملاً يضع الطريق لك أمامك.. وستظل دافعاً مدفوعاً.. انك لا تلقي بنفسك من النافذة حتى يدفعك إليها ضغط القطار ثم إلى خارجها.. فإذا أنت قد انفصلت من القطار. إنها مأساة لا يقف لها القطار.

هذا مبدأ الرحلة.. ومداها وختامها..

عرفت من خطابك هذا الأخير أنك في حالة صراع.. لقد عرفت بالتجربة أنه لا حل لمثله إلا بأن تسلم جسمك للتيار يمضي بك.. إنك لن تبلغ ما تريد بمجرد الجهد والإرادة ولكنك واصل على كل حال سليماً أو معطوباً إلى دون ما

تريد.. أو فوق ما تريد.. أما ماتريده تماماً !.. أما ما تريده بالضبط !.. فلا - لأنه السعادة التي لا يستحقها النقص البشري..

إن الاحساس رزء .. ولذا كانت زيادته .. جنوناً.. أو شذوذاً... أو انحرافاً، والانسان مرتبط بمصيره من أول الخط إلى آخره.. كما يرتبط راكب القطار به، في المثال.. فاذا لم تنقص كمية الاحساس - إن جاز التعبير - فلا أمل لذي إحساس في الراحة.

إني أعرف طريقة واحدة للتراجع بهذه الكمية تدريجياً.. هذه الطريقة.. هي العمل الثقيل.. الكالح.. المغشى.. بآليته المميتة.. وبواردته الكريهة المريرة، وبامتحانه القاسي العنيف للجسد، وللنفس، وللعقل، وللمشاعر، والوجدان.. إنها عملية تبليد تنتهي إلى التبلد.. ونسيان الفقدان.

إن عمل الاحساس شبيه بعمل الذاكرة.. متى فقدت الذاكرة زال ما يؤلم.. ولم يبق ما يُفرح.. وها أنت وقد أتيحت لك التجربة.

إن العضلات لا يضفرها إلا النصب الشاق الكريه.. لكل شيء ثمن، وثمن الراحة القناعة والقناعة حرمان ..!!

لقد تقدمت أساليب الاقتصاد والتبادل في ماديات الحياة.. أما في معنوياتها.. فما تزال الطريقة السائدة هي المقايضة.. تريد الخيال الذهبي المجنح ؟ حسن، أتقايض عليه بنصيبك من الواقع ؟ شيء بشيء.. على القاعدة الفطرية: الأقوى رغبة.. أضعف موقفاً: إنه العرض والطلب، إنه القانون في نظام الحياة الواعية.

والآن أتراني قلت شيئاً يَسُرُّ أو يُقنِعُ، أو يحلُّ إحدى عقد الصراع القائم في نفسك؟ كلا.. إنما هي وصفة من وصفات (ديل) صديقنا القديم الثرثار الذي يشتري كل شيء في بلاده بالدولار الأمريكي. فما عليك إلا أن تصفح عني.. وتدع القلق.. وتبدأ الحياة.. دُر بالدولاب أو فدعه يدر بك. أأزيد أم أقف.

ليتك تعيد إلي هذه الرسالة لأقرأها فاني الآن أكتبها ولا أقرأ منها حرفاً.

أكتبها كما كنت أتكلم إليك في جلسة من جلساتنا التي ضيَّق مساحتها أنك بعيد..

إن رأسي ينوء.. والضوء الذي أكتب الآن عليه.. يتراقص ويتقطع في عينيَّ.. والغرفة تميد بي كما تميد أمواج البحر بالغريق. ولولا هذا لمضيت بك على هذه الوعور إلى غير غاية.

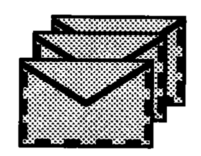
أيها الصديق.. كان الله لك فيما تعاني في نفسك مما فيها ومما في خارجها.. إن الحياة تسمم طويل الأمد لكل من يحمل صك آدميته في يده. وهبنا الله الثبات.. ووقانا الزلل وقادنا الى الهدى وأنار ضمائرنا بالصلاة، وأنقذنا من مهاوي الضلال للطاعة، وكتب لنا سلامة العقبى، وخاتمة الخير، مؤمنين به، غير راضين عن أنفسنا وأعمالنا، مؤمنين برحمته.. وعفوه.. وكرمه.. وغفرانه.. إيماننا به، آمين.

وبعد فما أود أن يحول استغراقك في مسؤوليات عملك بيني وبينك فاجعل الصلة بيننا عادة تحمل نفسك عليها حتى تعتادها.. في كل أسبوع مرة أو في كل شهر مرة.

وإلى اللقاء يا صديقي.. وأعف عني في ما أثقلت عليك به من هذا الهذر.

حمزة شحاتة

١٩٦٤م



رحلة إلى القمر

أخي محمد عمر

ما رأيك في رحلة إلى القمر؟ رأيك فيها كمشروع يضاف بعد الانتهاء فيه لرأي مشترك، إلى آلاف المشاريع، مشاريعنا الجادة، من قبل.

أعرف أنها رحلة باهظة التكاليف ولكن أليس من المحتمل أن نحصل عليها مجاناً كبروفة من البروفات الأولى التي تقدم لاختبارات الثبات لمقاييس الأمان من مخاطرها.

إذا كنت لم تفقد حتى الآن بساطتك في اختيار الرفقاء تحت وطأة كثير أو قليل من عوامل التحول التي تفرضها الحياة علينا راضين أو مكرهين ـ فانك لن تجد رفيقاً أكثر مني مرونة، واحتمالاً للمشقات في صورة الاستسلام والاذعان والرضوخ الأبدي لها.

لن انتقل بك إلى مشاريعنا الأزلية التي غطت ربع مسافة الكرة الأرضية على أقرب تقدير إلى الصحة، وآخرها مشروع الأرض المشتركة أو الأرضين المتجاورتين في المدينة المنورة لنمارس فيها الحياة على طريقة برايل التي تتحسس بها المعرفة عن طريق الأصابع، تربية للدواجن وبعض الماشية وزراعة ما نقتات به إلى آخر القصة التي رسمها الخيال ومحتها الحقيقة، التي لا تخرج من حدود الواقع أبداً إلا عندما يتاح لها أن تنطلق من سجنها هاربة أو مدفوعة إلى الفراغ الذي يحيط بكل سجن من خارجه.

إنه كلام ليختلف عن أي هذيان من أي مجنون..

يشفع له عندك أنه الشيء الذي تنطلق الخوالد الراسبة المتوارية صادقة

عارية غير متنكرة، أبسط ما يلقاك به أنك ما تزال من نفسي وذكريات ماض في محلك القديم الذي لم يشغله حتى الآن غيرك.. وأين هذا الغير لو شئت أن تحرجني؟ .. وأقول بمرارة.. أين؟ فالناس لا يقبلون عادة على سكنى الخرائب لانها كانت قصوراً، وانما يهدمون القصور الباذخة لكي يلاحقوا ما جاء به الجديد في حركة تطور الحياة.

طالت المقدمة قليلاً عما فرضت على نفسي التزامه.. وانها لبقية من عادة الاجترار التي كنا نمارسها معاً عندما كانت الحياة كلها فسحة من الوقت تعين على التأمل والتعمق فيه استبطاناً واستظهاراً لما كنا نظنه حقائق الحياة وأسرارها.. غير آبهين لأن الناس من حولنا يأخذون الحياة على أن ما يبدو منها هو هي.. أو هو إياها على اختلاف النظريين الكوفيين والبصريين في هذا اللغز المحير..

نعم طالت كما اعتادت لحيتي أن تطول في هذه الأيام غير سائلة ولا مسؤولة عما يعني طولها في محيط يحلق أهله لحاهم بمتوسط مرتين في اليوم.

إن هاجساً في نفسك يسألك لماذا أكتب إليك؟ ولماذا أطيل؟ ..

وببساطتي القديمة أقول إنها ليست غاشية المودة، ولا رجفة الحنين هما اللتان دفعتاني إلى موقف أنشأته الرغبة المادية الخالصة في أن أسألك شيئاً صغيراً يعجزني أن أقوم به أو يقوم به غيرك ممن ضرب بيني وبينهم النسيان بما ضرب به الموت بين الأحياء والأموات..

هذا الشيء هو حاجتي القصوى إلى معرفة العنوان الكامل لعبد اللطيف جزار (البلد - والمحلة واسم الشارع ورقم محل السكن الذي تقطنه عائلته) وإن لم يكن هناك رقم للسكن فشهرته أو نسبته المالكة.

هذا هو الشيء كله وأضيف إليه علمي الخاص بأن محل السكن فيلا خاصة بالرياض وهو مقدار لا يجدى ولا يفيد.

حبذا لو أمكن أن يصلني الرد تلغرافياً وبدون ذكر اسم الجزار وبغير توقيع

أو بتوقيع غير اسمك إن رأيت أن هذا ضروري.

إن كانت البرقية غير ممكنة فليكن الجواب بالطائرة مستعجلاً.

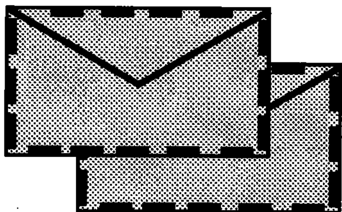
شكراً وإلى اللقاء.

أرجو أن لا يطول انتظاري وشكراً.

٥ يناير ١٩٦٩م **أخوك**

حمزة شحاتة

٢ شارع همدان ـ الجيزة



من محمد عمر توفيق إلى حمزة شحاتة



المهم ضبط الرجل

أخي حمزة

الأرض.. صدر أمر سمو الأمير عبد الله ـ عن طريق الشيخ محمود أبار ـ، وأبلغ فعلاً وكتابياً ـ لمحمد بن ملّوح في جده ـ باعطائك قطعة منها.. وابن ملّوح المذكور في جدة الآن.. وهو رئيس حاشية الأمير عبد الله.. ولعلك تعرفه.. والمهم تعقيبه لأنه كثير الأشغال والحركة.. ورأيى أن تتعقبه بواسطة البحيري أو عمر عبد ربه.. إلى أن تتجه به، فلا تتركه إلا بعد تحديد القطعة واستلامها.. إن لم يكن البحيري أو عبد ربه.. فمصطفى الصعيدي.. ولكن الأول أولى لسابق اتصال الموضوع به رأياً وحركة، وتعقيباً.. المهم هو ضبط الرجل وضبط القطعة فلا تتمهل بالله، لأنه كما سبق دائم الحركة والتنقلات.. مع ملاحظة أن الأمر الصادر إليه صريح بتسليمك القطعة كل الصراحة..

أما موضوع نزولك عندي.. فهو كنزولي عندك ـ لا يتحمل كل هذه الاستبراءات..

قلت لك بلساني وكتابياً، وبدل المرَّة مرات.. الله يحييك.. وأقولها الآن من قلبي كما يعلم الله. إن عندي بيتين ـ وسبق قلت لك عن هذا ـ فان ضاق بك أحدهما نوماً، ومقاماً، واستقراراً، واستقلالاً، وشعوراً بالبيتية ـ فان الآخر لن يضيق بذلك، أما المغدى، والمراح، والزاد المقسوم، فالحال فيه بيننا واحد كما لا أحتاج أن أقول.. وثق أنني أتحدث من قلبي لا من اللسان.. ولا أزيد..

إلى اللقاء

أخوك

محمد عمر توفيق

«البوكس» عندك

أخي حمزة

كتاب عمر رفيع وصلني منك في ظرف حركة انتقالنا إلى الطائف، وقد سلمته للسيد حال وصوله.. وأفادني بأنه سيتفاهم مع جماعته ـ الباشراحيل ـ ويكتب لعمر رفيع بعد ذلك بما ينتهون إليه.. ولم أفهم أنك تريد إعادة كتاب عمر.. على أنني قد أعدت النظر فيه عند تسليمه، ثم اتصلت تلفونياً حال ورود كتابك للسيد في مكة.. وكلفته بإعادة الكتاب إليك ـ بعد أن فهمت منه أنهم لم يكتبوا لعمر رفيع بعد.. وأنهم سيكتبون قريباً ـ، فأخبرني بأنه سيرسل الكتاب إليك.. ولا بد أنه سيفعل.

ماذا لديَّ إلا أن الطائف بارد معقول.. والا أنني ما زلت أنتظرك فيه.. وليس في الأمر أي تكليف عليَّ.. فهنا بيتان بيت فيه الوالدة ـ أو هو باسمها، لأنها تقضي بعض الأيام عندنا، وبعضها عند أختي ـ وبيت نحن فيه.. سأفرد لك غرفة في أحد البيتين لنومك واستراحتك.. وما عدا ذلك فنحن مع بعض.. وسهرة السمباوة هنا ـ وإن كنت لا أشترك فيها إلا ليلة الجمعة ـ سهرة معقولة لك، لأن الأعصاب فيها ليست متوترة مثلها في سهرة مكة.. هدوء وترويق.. ورق بلوت.. وكيرم.. وجراك.. و.. إلى أن نأخذ طريقنا إلى البيت للسحور.. فهيا عجّل بالله.. أما الاستدلال على بيتي فسهل.. إنك ـ ولا شك ـ تذكر بيتك ـ أو البيت ـ الذي صيَّفت فيه مرة بالسلامة.. إنه الآن بيت كبير يملكه تحسين.. أترك هذا البيت على شمالك .. وامض.. قبل بيت القامة ـ رحمه الله ـ، وهو بيت كبير في نهاية الشارع الذي ستمضي فيه على اليمين ـ قبل هذا البيت الكبير يوجد زقاق طويل.. ادخله واستمر.. ثم انعطف على الشمال في استمرار الزقاق.. سيلقاك متى انعطفت بيت كبير هو بيت القزاز أتركه فان بعده على اليمين بيتي يسبقه زقاق لا دخل لك فيه.. والبيت أرضي.. يتوسط

بابه مقعدين واضحين وبطاقتين في كل مقعد..

إذا لم يكن في هذا الإيضاح ما يغني، فما عليك - متى وصلت الطائف - إلا أن تدخل النيابة.. وهي أول بناية كبيرة تستقبلك.. ومن تليفون دهليزها اطلبني، لتجد البوكس عندك.. فهيا بالله..

أرى - في الأرض المهداة - أن تكتب كتاباً لسمو الأمير عبد الله.. وترسله إليَّ وعلى الله الباقي..

بودي أن أطيل، ولكن نفس الليل هنا قصير.. وأنا أكتب لك هذا من المكتب فإلى اللقاء،

أخوك

محمد عمر توفيق

رسالتك التي أخذتها مني لم تبعثها إليَّ إلى الآن، فهل هذا معقول؟ إن من بينها رسائل ذهبت خطأً.. وهي لعزيز وقنديل ومن لا أذكر الآن الجميع - فضلاً - أعِدهُ إليَّ، أو اصحبه معك إن كنت صاعداً في الحال؟

بين البيت والديوان

أخي حمزة

أردت أن تكون رسالتي في المليان كرسالتك، ولهذا تأخرت عليك، فقد جعلت من همي الحصول على مسافر ابن حلال، يحمل إليك ما تيسر من الدخان المطلوب قبل خميرة البيرة، حتى يسَّر الله سفر الأخ سليمان عباس وما أشك أنه ابن حلال، ولكنه اعتذر، بأن ما معه يزيد عن الوزن المقرر، فكأنه قد تحمل أمانات آخرين كثيرين ولكنه رحب بهذه الرسالة إليك. إن حالة أغلب المسافرين هذا حالهم، فدخن ما تيسر إلى أن يتيسر من ليس هذا حاله !

وهذا إن لم يسبقني الجمجوم إليك بالذي تيسر من الدخان أو من خميرة البيرة الامريكانية، وان كنت أرجح أن هذه ليست هي وسيلة العلاج الوحيدة.

الحمد لله على السلامة أولاً وأخيراً .. وصلت الشنطة وما رأيك في أنني نسيتها تماماً ولو لم تذكرني بها لنسيتها إلى الأبد.. أو إلى أن أتذكر.. أن هذا يغريني بأن لا أغير شنطة هائلة كهذه بعد الآن.. فخذ حسابك، أو شنطتك من الآن قبل أن تسافر مرة أخرى..

إن هذا لا يعني وجود أي جديد حولك.. ولا حولي.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.. وإن كان من المتوقع حصول ما لابد أن يحصل، فإن فكرة النزول إلى جدة أصبحت في حكم المقرر.. وأنا على إصراري ضد النزول.. وأسأل الله أن يختار ما فيه الخير كما أنه أيضاً لم يحصل هنا أي شيء يلفت النظر.. إلا الهدميات الجارية حول المسجد الحرام.. أما الأسهم والأرباح فلم يطرأ أي جديد في دنياها كما أخبرني الأخ ابراهيم الجفالي اليوم ٥ / ٦ / ٧٥هـ الموافق ١٩ / ١ / ٥٦م .. غير أن قنديل ربما كان في إجازة يتفادى الانظار.. إنني ما أزال حيث تركتني بين البيت والديوان.. مع غيبوبة بسيطة

في الشطرنج إن يسرَّ الله الزبون.. أو في الكتب والصحف.. أو في القصة التي فرغت اليوم أيضاً من كتابة آخر سطر فيها.. وأنا متردد في طريقة نشرها الآن.. وبعد فمن المليان أن الـ.. في خشمك قد عرضته بواسطة عدة أشخاص في مقدمتهم هلال شيت وحسني واحسان داغستاني.. أي في الوسط الفني اللامع.. ولكن الظاهر أن المزاج الفني قد تأخر كثيراً بدليل أن الـ.. في خشمك ما يزال عند خشمي كالسيارة الفورد موديل التي كنت سأرحل فيها «صدق» بدون أي استفسار من أي زبون.. ومن المليان أن الشيخ أحمد خليفة قد أحيل للتقاعد بكامل راتبه.. وهو عندك في القاهرة فحاول أن تزوره وبلغه ذلك مع سلامي وتمنياتي وإن وسعك أن تحدثني عن صحته فافعل.. وبعد .. فبودي أن أطيل لولا أن أخشى الخروج عن قاعدة «المليان» التي التزمتها في رسالتك إنني بخير ولله الحمد، وتفصيلاً .. وان كان البيت يتحول إلى مستشفى أحياناً .. وإلى مدرسة أحياناً .. وملعب.. ومجنانة أحياناً أخرى..

إن مما يسعدني الآن أني بعيد عن الناس وإن كنت لا أسلَمْ برغم ذلك مما لا يخفاك.. والتفاصيل من خشمي لخشمك إذا قدر لنا الاجتماع إن شاء الله..

إن أمزجتك التي أعرفها ترشحك لحضانة الأطفال بأمومة لم يعد ينقصها إلا الشكل فقط .! من يدري ربما تحركت الرجولة في القاهرة ! لقد أحدثت فراغاً في حياتي كما يعلم الله.. سلامي لمن يسأل..

حفظك الله

حاول أن تحتفظ برسائلي السابقة إن أمكنك،

محمد عمر توفيق

الفـرق في الحـمولـــة

أخي حمزة

تلقيت رسالتك وأنا في المدينة المنورة.. وكانت مفاجأة.. فقد توقعت من زمن بعيد ـ أن لا تكتب إليَّ.. أو تعودت ذلك.. فلم أعد أعرف عنك أكثر من أنك موجود في القاهرة وحتى رسالتك لم تزدني معرفة. فقد كان موضوعها سعر الجنيه كما تخيلته.. لا كما هو في تاريخ الرسالة التي يظهر أنك لم تقرأ تاريخها.. لتعرف أن سعر الجنيه فيه.. هو السعر المحدد لا المتخيل.. وحتى الآن أن المتخيل غير الواقع.. شيء واحد كان ينقصني، هو معرفة حاجتك للريالات هنا.. ولكن من يدري؟ ربما لو عرفتها لتطورت إلى العكس!

المهم أنك أوحشتني.. أنت.. و«مناهلتك» و«شمائلك» كلها.. إنني من زمن بعيد أعيش وحدي ـ بين البيت .. ودكاكين.. والمكتب.. ويندر أن أتخطى هذه «المحطات» إلا للشديد القوي.. تماماً كأي أوتوبيس.. ربما كان الفرق في الحمولة.. فربما كان تنويعها من بواعث الطراوة والاسترخاء.. في اتوبيسات أبو رجلية.. أعكسها في ظهري أو عليه، فهي هي حمولة واحدة مشاكلها تتجدد فقط .. أهل وعيال .. أو «تشكيلة» شعب صغير.. وأنا الزعيم والاتوبيس معاً.. وأنت.. كيف أنت.. غالباً نفس الاتوبيس.. كان الله في عوننا، فان عملية «التبويش» في مستقبل «أتوبيسينا» ترشحنا للظلام في زوايا «البوايك» إلا إذا جدَّت في هذه الأثناء قطع غيار يتم بها توضيب كل «اوتوبيس» معطل من البني آدم.

وبعد.. ففي رسالة من أحمد ملائكة أنك قرأت شيئاً من القصة التي كتبتها قبل سنتين.. ودفعتها بواسطته للنشر.. ربما كان ذلك خطأ، أو سخفاً، ولكنه حصل.. المهم أن الملائكة طلب مني كلاماً تقدم به القصة وقد أرسلته

إليـه.. وأشـار أيضـاً إلى اقـتـراح تقـديمهـا منك وأنا أرحب بذلك، بل أرجـو بالحاح.. وأنت في حل أن تقول ما تشاء، بعد أن تقرأ ما أرسلته إليه..

لم أسمع شيئاً عن مدارس البنات التي ستنشئها المعارف وعسى أن يكون ذلك صحيحاً .. وهنا مدارس أهلية للبنات لا يخفاك أمرها..

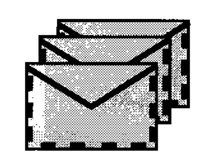
أما عودتك إلى الحجاز فانني أفضلها على بقائك كما أنت في مصر.. لأنني أرجح أنك لا تعمل هناك.. فالعمل هنا أيسر وربما كان أوسع مجالاً، ولم يجدّ هنا من الأحوال إلا الامتداد في نفس الخط الذي تعرفه من وقت بعيد..

وأسأل الله بعد هذا أن يختار لك ولي ما فيه الخير.. فإن وضعي معلق كما تعهده.. وقد سافرت إلى المدينة المنورة مندوباً في مهمة رسمية وعدت منها.. وأعتقد أن وضعي بهذا التعليق لا يدوم أكثر من ذلك.. وربما نزلت السوق كلياً في النهاية..

أوحشتني.. أقولها من قلبي.. ليتك تعود.. والمستقبل بيد الله.. لا زلت،

أخوك

محمد عمر توفيق



منتهى الإغـــراء

أخي حمزة

أنا هنا في «ورشة» الجمجوم.. بين الأخ يوسف يقلب عينات من «الحلاوة الكاكاو» والأخ حمزة والأخ أسعد ـ جمجوم أيضاً ـ يتبادلان الكلام بهدوء.. وقد دارت أكواب الشاي، ومع الجميع متسبب استطاع أن ينتزع من جيبي مبلغ ١٨ ريالا قيمة ست فنايل.. ولكن لم يستطع أن يفرح ولو بمليم واحد من أي جمجوم! وعلى الباب صوت «المقدم» يناقش جماعة من «الحمال» بصبر عجيب.. وأمامي بالذات محمد علي مجلد يشرح لي بعض أسعار البضاعة بأسلوب مطول.. أليست ورشة.؟

وبعد، فكيف الحال بأسلوب جمجوم أيضاً؟

إنني ـ وقد تنصلت من كتابة المقدمة ـ أحب أن أسمع رأيك في القصة.. وثق أنه لا ولن يغيظني أن يكون رأيك سيئاً فيها.. فربما أصبح رأيي أنا نفسي سيئاً فيها بعد مدة قد تطول أو تقصر..

لقد كتبت قصة قصيرة.. إن لم تقرأها منشورة فقد تقرؤها فيما بعد.. المهم أن عزيز ضياء، زعيم فن القصة هنا ولو كما يتصور هو على الأقل ـ أعجبته هذه القصة الكبيرة، أما «الزوجة والصديق» فله فيها رأي أقرب إلى السلبي.. ويتحفز من الآن لابدائه إذا نشرت. وأنا في انتظار ذلك على ما يشبه «الـبُـوُخّ» !.

أوحشتنا .. ليتك تحج في هذا العام.. أو تجيء كلياً .. لا لأي اغراء هنا.. إلا أن نكون معاً فقط.

إن هذا كما أظن منتهى الإغراء..

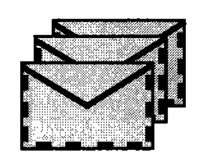
أرجو أن تكون ومن تحب كما تحب إن شاء الله..

حفظك الله وأبقاك، .

أخوك

محمد عمر توفيق

مكة المكرمة ٥ / ١١ / ١٣٧٦هـ



لـذة التحـرر

أخي حمزة

وصلتني رسالتك من قبل أيام.. وربما كان غريباً أن تصلني مع رسالة أخرى من جهة أخرى في الشام - في يوم واحد.. بل وفي لحظة واحدة.. قرأت رسالتك أولاً.. ثم الرسالة الأخرى أو العكس..

فالمهم أن الرسالة الأخرى لها معي تاريخ أو قصة ربما شاقك سماعها فيما بعد.. لتضع يدك في يدي وتقول: حقاً.. إنها قصة مثيرة..

وهكذا استغرقتني الرسالة الأخرى أو القصة المثيرة ومع هذا حاولت أن أكتب لك، فوقف القلم في يدي كما تقف الغصة - أحياناً - في الحلق.. لا يتقدم ولا يتأخر..

أحس أحياناً بأنني أحرك في يدى شيئاً غير هذا القلم الوديع، شيئاً كالجبل - عندما أهم بالكتابة.. واستغرقتني - عدا القصة المثيرة - مشاغل ومشاكل أخرى.. لعل من أهمها أن مشروع (دكاكين) وهو اسم (مشروعي) الذي كتبت لك، وسمعت، عنه - سيتطور قريباً إلى بقالة فنية، وملحمة، عند «البيبان» على يسارك وأنت داخل - إن شاء الله - بعد بضعة شهور كما أتوقع.. ثم تمضي على نفس اليسار في «حلزونية» ممتدة.. حتى تستقبل هواء الخط القادم من «التنعيم» وسيكون في امكانك حينئذ أن تدخل مطعم «دكاكين» إنه سينقلك بأحلامك الى «مطعم الحاتي» أو الشيمي - إن شاء الله.

مشروع ضخم لا أدري كيف دخلت فيه، وعرضت من أجله أكثر ما عندي للبيع.؟ ولكنني أدري أن طلبي التقاعدي مقدم من أشهر.. وأن هذا - أي المشروع - هو سبيلي وأسأل الله أن يختار ما فيه الخير..

وما أشير عليك إلا بما أشير به على نفسي..

إنني قد أتصور الإقامة في الخارج وقد أحلم بها.. ولكنني، غالباً، لن أمارسها..

إن لذة التحرر تكفيني.. ومجال العمل واسع إذا اقترن المسعى بتأييد الله..

إن في وسعك أن تبقي البنات يتعلمن داخلياً، وفي وسعك أن تتردد عليهن.. وما أشك في أن في وسعك أن تفكر، وأن تعمل هنا، وأن تنجح إن شاء الله.. فان النجاح ليس مقروناً بالوظيفة كما لا أحتاج أن أقول..

وأنا بعد هذا وقبله، لست من الرأي القائل بالاستمرار في تعليم البنات.. إلى الأبد..

إنني أعلم بناتي لأرشحهن للزواج، ولحياة البيت، والطفل، وللأسرة ـ على النحو الكافي..

والأراضي التي تسأل عنها ضمن رسالتك، ميسورة، والأسعار متفاوتة.. ومن رأيى أن لا تفكر في الأراضي قبل أن تفكر فيما تعمله إذا عدت.. إنني لا أعني أن تفكر في ذلك من الآن..

إن أياماً تقضيها هنا تكفي للتفكير فيما يمكن أن تعمله إذا عقدت العزم.. ووراءه الإيمان العميق بالله..

والأرض.. ومشاريعها.. تأتي بعد..

أما الأصدقاء فهم معي ومع بعضهم ومع الآخرين ـ كعهدك بهم..

إن سلوك الناس قد تحرر كثيراً ـ كما يبدو ـ في الأيام الأخيرة على الأخص.. ربما أصبح على شبه كبير بتحرر المرأة.

فمن الأولى ـ إذا كان ولا بد للانسان من الناس ـ أن يعرف هذه الحقيقة، وأن يتعامل معهم على أساسها.. وهذا لا يعني أن يتحرر مثلهم، إذا كان مثلي من هواة النظريات أحياناً، بل يعني أن يتحرر من نظرياته، على الأقل، على أن يحدد تعامله معهم بقدر الممكن.. وإلا ذهب متحرراً مثلهم.. إلى أن يأذن الله..

أما قصتي فأنا نفسي لا أدري ماهو نصيبها الذي سألتني عنه.. كل ما

أدريه هو نسخة أو نسختان من القصة.. في غلاف ورق مطبوع.. لم يطبع على هواي.. أو ـ على الأقل ـ بدون أغلاط .. ثم.. ثم ما تزال المخابرات جارية بيني وبين الملائكة لمعرفة مصيرها وتحديده.. فإن وسعك وأنت أقرب إلى «الناشر» و«الطابع» أن تقول لي: ما الذي حصل بالضبط؟ فان هذا قد يريحني ولو باسوأ الفروض.

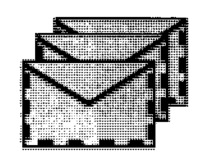
وقد سبّبت لي أخبار ملاحظاتك التي مزقها البنات، ومقدمتك التي لم تكتبها للقصة. حالة كحالة «المحنة» ولكن في أفكاري.! وهي ـ كما تعلم ـ حالة لا يطفئها، غالباً، إلا أن أسمع هذه الملاحظات.. أو المقدمة.. ولو مؤخراً.. وأنا بعد هذا لي رأي في القصة ربما قلته لك بعد أن أسمع رأيك فما رأيك.؟ لو لم تطل هذه الرسالة لقلت لك رأيي.. ولكن هنا رسالة أخرى سأكتبها للسيد على عامر، بهذه المناسبة.. هل زرته؟ إنه في مستشفى المنيل الجامعي.. لا تنس أن تكتب إليَّ ولو بعد شهرين.. وأن تبلغ سلامي للشيخ ابراهيم السليمان إن لقيته.. فقد كتبت إليه وسمعت صوته من إذاعة مصر ليلة عودته من دمشق..

حفظك الله،

أخوك

محمد عمر توفيق

مكة المكرمة ١ / ٣ / ١٣٧٧هـ



تعب «حاف»

أخي حمزة

كيف أنت يا صديقي بعد كل هذا الصمت الطويل.؟ ويعلم الله أنني كنت المقصر، ولكنني لم أكن معك في حالة صمت قط..

يندر أن لا أذكرك في نفسي.. ومع الآخرين، وأتمنى أن أكتب لك دائماً غير أن الكتابة تثقل عليَّ أحياناً كما لو كنت سأحرك جبلاً إذا كتبت.. وأمارسها أحياناً كما أمارس المحنة أو المشكلة.. أكره مراسها، وأشعر بوجه السخر فيه، ثم لا يسعني إلا أن أفعل، أي إلا أن أستمر.. إلى أن ترحب باستقبالي مشكلة أو محنة أخرى.. وهكذا تثقل عليَّ الكتابة أو الحياة كلها أحياناً واتصور أنه لم يعد في وسعي حقاً أن أحيا زيادة، وربما خطر لي في مثل هذه الحالات أن «أتلمَّظ».. ـ كما نفعل أحياناً لرائحة الطعام الشهي ـ إذا مات ميتٌ «طازه» ميتة حلوة.. وأتمادى إلى حد أن أتصور نفسي في القبر مدروجاً في الكفن.. ثم لا أدري كيف تنتقل أفكاري فجأة من «مشروع» مباشر، موضوعه «المريى» الذي هبط سعره عندي إلى معدل النصف.. شائعاً في حوالى ٢٠٠ كرتون.. إلى «مشروع» غير مباشر في أسمرا مثلاً.. موضوعه الإقامة هناك لو تيسرت، فان الهدوء.. والجمال.. والرخاء الذي هناك، شيء عجيب «يَطلّسِن».. ثم أنسى القبر والكفن كلياً .. وأرجع إلى الدنيا كما لو كانت كلها ايطاليا.. أو أية جنة أخرى على الأرض أنا فيها من «أجعص» الخالدين!

إنني أعرف من أحوالك ما أعرف من أحوالي.. على الجميع طابع التعب..

لاحظ أنني لا أشتكي الهبوط مثلاً، أو الكفاح، أو أي معنى عنيف كهذا.. إنما أشتكى التعب.. أي والله التعب. من ممارسة ما يشبه «المقالب» في حياتي فهو ـ أي التعب المذكور ـ لا عنف ولا مشقة ـ انما تعب.. بس .. كده.. حاف.

انني أتصوره «حالة برزخية» أتزحلق عليها باستمرار.

هل تذكر صوت «السواني»؟ تصوره أو تصور أنك محكوم عليك أن تسمع صوت «سوانى» بعينها باستمرار.

إنني أشعر نفس الشعور من صوت التعب.. في عظامي وأعصابي.. وأتمنى أحياناً أن أتمدد طويلاً ولو على رأس جبل في اليمن، نحو سنة إن أمكن.. في غير جو «السّواني» وصوتها اللي يمرض..

كفانا الله واياك الشر يا صديقي.. فلو لم يكن من حظنا إلا أن هذا الطريق ـ طريق السواني والتعب ـ سيؤدى بنا، أخيراً وآخراً، إلى الله ـ لكان هذا الخير وحده أبلغ حفاظاً من الشر إن شاء الله..

وهذا رمضان أرجو لك ولي وللمسلمين فيه المغفرة والقبول والتوبة الصادقة، ليكون ما سيأتي خيراً مما مضى.. عسى أن يرحمنا الله..

إننا نتطاير عن عجلة السواني كما يتطاير الغبار الدقيق عن نفس العجلة.. فأحسن المصير يارب..

تهانئي لك ولبناتك ولمن تحب بشهر الصوم المبارك وأمنياتي الطيبة التي أرجو بها لك ولمن تحب كل خير وصحة طيبة.. وكل حال كريم طيب إن شاء الله..

إيش رأيك في «عمرة» على آخر رمضان؟ الله.. شيء جميل.. إن كان يقسمه الله.. يا ليت..

هيا يا صديقي، فقد أوحشتني..

حفظك الله،

أخوك

محمد عمر توفيق

سلامي للإخوان عبد الله والفلالي والشلة الحلوة

العاشق المحموم

أخي حمزة

عدم ايفاء اللغة مطلب التعبير عمَّا يلوب في دنيانا النفسية شيء، وشعورنا بذلك إذا أردنا التعبير شيء آخر. وأعني بهذا أن اللغات كلها قد تكون في واقع ألفاظها وصورها البيانية المختلفة غير عاجزة عن الأداء الحسِي مهما ارتفعت درجة حرارته ألماً وسروراً، ولكن النفس الشاعرة ـ إذا تنازعتها دوافع الشقاء والسعادة، وأنهالت خواطرها حيرى متراكضة تزفر وتولول ـ غدت تحس أن هذه اللغة رغم واقعها القدير ـ لا تكاد تفصح عن الحركة الثائرة بين جوانحها.

فان كنت تنكر وأنت السليم المعافى على المحموم المصاب هذيانه، وان كنت ـ على ما جرَّبت من وقدة الحمَّى ـ تكذِّب إحساسه بهول هذه الوقدة وما دونه من وهم مختبل يمزق جلده، فأنت لا تنكر بعد أن هذا المحموم في هوسه واختباله ووهمه شيء «واقع» لك أن تهزأ به، وأن ترثي له، وعليك فيما عدا هذا، أن تستقبله، وقد ألغيت منطقك المترتب على الاحساس «العلمي» بألم المحموم، وابتعثت في نفسك نوازع العطف والمشاركة الوجدانية.

وإلا فهل يسعك أن تقول لمحموم هذا حاله: لست صادقاً فيما تصوره لك خواطر الحمى من سعار وبلاء؟! ستكون عنده قاسياً إذا قلت ذلك، وسوف يسأل الله أن لا يُكريه برؤياك إن سأله العافية والشفاء!

ولنقل بعد: انما العاشق كالمحموم، فما الذي يترتب على ذلك؟ يترتب عليه أن العاشق له من خواطره التي تغلي في رأسه هو ـ لا رأسك أو رأسي ـ مدى كالخضم في مده وجزره وثورته وتضامنه وإشراق صفحته في ضياء الليلة المقمرة، وارتجافها سواداً مغبراً إذا اضطربت آفاقة مجلجلة مفزعة، والليل مخنوق لا يتنفس، فإن أحس ـ وقد تطلَّب التعبير ـ أن هذا المجال اللفظي

محدود، وأن مذهب القول مغلق دونه لا يكاد يستريح إليه، فهو في حسه صادق وليكن بعد في نظرك وفي ميزان درجة الحرارة العلمية مجنوناً أو أشبه شيء بالمجنون، فهو رغم كل ذلك «شيء واقع» لا سبيل إلى إلغائه.

ولو أردنا عمل احصائية تشتمل أنماط الناس، لترينا بعد كيف يحسون جميعاً، وكيف يتخيلون، لوجدنا أن الحياة في كل أدوارها الماضية والحاضرة ليست أكثر من مستشفى لا تكاد الأرقام تضبط مجانينه المتجاورين فيه.

العاشق مجنون، والمصاب مجنون، والمرأة الحبلى مجنون، والشقي مجنون والسعيد مجنون، والمحزون مجنون، والفَرِحْ مجنون، والمتفائل مجنون، والمتشائم مجنون، وقس على ذلك مفارقات الأحياء كلها، فما هي الكمية العاقلة التي تبقى بعد التصفية ؟

المسألة هنا ليست أكثر من أمر واقع لا تلغيه النظرة العقلية الآتية من وراء حدود التجريد. وإلا فهل يسعك اليوم أن تلغى الآثار الفنية التي تحدرت إلينا من أعماق التاريخ تحمل إلينا من خلجات صانعيها ما هو لمحة أو صورة كاملة فاضحة، لأن هذه الآثار لا تمثل واقعهم الحسي وحده بل تمثله مهوّلاً غير صادق؟

وهل يسعك اليوم إن ألغيت هذه الآثار أن تلغي استجابات الحس العصري لدوافع كثيرة هي في واقعها «الطبيعي» قلة محدودة؟!

وهل يسعني اليوم أن ألغى قصيدة من نظم شاعر حديث تقدمت إلى القراء تحت عنوان «وداع» لأن هذا الشاعر أحس أن «الليل» في قصيدته هذه يشاركه هوى حبيبه، فجعل يسأله أن يقول «كنت أهواه هواك»، حتى إذا أبى الليل - فيما خيل إلى الشاعر - جاء يقنعه منطقياً بصدق حسه، فقال فيما قال: «انه أي الليل كان يحنو على حبيبه في ساعات السمر، وكان يلقاه غيران شقياً». وليس بعد الحنو والغيرة دليل على اتقاد صدر العاشق المنهوم، والنتيجة التي تمليها هذه المقدمة هي أن «الليل» «عاشق» وان كان مع هذا ظلاماً كسيحاً يقوم مقام الزنجي الذي لا يفصح ولا يعي!

وهل يسعني أن ألغي هذه القصيدة نفسها، لأن هذا الشاعر «المودع» أحس

فيما أحس أن (نسمة الحقل تسترق الخطى إلى من يهواه فيلقاها أرق وأرشقا)، والنسمة مع هذا قد استرقت نفس تلك الخطى إلى من لعل الشاعر كان لا يطيق أن يرسل إليه نظرة باردة !!

لقد كان يكفي ناظم قصيدة «وداع» أن لا يقول في هذه المناسبة أكثر من البيت الأول أو الشطر الأول منه «وداع وهل لي أن أقول إلى لقاء»، فإن ما جاء في أعقاب القصيدة مبالغة وتهويلاً لا يفوت الناس ادراكهما كأوضح الظواهر وأكثرها اشراقاً . وكان يكفي ذلك الشاعر أن يقول في المناسبات التي دعته إلى نظم قصائد أخرى كثيرة صلتها بهذه القصيدة، صلة الحب ولواعجه، أن يقول مرة «أنا بهذا الحب شقي» ومرة «أنا به سعيد» لتكون مقالته هذه «واقعية» تمثل حقيقة تأثره النفسي ـ في ميزان الحس العلمي ـ بالحب سعداً أو شقاء !

ولكن صاحبنا قال ما قد ينكره إذا استيقظت في وجدانه عوامل الشعور «الصحيح»، ونحن لم ننكره وقد قاله، لأن تجربتنا الماضية تطمئن إليه.

لا يسع أحد منا أن يلغي قصيدة كهذه، أو أية قصيدة أخرى، كما أنه لا يسع أحدنا أن يضرب على أفواه الشعراء، بأن يفرض لهم سبيلاً واحداً عليهم أن يركبوه في كل مناسباتهم النفسية، وأعني بذلك ـ سبيل التعبير الدقيق الذي يتناول الحس مفرغاً في قالبه العلمي المحدود، وعليهم إذا أرادوا تصوير المصيبة أو الفرحة وما إليهما ألاّ يتجاوزوا الإشارة إلى ذلك اشارة المتكلم الموجزة، فإن ـ هذا ـ كما لعله واضح ـ يساوى إلغاء نزعة الفن، حيث يغدو الناس كلهم سواء، ما دام في مقدور رأيهم أن يصطنع هذه الإشارة. وصحيح أن الغاء نزعة الفن لا يترتب عليها إلغاء إحدى ضرورات الحياة لأنها قد لا تنقص ولا تزيد شيئاً إذا ما ألغيت، ولكن هذا لا يعنينا، لأنه شيء غير واقع بالتأكيد.

وأنا إن جئت أسأل الآن عن سرّ هذه المفارقة الكبيرة بين واقع الحياة وحاضرها القديم إلى ما هو أبعد من ألوف الأجيال، قال منطق العلم الاجتماعي: إنه الضرورة والحاجة. وما الضرورة والحاجة؟؟ أليسا هما في الغالب مبالغة وتهويلاً ؟

ضرورة اتقاء المطر والسيول مثلاً أوحت إلى الرجل القديم أن يلجأ إلى

الكهوف، فلو بقيت الضرورة الأولى مجرَّدة عن المبالغة في تهويلها لما استتب للرجل العصري أن يشيد داره على طراز آخر، ـ والمطر، كعوادي الطبيعة كلها، لم يزد خطره، ولم يقو بأسه، فليس هو اليوم غيره بالأمس إن لم يكن العكس، وقس على ذلك ضرورات الضوء والأكل والنوم وضرورات الجنس وما يجرى مجراها، فكل هذه ضرورات على اعتباراتها الأولى لا على اعتبار ما أضيف اليها من ذيول كثيرة، وإلا فكيف وسع الانسان الأول أن يعيش وحياته مجردة عنها ؟ ولكن الأحياء جعلوا ـ كمطلب الحياة الأزلي ـ يمدونها على مر الزمن بفضول أساسه التجمل والاكتمال، ويقوم هذا الفضول في جيله مقام الزائدة الواضحة، حتى إذا جاء جيل آخر تقبل الفضول هذا كمظهر ضرورة منطوية، ولم يكتف به بعد، بل أضاف إليه فضولاً آخر وهكذا دواليك.

يسعك اليوم بل ويسع من يرقد في أحضان باريس أو مصر أو أي هذه البلاد المفتونة بنفسها، أن يعيش حيث تعيش زنوج إفريقيا مسايراً ضرورات الحياة الأصيلة الثابتة، فإن زعم عدم المقدرة على ذلك، فإن زعمه هذا صدى المبالغة في الشعور بضرورات الحياة، وهي مبالغة تحدرت إليه عن طريق الوراثة، وألهمته إياها ظواهر الحياة الصاخبة في بيئته ومحيطه.

ضرورة الحرب لم يكن من شأنها أن تُضخِّم أدواتها على النحو المشاهد اليوم، بل المبالغة في الشعور بهذه الضرورة هي التي فعلت ذلك.

كل هذا يؤيد ضرورة المبالغة، وضرورة ارتباط التقدم الحيوي بها.

فان أردت إلغاء التهويل في إحساس النفس الانسانية بمصابها أو بفرحتها، فان هذا يترتب عليه أن تعود الحياة إلى ما وراء التاريخ، ذلك لأن التهويل غير مقصور على «الحس الفني» وحده، ولكنه شمل ويشمل ميول الانسان ورغباته الطبيعية كلها.

على أن الفكرة التي لا تستمد قوتها من «الواقع» إيماناً وتوكيداً ونفياً والغاء، هي فكرة روائية تستدعي المتابعة والفكر، ولكنها لا تستدعي إلغاء «فكرة» أخرى واقعية ذات قوة وحياة.

ومطلب مسايرة الحس خطوة خطوة لا تستعجل روافد الخيال، والمبالغة

مطلب قد يكون أقوم في ميدان النظرة العلمية من نقيضه، ولكنه إلى ذلك كمطلب من يريد تبسيط قواعد الحياة بعد أن تعقدت أيَّما تعقيد.

وللشيء «الواقع» حكمه ومنطقه ومطلبه أيضاً، فإن عنينا بغيره، فما أبعده عن التأثر بنا في هذه العناية التي تجافته..

وبعد.. فإذا كان هناك خطأ في «الشعور» بعجز اللغة فهو خطأ الحس المبالغ فيه، وهو خطأ غير أساسي لأنه مترتب على ما قبله، وأعني بما قبله الشعور المتضخم بالفرحة أو المصيبة.

وعندي أن «ألفاظ» اللغة لا تمثل «حقيقة» الحس المتضخم.

وأنا لا أزال أسألك عن أثر النظرة الساحرة في نفسك؟ أهو نشوة بالمعنى الدقيق ؟ أو فرحة بالمعنى الدقيق؟ أو تيار بالمعنى الدقيق؟ أو ماذا؟ النشوة والفرحة والتيار وكل ما يطلق على أثر هذه ـ النظرة لتعريفه يطلق على حالات نفسية أخرى هي عكس ما تطلق عليه الآن، فهل تكون هذه الألفاظ بعد كل هذه الفوضى في مفهومها، تعبيراً دقيقاً عن الإحساسات المختلفة؟

أنت نفسك تعود فتقول ما معناه «إن التعبير عاجز عن إشاعة تأثير الصورة الحسية في نفس رائيها».

«تأثير الصورة» هو الذي أعنيه «بحقيقة» الحس الفرح أو المحزون، فلو كان التعبير قادراً كما تقول لأشاع هذا التأثير أيضاً، أي لحمل «حقيقة الحس» المستورة، والدليل على عجزه هنا هو مقدرته على ذلك في مناسبات أخرى غير هذه المناسبات الحسية المضطربة، كمقدرته على افهام المخاطب معنى «جاء» في قولك «جاء البريد» ومقدرته على إفهامك وإفهامي حقائق الفكر على نحو واضح لا يدع مجالاً للغموض.

حينما أقول مشيراً إلى الجو «أنه جميل» والجو على مرأى منك، تدرك أنت بالتأكيد ما أعنيه من جماله على ما قد تلوح لك من سمات أخرى ما استثارت في نفسي شيئاً، ولكني إذا قلت لك في قصة أسردها عليك «والجو كان جميلاً» أهل تقدر جماله المقصود حتى بعد الوصف الدقيق، أم أنت في

حاجة إلى اقتران الصورة بالتعبير ليكون الأداء أوقع في نفسك؟؟

ولماذا كانت صورة الكاتب أو الفنان أو الشاعر رغم كل ما يقال في وصف قسمات وجهه ذات قيمة مقررة في ميدان النظرة العصرية التي يقصد منها التعريف والمطابقة والبحث ؟

وقد تعود الحس الشاعر استحياء الطبيعة على اختلاف ألوانها جدباً وربيعاً، فما هو الصدى المحدد الذي تستطيع أن تنقله الألفاظ إلى نفس سامعه أو محدثه إن جاء يصف له مجلساً في ظل كهف أو ربوة أو تل مشرق؟

وبماذا تفسر اختلاف «الأداء الشعري» في كل جيل وجيل مع أن الطبيعة هي الطبيعة، والجمال هو الجمال ودنيا النفس هي دنياها ؟؟.

أليس ذلك لأن الحس الانساني متفاوت، رغم أن العلم قال كلمته الأخيرة في تقرير درجاته ؟

ومن ثم فالحكم الذي يمليه هذا التفاوت حكم صحيح لا يوهن من قوته أنه نسبي، وإلا فما هو الحكم المجرد من الاعتبارات، والحياة كلها ليست أكثر من اصطلاحات ونسب متقارية ومتفاوتة؟

إن نظرة العلم إلى الحس لا تشمل مذاهبه الروحية، وليست تأثرات النفس كلها مادية تقوم على المرض والنقص الطبيعي أو ما اليهما، وإلا فكيف تفسر الانقباض النفسي الذي لا يترتب على أي انحراف صحي، وليس له بعد أي ارتباط أو علاقة بهذه المؤثرات التي تتصل بنفس الانسان فتكون سبب شقائه أو سعادته مؤقتاً؟ وما هي الدرجة العلمية المقررة لحس منقبض كهذا؟

أنا أعتقد أن للحس على اختلاف ألوانه معايير ودرجات متفاوتة، ولكنها ليست هي التي يقررها مبضع الطبيب.

أنا إذا شقيت وتألمت من مرض عنيف يهدد بنيان جسمي أكون أكثر تشبثاً بالحياة مني قبل ذلك، ولكن إذا تألمت وشقيت في نفسي شقاء من تضنكة المناسبة العابرة، أكون أكثر تشبثاً بالفناء، وما يمسكني عنه إلا الشعور الخائف بجريمته المقصودة واعتبارها مأثمة قاسية.

وبعد فلقد قلت في رسالتك عن «الرغبة»: «أنها أدق مظهر لشعورنا الطبيعي باللذة والألم»، والذي أعرف وأعتقد أن «الرغبة» ليست «مظهراً» ولكنها «دافع» خفي يأتي «المظهر» بعده، والمظهر هو «الشعور» باللذة أي الارتياح لها، والشعور بالألم أي النفرة منه، فهل تعني بالرغبة مفهوماً آخر غير هذه القوة الدافعة التي تمثلها الغريزة الملهمة عند الحيوان الأعجم، والملهمة العاقلة في بني الانسان ؟؟.

وقلت في رسالتك كلاماً عن البدوي وشعوره بالجمال، وانحطاط هذا الشعور في نفسه إلى حد يجامع البهيمة عنده، وهو ما لا يقره واقع البدو ولا الحضر، فلعل في ذلك النمط الجافي من يلقاك بأرق احساسات العشق طهراً وسمواً ، ولعل في جماعة الحضر من يلقاك بعكس ما يلقاك هذا به في كل ما يعشق ويهوى، فليست القاعدة أن «البدوي» ليس أكثر من إنسان سافل الرغبة، وأن الحضري هو صاحب الثراء الواسع في دنيا الجنس، لأن الشذوذ الجنسي غير وقف على النمط الحضري وحده، وإلا لما قرأنا من أخبار كثير والمجنون ومن إلى هذين لغة أخرى غير لغة الشهوة، ولكان شعر امرىء القيس والأعشى ومن إلى هذين مرآة تصور غطيطهم الجنسي وحده، وما هو كذلك في واقع امره.

وقلت أيضاً عن اللغة العربية «أنها تركة غير قابلة للتصفية» وأحسب أن هذه الرسالة تضيق بالتعليق على مقالتك هذه، فالى اللقاء في فرصة أخرى.

أخوك

محمد عمر توفيق

الأخبار الأخيرة

أخي حمزة

كان عندي العطار والزيدان يوم جاءتني رسالتك.. وكان موضوع الكلام من سيكتبون لعكاظ العطار.. وأنت في المقدمة .. وجرى الكلام عنك مجرى الشوق والتقدير.. وقرأت لهما رسالتك في هذا المجرى أو السياق، فقال الزيدان وهو يفعص السيجارة بعد النفس الرابع أو الخامس:

كلام.. رافعي.. لذيذ..

قلت سأنقل هذا لحمزة.. قال: انقله.. إن دم الرافعي في حَمزة.. الى الأبد.. أو كما قال..

إنني أمهد بهذا الدهليز لحقيقة أرجو أن لا «تبالطني» كثيراً فيها .. وهي أنك تعيش في قلب الكثيرين هنا، كما لو كنت هنا.

وقد اكتشفت من أسئلتك لي عن أسمرا: أنك لم تقرأ مطلقاً ما كتبته عنها في نحو عشرة أعداد من جريدة «البلاد».

ربما وجدت هذه الأعداد عند أحد الإخوان.. ملايكة أو عبد الله عبد الجبار.. أو الفلالي.. والخلاصة ـ ان أردتها ـ أن الحياة هناك قد تتعذر على من لم يكن له دخل يأتيه من غير أسمرا، والرخاء والجمال.. والشعر.. حق فيها.. بين معان أخرى بما كان في مقدمتها شيء كالهلع.. منذ كان الفقر هناك هو السائد.. إلى جانب مشاعر أخرى موضوعها: الأبيض.. والأسود.. والأجنبي.. وابن البلد الغلبان.. الأمر الذي قد يزعزع الطمأنينة..

فان أردت الكفاح أياً كان نوعه.. كفاح العيش أو غيره ـ فإن ما هنا أدعى للأمل في ثمرة الكفاح.. وإن طال هذا الأمل.. وأنا مستعد للتعاون معك قلباً

وقالباً كما لا احتاج أن أقول..

ربما كان الأفضل في نظري أن تعود، بل الأفضل أن تجري خيرة على العودة.. وعند ضياء الدين رجب صيغ للخيرة يعرفها، فإذا رجحت الخيرة أن تعود، فلا تتردد.. ولا تفكر، فإن التيسير بعد الخيرة الطيبة حاصل بدون شك..

وأحيلك كما أحيل نفسي إلى الخيرة، مذ عرفت جدواها وفشل تفكيري غالباً في تصور النتائج والأسباب..

من يدري.. ربما كانت «الخيرة» لك أن تعود.. إننا في وسعنا أن نهاجر داخلياً هنا.. لو اقتضى الأمر.. فكر يا صديقي.. واسأل الله أن يختار ما فيه الخير لي ولك وللمسلمين..

وبعد..

فان جريدة «البلاد» تصلك كما أظن الآن.. وفيها باب جديد.. تحت عنوان «على هامش الأيام» في الصفحة الأخيرة.. بأسلوب وطريقة صحيفة الأخبار الأخيرة.. والعبد الفقير يشرف على مواد هذا الباب، بفكرة أن تكون أعلى دائماً.. فالقصد أن نزاحم بها مواد الأخبار وإن كان هذا غروراً كما قد يبدو.. وقد درجت فيه أقلام لا بأس بها وأحب أنا وتلك الأقلام.. وكثير من الناس، أن نسمع صوتك تحت هذا العنوان.. ٤ مرات في الشهر.. ربما كان في وسعك أن تبدأ تحت عنوان: أنا.. هنا.. في القاهرة.. كجواب على الذين يسألون عنك أحياناً، ويبدو على أحدهم أنه كما لو كان يجهل حقاً أنك في القاهرة من سنين.. وفي القاهرة.. وحياتك، قصص وفصول صغيرة في وسعك أن تقولها، ورباعيات.. أو نحوها من شعرك.. تكون في آخر اليوميات..

أرجوك.. لقد أخذت على نفسي أن أسمع الناس صوتك.. وما أعتقد أنك ترضى لي الفشل..

ولقد اتفقت مع حسن قزاز على تخصيص مكافآت هي متواضعة في الواقع، وصدقني أن عواطف الناس هنا تجاه من يحبونه أكبر كثيراً منها.. غير

أن القصد هو الرمز.. والمبدأ.. على أساس أن بين كل بضاعة وأخرى فرقاً.. لا على أساس أن المستوى واحد.. يشمل الجميع.

ولن يقل الرمز بالنسبة لك عن أكبر رمز بالنسبة لغيرك.. إن أحسن ما يأخذه «أجعص» كاتب هنا في «الباب المذكور» لا يزيد عن ٧٥ ريالا..

واتفقت مع حسن على أن يكون رمزك الشهري أربعين جنيهاً مصرياً عن أربع يوميات - في حجم ما تراه - في كل شهر..

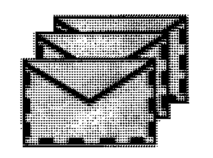
أرجوك لا تناقش في الرمز مطلقاً.. وأرسل لي أول دفعة.. وإلا فسأضطر إلى نشر ما يمكن نشره من رسائلك.. إن لم تصلني الدفعة خلال شهر بعد هذا..

أكتب يا صديقي فإن الناس - والله - يحبون أن يقرأوك وأن يسمعوك..

أنا في الانتظار.. حفظك الله،

أخوك

محمد عمر توفيق



قسمة الله فينا

أخي حمزة

لا تظنني أعتذر فقط .. إذا قلت إنني كنت وما أزال فيما يشبه الحمى من هذا الهناء - أقصد العناء - الذي كتبه الله عليَّ.. إنني كما يعلم الله صادق فيما أقول.. وأنت والله دائماً في خاطري وقلبي.. انها قسمة الله فينا.. ولا أزيد.. إلا أنني ما زلت حيث أنا أدور في فلك أزمتي الكبرى التي سبق أن بدأت حكايتها لك.. ولم أكملها.. لأن ظرفي في مصر كان من فصول هذه الأزمة.. لقد قصرت.. لا معك وحدك.. بل ومع أصدقاء آخرين تفضلوا بزيارتي، فلم يسعني أن أزورهم مثلها ويعلم الله أنني لا أركب التقصير بل يركبني قهراً فيما أحس.. وعفو الأصدقاء - بعد الله - حاصل كما أرجو ..

أرجو أن تكون صحتك ومن معك جيدة.. وأن تكون أخباركم سارة طيبة إن شاء الله.. وهذا شهر رمضان قد جاء.. أرجو أن يبارك الله قدومه عليك وعلي.. وعلى من يحب.. وأن يجعلنا ممن يحب..

وسلامي للأصدقاء الكرام.. الأساتذة عبد الله عبد الجبار وولي الدين أسعد، وابراهيم فلالي.. مع تهاني الخالصة..

وأرجو إخباري بأي لازم لك من هنا.. حفظك الله وأبقاك،

أخوك

محمد عمر توفيق

مكة المكرمة

٢٣ / ٨ / ٧٨

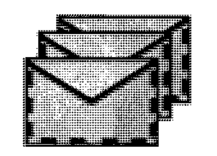


من حمزة بوقري إلى محمد عمر توفيق



حـــمزة بوقري

ثـــروة كـــبـيـرة



ثـــــروة كـبيــرة

أخي الأستاذ محمد عمر توفيق

أنا عـاتب عليك أشـد العتـاب ـ لأنك حـمَّلت عـبـارتي البـسـيطة أكثـر مما تحتمل، فقد كنت أعتقد أنني إنما أقدم لك بها وعداً بألا تأسف على مقالاتك التي سترسلها إلى المجلة مستقبلاً. وكان كل مافي ذهني وأنا أكتب إليك أنني سأهتم بها وسأحاول ألا تتكرر الأغلاط المطبعية التي أعرف أنها تزعجك كثيراً كما قلت لي غير مرة.

ثم.. أتعتقد أنني ثري حرب لهذه الدرجة حتى أزهد في مقالات من هم أقل منك.. بل أنت.. إنني أعتبرك يا أخي ثروة كبيرة ـ بغض النظر عن العمل الرسمي ـ وليس من المعقول أن أفرط بهذه السهولة .. فيها ـ انني أخشى أن تكون رسالتي وصلتك ـ وأنت منفعل لأي سبب من الأسباب فحمَّلتها ـ وهي البريئة ـ من كل هذه الظنون.

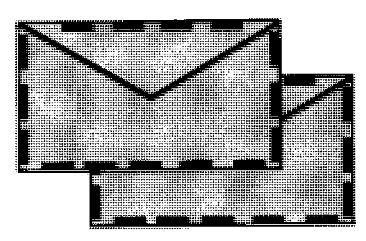
وعلى كل فأنا آسف لذلك، وإن كنت أعتقد أنك في أعماقك لا تصدق ما كتبته لي.

ولك مني أطيب التمنيات.

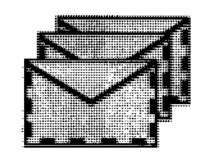
المخلص

حمزة بوقري

١ / ١٢ / ١٣٧٧هـ



من محمد عمر توفيق إلى حمزة بوقري



اللـــــبن المـــراق

أخي الأستاذ حمزة بوقري

من مفهوم العبارة الأخيرة في رسالتك ـ وفيها تعليق على «اللبن المراق» قدرت أنك زهدت في أي مقال أكتبه لئلا أبكي على «اللبن المراق» أو غيره كما تقول العبارة.. وسكت أنا لأنه ربما كان فهمك لما كتبته لك تعقيباً على «استجواب» العيد، غير فهمي أنا.. ولم أجد من الوقت متسعاً لأشرح لك فهمي في رسالتي..

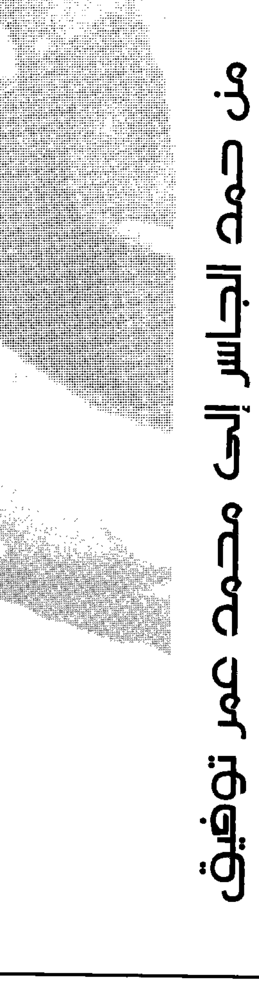
وخيل إليَّ بعد هذا الصمت الطويل أن ما قدَّرته ربما كان صحيحاً، ففضلت أن لا أكون البادىء بالهجر.. مع تجربة سأحدثك عنها بعد نشر هذا المقال إن فضلت نشره في المجلة.

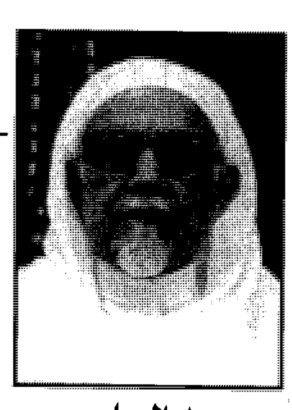
ولك أطيب التحية والتقدير من المخلص.

محمد عمر توفيق

٣٠ / ١١ / ١٣٧٧

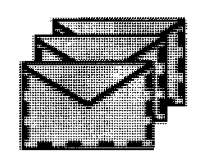
من حمد الجاسر إلى محمد عمر توفيق





حمد الجاسر

الأدب المعاصر



الأدب المعاصر

سيدي الأستاذ محمد عمر توفيق

طلبت مني الإدارة الثقافية في الجامعة العربية بكتابها رقم ٤٩-٤-١٤٤٦ تاريخ ٢٣-١٠-١٩٥٦م أن أقوم بتأليف كتاب عن الأدب المعاصر (من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٩٥٠) في شبه الجزيرة العربية ليكون مرجعاً للتدريس في المدارس الثانوية في الأقطار العربية المختلفة.

وسأحاول إجابة طلب الإدارة إذا وجدت من أدباء بلادنا وشعرائها عوناً على ذلك.

والطريقة التي سأسير عليها هي:

١- جمع ما أستطيع جمعه من الجيد من آثار الأدباء والشعراء.

٢- عرض ما أتمكن من جمعه على لجنة من كبار الأدباء والكتاب لاختيار ما يصلح لأن يمثل الأدب في بلادنا تمثيلاً صحيحاً.

٣- ترتيب ما يقع عليه الاختيار ترتيباً مناسباً لما أوضحته الإدارة الثقافية في كتابها.

وإنني لواثق من أن أجد من الأستاذ الكريم ما يسهل القيام بهذه الخدمة الأدبية الوطنية.

كما آمل أن يبعث إليَّ

١- ترجمة موجزة لحياته تتضمن: نشأته، المحيط الذي عاش فيه، أثر هذا المحيط في أدبه، آثاره الأدبية (في ثلاث نسخ).

٢- نماذج من شعره ونثره (من ثلاث نسخ).

٣- صورتين شمسيتين.

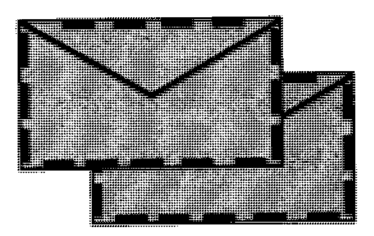
وأرجو أن أتلقى ذلك في وقت يمكنني من أداء هذا العمل الذي حددت له الإدارة الثقافية مدة قصيرة جداً.

ولحضرة الأستاذ أجزل شكر وأطيب ثناء وتحية،

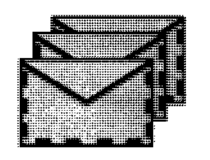
حمد الجاسر

الرياض - ص.ب ٤٩

٢١ / ١١ / ١٩٥٦م



من محمد عمر توفيق إلى حمد الجاسر



اللبــــاقـــة

الأستاذ حمد الجاسر

تلقيت الرسالة التي تفضلتم بها.. وأتمنى أن أكون عند حسن الظن.. وأن أساهم بأي جهد ممكن يساعد على تحقيق فكرة الإدارة الثقافية في الجامعة العربية، وابراز الأثر الأدبي الذي تهدفون إليه إجابة لطلبها ورغبتها - إلى حيز الوجود.

ولا أدري إن كان في وسعي أن أكتب كلاماً صالحاً للترجمة عن حياتي بإيجاز كما تفضلتم؟ إنها - أولاً - تافهة.. وثانياً - ربما كان من الصعب - بل من المتعذر..!؟ - أن يصدق الإنسان في الحديث عن نفسه وعن «المحيط الذي عاش فيه».. وعن أثر هذا المحيط في أدبه.. بحيث يكون هذا الحديث صالحاً للنشر..!؟

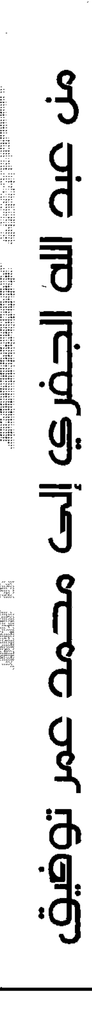
ألستم ترون معي ذلك.؟ إنني أرجح أن الإجابات التي تتحصلون عليها سيملؤها شيء كثير من الكذب.. أنا على الأقل: لا أستطيع أن أتحدث عن المحيط الذي عشت فيه.. وعن أثره في أدبي إن كان يصدق على السخف الذي كتبته هذا الوصف - إلا بحرص شديد على اللباقة.. واللباقة هي التعريف المهذب للنفاق.

حفظكم الله،

محمد عمر توفيق

١٢ / ١٢ / ١٩٥٦م

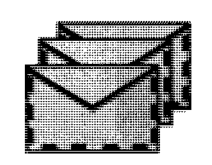
◆ بدأ إعداد الرد وسها عن إرساله.





عبد الله الجفري

العمدة مشتاق



العمدة مشتاق

عزيزي «أبا ذكرى» ..

وما أعمق هذه الذكرى التي حُفرت في نفوسنا.. لتستقر فيها أمانينا، وأحلامنا، وخطت في حياتنا.. لتتحول إلى مستقبل آت لا ريب فيه..

ستكون الآن «ذكرى».. كما كانت في رأيي ـ للذكرى!، وتأكد أنك أنت «الأب» الفنان، الأديب، المبتكر، الناقد الاجتماعي.. تأكد أن هذه العلامات.. هذه المميزات.. قد لصق «شكلها فقط» في واقعنا الآن. في أسلوبنا الذي نكتب به. في مناقشاتنا التي نجادل بها، وقد «نجندِل» أحياناً!.. استناداً إلى الطبعة الأولى التي خُطَّت على «الكربون» منك وإلينا!..

أصبحنا نطرب عندما «نَزنُّ» على إنسان ـ مثل إيّاهم ! ـ على طريقتك.. لأننا استطعنا تقليدك..

ليس هذا «كلاماً فارغاً».. كما قد تقول الآن، وأنت تقرأ، ولكنه اعداد.. تأكد أن هذا الذي خلقته فينا.. لم يكن سوى الإعداد، والطهي، .. وليت الإبراز يتكامل في عملية طهينا ـ بأجمعنا ـ وليت ميزان «الملح» لا يزغط !..

وأسألك.. بل وتسألك تلك الوجوه التي كانت تنظر إليك في حبّ، وأنت على مكتبك في مكتب البلاد: كيف حالك؟.. أوحشتنا!..

ترى ماذا تفعل الآن في القاهرة، وما هي مشاريعك، وقد اكتملت لديك ـ كما يلوح ! ـ عناصر الرمح والصرمحة والجراك، والشعر بمادته !.. فأنت في حديقة لا ينقصها سوى شيء واحد «تذكره جيداً!»..

إننا الآن.. نتخيل الأستاذ «أحمد ملائكة» ـ بصورة كاريكاتيرية ـ في جلسة «مصلِّعة !» معك، يحاول جذبك إليه.. كلما تذكرتما مكتب البلاد، والماصتين اللتين كانتا على ذوقه.. فبقيت تقتطع منا ـ بين الفينة والفينة!! ـ ذكر الأستاذ ملائكة والذوق الـ.. جميل في اختيار الماصتين!.. رواه العمدة عبد الله خياط!..

فلا يحاول ـ بعد الآن ـ أن يكونِ كالموقف ـ إياه ـ من الأحداث الأخيرة !..

أوحشتنا ! ..

أكتب لك الآن.. والساعة الثانية ليلاً .. في مبنى «مديرية الإذاعة والصحافة والنشر».. في غرفة «مكيفة!» على ضوء «فلورسنتي» !.. في حالة هدوء شامل إلا من صوت زميل يوحِّد الله دائماً.. حتى وهو يكتب على المذكرات!..

جو جميل ـ ولا شيء غيره! ـ غير أن سير العمل بالنسبة للنظام اليومي لي.. فهو يسير كما أرضاه.. ويحقق مبدأ الفصل الذي كنت تقرره بمعنى كجزاء عندما «أَهِلُّ» على المكتب في منتصف النهار !..

ويبدو.. هذا الحال الرومانسي ـ ملائماً لأناقة هذا الورق الذى أكتب لك عليه.. ليس فيه «رومانتيكية» تذكر !..

والعمدة مشتاق ـ مثلنا ـ وقد أنعم الله عليه بعدة أسماء سأذكرها في خطاب قادم.. بجانب نعمة الله بإعطائه مولوداً «غلاماً !» ..

أما أخبار الحركة الأدبية.. فالأدب موجود ـ بغير حركة ـ !..

سأكتب لك مرة أخرى .. فقد قررت أن أختم هذه الرسالة.. لئلا أثير حنقك على شخصي الضعيف «الذي امتد لسانه يثرثر حتى «سن القلم!»»..

وتعجبني عندما تغضب.. وخاصة في التليفون!..

سلام الأحباء إليك، وسلامي إلى الأستاذ «ملائكة» حتى ينزل إلى الأرض..

وتحياتي إلى الأستاذ عبد الله عبد الجبار مع شديد الإعجاب، وإلى الأستاذ الفلالي.. والأستاذ حمزة شحاتة ـ إن كان موجوداً في مصر ـ وجميع الإخوة في الوطن..

مع السلامة .. وإلى لقاء آخر،

المخلص

عبد الله الجفري

من عبد الله بن خميس إلى محمد عمر توفيق



عبدالله بن خميس

طلائع الرواد

طـــلائـــع الـــرواد

حضرة المكرم الأستاذ الكبير محمد عمر توفيق المحترم

بعد التحية والتقدير.. إنه بما لكم من أثر فعال في دفع عجلة الأدب والثقافة في أمتكم ووطنكم، وبما أخذتموه على أنفسكم من مواصلة الجهاد بقلمكم الحرّ النزيه، في مقدمة أمة فتية أنتم من طلائع روادها وقادة الفكر فيها.. إن ذلك - ولا شك - كان سبباً في إيجاد رابطة تلتقي فيها روافد الفكر، وجداول الثقافة، وتبرز على صفحاتها شخصيتنا الأدبية، ممثلة لماض مجيد، وحاضر متحفز، ومستقبل مشرق على أيدي الصفوة المختارة من رواد الأدب في هذه البلاد وغيرها، معتدة بهذا الواقع، محافظة على هذا المستوى من التدني والهبوط.. هذه الرابطة هي مجلة (الجزيرة).

وإنني لأثق أن حضرتكم ممن ستنشأ هذه المجلة على يديه، وعلى يديه سوف تبلغ ما يراد لها من مستوى رفيع إن شاء الله..

ولما كانت وشيكة الصدور، وكان لابد لها أن تتوج بقطرة من يراعكم في عددها الأول تتلوها قطرات وقطرات لذا فإنني أدعوكم للكتابة تحت هذا العنوان (رأي ابن خلدون في أعمار الأمم) وعسى أن يكون هذا الاختيار غير مثقل عليكم فما قصدت بذلك إلا بيان وجهة المجلة وتقبلوا خالص تحياتي،،

أخوكم المخلص

صاحب مجلة (الجزيرة)

عبد الله بن خميس



حرية الكتابة

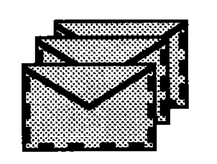
أخي الصديق الحميم والأديب المبرز الأستاذ محمد عمر توفيق الموقر

حيَّاك الله وبيَّاك. ومن طلائع يمن الجزيرة - المجلة - أن ألتقي بك ولو على بعد فمرحبا بك وبرسالتك الشيقة الممتعة وبوركت تجارتك الرابحة..

وأترك لأخي حرية الكتابة في ما يريد على أن يحتفظ لنا برأي مؤسس علم الاجتماع في فرصة قريبة. ولا حظوا أخي قرب ما ستكتبون فيه من واقع المجلة ومنهجها.. ودم أخي في رعاية الله وحفظه، علماً من أعلام الأدب وركناً من أركانه.

أخوك

عبد الله بن خميس



الـركـــــن الركيـــن

أخي الكريم الأستاذ الجليل محمد عمر توفيق الموقر

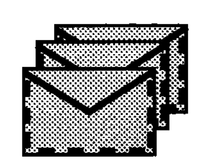
بعد التحية والتقدير وأرجو لأخي دوام السعادة والتوفيق أخوك - بحمد الله - بخير .. تهاني القلبية بعيد الفطر المبارك عدتم لأمثاله باليمن والتوفيق أعواماً وأعواماً..

وقد تلقيت كتابكم الكريم ومعه المقال شاكراً ومقدراً ومستزيداً وتاركاً لأخي حرية الكتابة فيما يريد وان مجلة الجزيرة تعتز بقلم أخي النابه الذكر والمحمود الأثر تولاك الله ورعاك ولا زلت لأخيك ركناً ركيناً.

وتقبل تحياتي وتمنياتي وشكري،

أخوك

عبد الله بن خميس



البترول.. منفعة أم ضرر

سعادة الأستاذ محمد عمر توفيق   الموقر

بعد التحية والتقدير..

يسعد (الجزيرة) أن تستطلع رأي سيادتكم في موضوع يعتبر أهم المواضيع في تكييف حاضرنا وتوجيه مستقبلنا ذلك هو الزيت الذي ذهب فيه المفكرون إلى ما يلي:

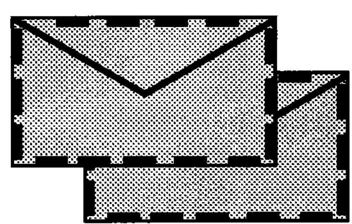
١- يقول البعض إن اكتشاف الزيت في بلادنا كان فتحاً جديداً لتقدمها في كافة الميادين وسبباً في رخاء معيشة السكان وتطوير حياتهم ووفرة المال في أيديهم.

٢- ويقول البعض الآخر إن المراد برقي الشعوب هو اعتمادها على نفسها وكدحها في كافة مجالات الحياة وإيجاد شعور حي عند كافة أفرادها يوحد أهدافها ويوجه مصالحها ويبني مستقبلها على أساس من العلم والعمل.. أما مجيء المال عن طريق الزيت وحده فإلى حد الآن ومضرته على شعبنا أكبر من منفعته، بدليل أننا كنا نعيش بكسب أيدينا ومما تخرج أرضنا ـ على شظف في ذلك ولكنه لذيذ ـ أما اليوم فالزراعة قد تدهورت، والصناعة الشعبية قد اختفت والعزائم قد خارت والسواعد ارتخت.. وكفى الشعوب مرضاً أن توجد فيها هذه الصفات أو بعضها ولو كانت تملك خزائن الأرض. ولو وقف معين الزيت لأمر لا يبعد على أحداث هذا الزمن لظهرت لنا الحقيقة المرة المؤلمة..

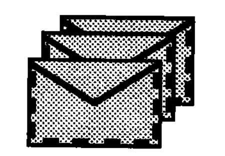
فما رأيكم حيال هذا، وأي الرأيين لديك أحظى وأسلم وإذا كنت ترى أنه لا بد من علاج فما هو؟؟. ونرجو توضيح الأدلة التي تبنون عليها حكمكم؟

صاحب مجلة الجزيرة

عبد الله بن خميس



من محمد عمر توفيق إلى عبد الله بن خميس



روقـــــان البـــــال

عزيزي الأستاذ عبد الله بن خميس   المحترم

تحية وتقديراً .. وشكراً لحسن الظن والرجاء..

وخطوة .. بل خطوات موفقة أتمناها لكم وللجزيرة.. راجياً أن نكون للجزيرة مرآة وأملاً .. وللصحافة الطيبة الناجحة في إيقاظ الوعي مثالاً ..

أصافحك على البعد..

ولكن لماذا ابن خلدون بالذات؟

إنني في ظروف تبعدني عن ابن خلدون بنفس المسافة التي بين شهر رمضان ـ بالذات ـ في أيامه .. وفي هذه الأيام. فدعني أكتب لك بحريتي.. وان أصررت على ابن خلدون.. فانتظرني بعد العيد.. وروقان البال من بضائع العيد، فإن أخاك في الله تاجر متواضع كما أظن.

إنك تعلم .. وإن كنت ـ أولاً وأخيراً ـ لا في العير ولا في النقير.. وأنتظر كلمتك لأكتب لك بحريتي.. أو لا تنتظر، فماذا ترى؟ وشكراً .. ومزيداً من التهاني والتمنيات.

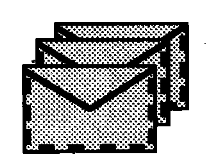
محمد عمر توفيق

١٩ / ٩ / ١٣٧٩




عبدالله خيــاط

وعــد الحــرديـن عليه



وعـــد الحـــر ديـــن

أستاذنا المعلم/ محمد عمر توفيق المحترم

تحية طيبة، وبعد:

فاني أكتب إليك اليوم لا بوصفك وزيراً، أو كبيراً، وإنما بصفتك أستاذاً، ومعلماً لي في الوقت نفسه .. كنت «أتلقم» منك الحرف أسبكه، والتعاون تخلقه مع أصحاب الأقلام يوم كنا نعمل في مكتب البلاد، وكان يشاركك كتابة يوميات البلاد أساتذة افتقدناهم اليوم لأنا قد افتقدنا الأستاذ المعلم، والموجه المتعاون.. واليوم ـ كما قلت لك ـ أكتب إليك متقمصاً شخصيتك، مناشداً إياك أن تكتب إلينا بما يسمح لك به وقتك من أفكار، وموضوعات تفترش بها صفحات «عكاظ» صاحبة السوق، والنهج ـ وأعني الطرق بلغة تونس ! ـ فلقد سبق أن وعدتني بالكتابة.. كما وعد الرجل إياه صاحبه بالحلق. وخرق أودانه، وكنت أنا كصاحب الرجل إذ أوجدت العمود في الصفحة الأخيرة، ولكنك كنت كالرجل المواعد.. فتركت العمود فارغاً.. كما ظل الثقب بدون خرص !.. وعساني أن لا أكون قد أخذت من وقتك طويلاً.. فأنا أعرف أنك مشغول إلى أودانك، ولكني مع هذا أرجو ـ وبإلحاح ـ أن تكتب لنا ـ وأعني عكاظ ـ العمود الذي سبق وأن وعدت به من قبل مع استعدادي التام لأن أستخلص لك من المؤسسة مكافأة يسيل لها اللعاب.. لعاب الكتاب، ولا أقول لعاب الوزراء ! ـ والذي شدني إلى كتابة هذه الرسالة وتذكيرك بوعدك الذي سبق أن وعدتني به.. ووعد الحر دين كما يقولون، وأنا أعرف أنك من أصحاب الكلمة الذين يلتزمون بما يعدون.. وخشيت أن تكون قد نسيت الوعد فمنحت البلاد وعداً آخر بأن تكتب لها كما سمعت والله أعلم بالحقائق !

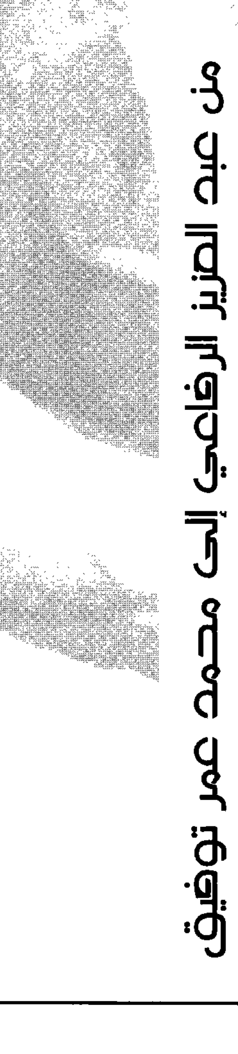
وإني أنتظر ثلة من «ذكَرى» تكون مع الجواب.. لنبدأ في نشرها من بعد «تهليل» لها .. ينذر القراء بمقدمها كمدافع العيد !

ولك أخلص التحيات، وأطيب المنى مِنّي، ومن صديق الطرفين (مبيض الرسالة) الأخ عبد الله الجفري !!

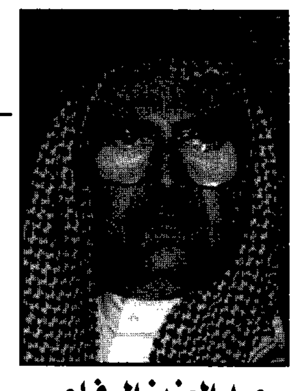
المخلص

عبد الله خياط

٢٦ / ٦ / ١٣٨٦

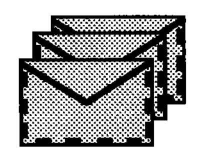


من عبد العزيز الرفاعي إلى محمد عمر توفيق



عبدالعزيز الرفاعي

عرى الود



عـــرى الـــــود

حضرة الصديق العزيز الأستاذ محمد عمر توفيق

تحية التقدير والود، مع التهنئة المخلصة بشهر الصوم المبارك، متعك الله بكل روحانياته، وحفظ عليك هذه المتع، كل ما شئت من سنين.. مع سعادة العيش وهنائه ورغده.

كان حرياً بي أن أكتب إليك منذ وصولي، ولكن الكسل في كتابة الرسائل أحد مساوئي الكثيرة، مع اعترافي بما للرسائل من أثر كبير في توثيق عرى الود، عدا ما لرسائل الأدباء من صفات الذوق والعقل.. وقد استفاضت شهرة رسائلك الأدبية مع أبي عرب، رد الله إليه قوى إبصاره.. وحفظ عليه نفاذ بصيرته..

غادرت القاهرة إلى لبنان، وقد تركت في نفسي أعمق الأثر، لما لمست من صادق إخائك، وحسن اهتمامك، وجميل تكرمك، وكريم زياراتك، مما زادني إكباراً لك، وإعجاباً بك.. لا تضحك إن رأيتني أكتب أحياناً، على طريقة أدباء العهد العباسي الأول.. فعلى ما يبدو لي أن الشخصية الأدبية لكل منا، تتنازعها انطباعات شتى، وتلعب بها مؤثرات شتى.. فلا تثريب إن بدت واحدة هنا، وأخرى هناك، مع ثبات الصبغة الذاتية للكاتب.

لقد أردت أن أقول أني غادرت القاهرة إلى لبنان، وهناك نشط كسلي، إلى حد أحسد عليه، وساعد على نشاطه «المتدفق» أن الأمطار أخذت تتساقط ليل نهار تساقطاً غنجاً ليس فيه معنى الجد، وليس هزلاً محضاً تطمئن إليه النفوس.. واستبد بي كسلي فلم يدعني أكتب ولا رسالة واحدة، طيلة الأيام العشرة التي قضيت هناك..

فلما أبت إلى جدة، أخذت أسدد دين الرسائل أقساطاً متباعدة، وما أكثر

ما ملت إلى التسويف والمماطلة، وإن كانا ليس من دأبي، أقول هذا تطميناً لك، إن قدر لك أن تقرضني شيئاً من الفلوس يوماً ما..

قرأت في الجريدة خبراً عن إنجازك مؤلفين.. آمل أن يكونا في طريقهما للصدور.. إنني أعرف أن أحدهما في الرد على العميد، ولكني نسيت موضوع الكتاب الآخر.. وإني لأرجو أن تستمر في استثمار وقتك في هذا العمل الأدبي المفيد.. كما آمل أن تكون مستمراً في تعلم الانجليزية، فان الفرصة في مصر متاحة جداً .. وكم وددت أن لو طال بي المقام، لأدرس الانجليزية دراسة منتظمة في أحد معاهدها..

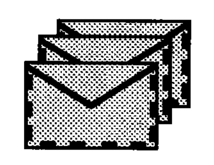
في إحدى ليالينا «العزابية» التي نقضيها هنا في الرياض، جاء ذكرك، فمرّ عاطراً عبقاً.. حافلاً بكثير من الثناء والتقدير.. وانطلق أكثر من لسان يوفيك حقك من الثناء الجميل.

هل لك من خدمة من هنا؟ تحياتي لكل من شئت والله يرعاك،

أخوك

عبد العزيز الرفاعي

٢٢ / ٨ / ١٣٨١



قامت القيامة

أخي الأعز أبا فاروق

تحياتي وأشواقي وتمنياتي المخلصة لك دائماً بكل ما تحب. وثق أنك تعيش معنا دائماً، فاني والسيد الحبيب علي لا نمل نذكر الأصدقاء الأعزاء في القاهرة.. وهو قد عاد من بيروت منذ أيام قلائل.

ولقد أسفت جداً أن تضيع رسالتك السابقة التي حملها السيد عبد اللطيف، فاني أحسبها قد تضمنت كثيراً من الآراء التي حاولت أن أسبرها في رسالتي إليك، ولو كلف الأستاذ عبد اللطيف على نفسه قليلاً فوضعها في البريد لحملها إليَّ سواء كنت في الرياض أو في جدة أو في مكة، ولو بعد حين ولأي، كما حصل تماماً في رسالتك الأخيرة. فقد جاءت إلى الرياض، في الوقت الذي كنت فيه بجدة، أقضي عطلة العيد عند الأهل، فحاولت اللحاق بي في جدة، ولكنني كنت قد عدت إلى الرياض استئنافاً للعمل، فعادت مرة أخرى إلى الرياض.. ولكنها وصلت على أي حال، على أنني لن أترك الأخ عبداللطيف من لوم متى واجهته.. ترى بأي وجه ؟.. سيواجهني.. إلا أن تكون قد قامت قيامته هو بالذات في الموعد المحدد للقيامة.. فلعله قد احتسب في عالم المنجمين عالماً قائماً بذاته..

لقد عاد الأخ قزاز إلى قواعده.. كما أخالك قد سمعت، وإنني لمتفائل أن تعود أيضاً بقية المياه إلى مجاريها، بل إنني متفائل أكثر، في أن تثمر المساعي التي تبذل هنا، ثمراً أكثر إرضاء لك وللإخوة الآخرين.

كيف صحة الأستاذ حمزة الآن، أرجو إبلاغه تحياتي، وهل من خدمة تقترح أن أقوم بها بالنسبة إليه فيما يتصل بالمراجعة التي كنت حرمتني منها من قبل، أو أية مراجعة أخرى تبدو..

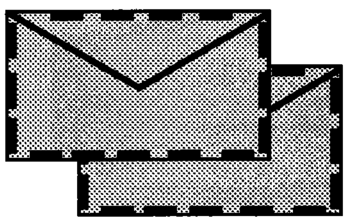
حاولت أن أرى الشيخ ابراهيم خلال إقامته القصيرة في جدة فلم أفلح، لأنه لم يكن يستقر في فيلته من قصر الكندرة، ثم سافرت مضطراً إلى الرياض لاستئناف العمل كما أخبرتك سالفاً. ولكني تركت له بطاقة زيارة وتهنئة.

التحيات للإخوان جميعاً، ولك من هنا أيضاً تحيات الإخوان جميعاً.

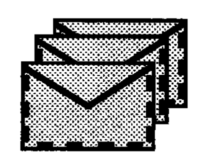
واسلم لأخيك،

عبد العزيز الرفاعي

١٩ / ١٠ / ١٣٨١هـ



من محمد عمر توفيق إلى عبد العزيز الرفاعي



كــــادرالحــيـــاة

أخي أبا عزة

سلام الله عليك ورحمته وبركاته.. وعلى من تحب، مع أطيب التهاني والتمنيات بمناسبة العيد السعيد..

ثم لا أدري إن كنت قد سمعت عن طراز من الناس يتصدى أحدهم لارتجال أية حاجة للآخرين أي لإثارتها في نفوسهم، ليتصدى بعدها لقضاء تلك الحاجة.. لا صدقاً بل كذباً ومطلاً وتسويفاً.. كأنما الدافع هو أن يضع نفسه في ذلك الخط.. خط قضاء الحاجات !

كان أحد هؤلاء في عهد مضى.. يسميه بعضهم عهد العزّ.. والله أعلم بأنه كان ما كان .!

كان أحدهم يتصدى لزيد أو أي (غلبان) من الناس، ثم يسأله عما إذا كان قد زار - أي المسجد النبوي .. على وجه التحديد ! - فيقول زيد أو الغلبان: لا.. ويجيبه في الحال: هل تحب أن تزور وحدك؟ وبخجل شديد يجيب «الغلبان»: مع العائلة.. أحسن..

- كم عددكم ؟

- خمسة .. مثلاً...

- أبشر بأوامر الإركاب..

ويدخل «الغلبان» حينئذ من باب المراجعة.. للحصول على أوامر الاركاب.. ومن يوم لآخر تتحول الزيارة - التي لم تكن في حسابه من قبل - إلى «عقدة»

في نفس زيد أو «الغلبان».. كما تتحول المراجعة إلى عقدة إضافية لعقد انسان ما، همّه أن يستقبل المراجعات وأن يستدبرها كل يوم.. والقصة طويلة لك أن تتصور نهايتها إذا استعملت عقدة الزيارة، وركب الرجل رأسه بعد فشل المراجعات، فاستدان أو فعل ما فعل ليحل «العقدة» ولا أدري إن كان الله سيجزي الأسباب في مثل هذه الحالة خيراً .. أو شراً ، فالمهم هو المدرسة أو الطراز فيمن يرتجلون للآخرين حاجاتهم، لقضائها اسماً وظاهراً .. ولعقدة أخرى في واقع الحال، يمكن أن نسميها عقد الوهم.. بأدب كبير !

ربما كان من هذه المدرسة الأخ عبد اللطيف.. وأحسبك تذكره.. كان يعمل في جريدة «البلاد» من زمان بعيد أو قريب.. ولقد تفضل ـ والحق يقال ـ بزيارتي في القاهرة.. بدل المرة مراراً.

وكانت رسالتك قد جاءتني في هذه الأثناء..

وأعددت الجواب عليها إذ تفضل وكلمني بالتلفون.. ، وقال إنه مسافر إلى جدة، وإنه سيمر بي ليودعني ويأخذ ما لدي من كتب أو أية خدمات..

وزارني فعلاً ، وكان هذا ليلة اليوم الأول من رمضان.. الليلة التي سافر فيها إلى جدة.. وأخذ فيما أخذ رسالة إليك وعليها عنوانك في الرياض.. ولعلي تخيلت حينذاك أنها قد لا تصل إليك، لاقترانها بتاريخ القيامة كما حدده منجمو الهند يومئذ... لا لأن أخانا عبد اللطيف من تلك المدرسة.. ولا أدري إن كان هو منها فعلاً ؟ غير أن الأخ عبد الله عبد الجبار لقيني قبل أيام.. وقال ما معناه أنك تسأل عن جواب رسالتك إليَّ .. ذلك الذي تصدى لحمله أخونا عبد اللطيف.. هكذا تطوعاً وابتداراً ، تماماً كقصة أوامر الإركاب وبعض أبطالها، في العهد القديم المأسوف عليه من بعض الناس.. إن لم يكن كلهم.. وسبحان من خلق الكذب والنفاق.. والهدى والضلال !

وبعد فما أكره بحال من الأحوال ان كُتِبَ لك أن تلتقي عبد اللطيف طال أو قصر الزمن ـ أن تلقاه بمثل هذا الرأي مني فيه.. إتقاء للغيبة على الأقل..

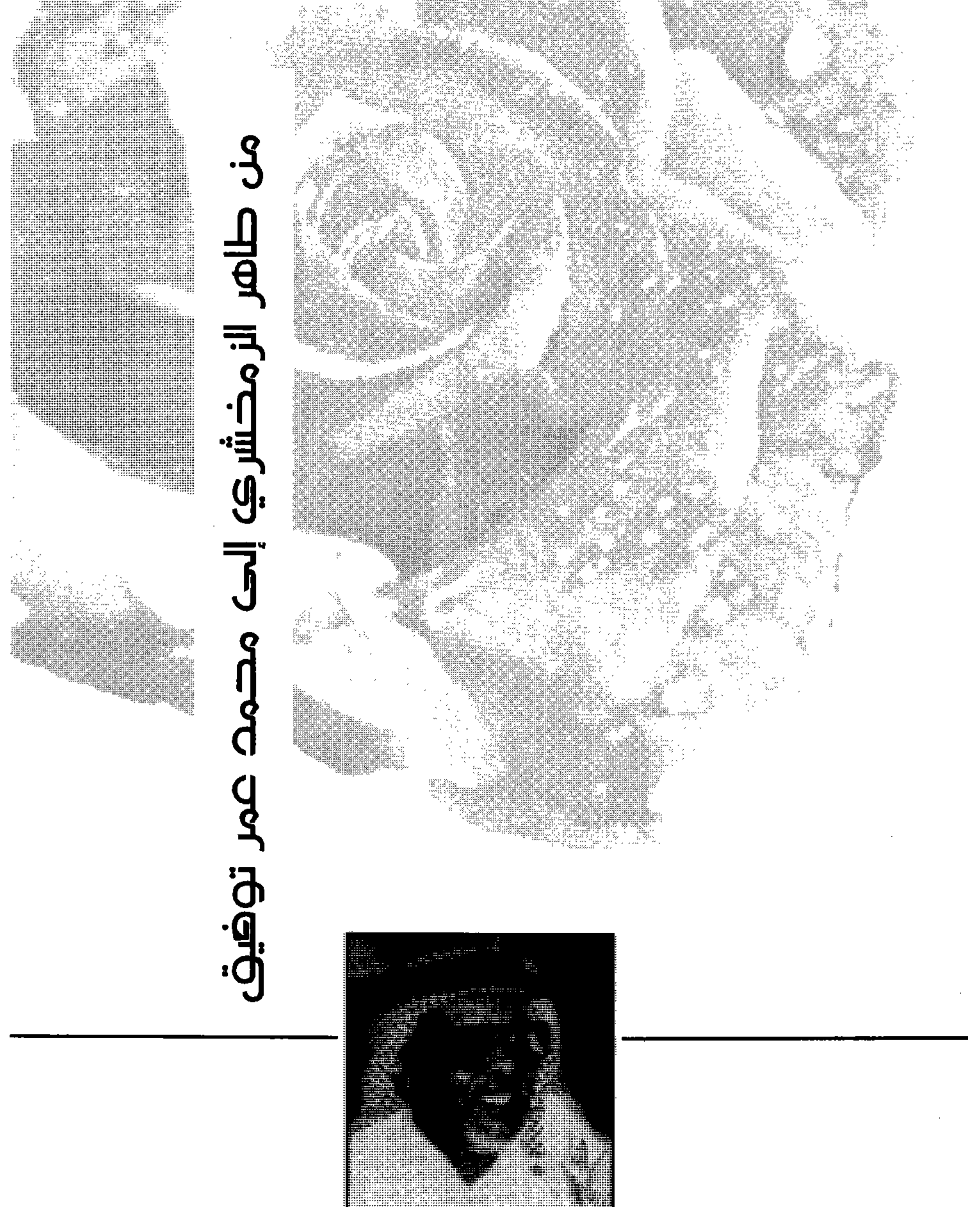
وفي الحق أنني أفضل إرسال رسائلي في البريد لولا مثل هذا التصدي العجيب. كفانا الله وإياك شر مثله.. وشر كل مدرسة وكل طراز من الآدميين الذين يبدو تصنيفهم مدهشاً في «كادر» الحياة !

وتحياتي لمن يسأل من الإخوان.. والله يحفظك،

أخوك

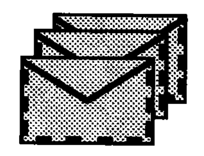
محمد عمر توفيق

من طاهر الزمخشري إلى محمد عمر توفيق



طاهر الزمخشري

نــــور اللـــــه



نــــــورالـلــــه

سيدي الأخ الكريم والصديق الودود الأستاذ محمد عمر توفيق المحبوب

تحياتي وحبي:

أرجو أن تكون كما أتمنى لك. سعيداً دائماً، وليست هذه رسالة تحمل أشواقاً وتحيات، وإنما هي التماس من صديق يرجو أن تمد له يد المساعدة والعون كدأبك دائماً، فلقد قعدت بي الحياة عن العمل سنوات، وخرجت من مفترق الطرق إلى الميدان من جديد وفي نفسي العزم، وفي يدي الأمل، وأمامي نور الله.. الذي وقاني الزلل وكفاني الشر مما جاءني به القدر من متاعب، كادت تضل عقيدتي في لطف الله العليم وازددت ايماناً بعد مرور العواصف.. ونسأل الله السلامة من الانتكاسات.

وأن الأمل الذي في يدي هو الترخيص بإصدار مجلة للأطفال. وهي تريد جهداً. ومادة، وجهوداً متضافرة متضامنة، وكلها مجتمعة في حب أصدقائي لي وتمنياتهم الطيبة في شتي المناسبات بأن أصافح السعادة، وسعادتي شعورى الصادق بأن أعيش عاملاً والتوفيق بيد الله..

فاذا كنت تريد لي النجاح وهذا ما لا أشك فيه فاكتب إلي بمقترحاتك وملاحظاتك ومرئياتك.. وما تريد أن يكون في هذه المجلة لتصلح لفلذات كبدك، وأكباد المواطنين.

وهذه معاونة منك أكثر من المادة.. لأنها صورة معبرة عن العواطف الجياشة التي تكنها لصديق عزيز عليك. محب لك.. تعيش في مخيلته كأجمل

صورة للأصدقاء الأوفياء.. فاكتب لي وبأقصى سرعة ممكنة لأني سأضع البرنامج الذي يساعدني على صدورها في أقرب فرصة ممكنة..

ولك شكري الخالص، وفي انتظار الرد،

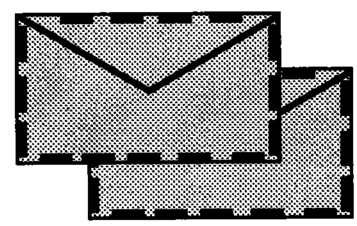
تقبل تحيات أخيك

طاهر الزمخشري

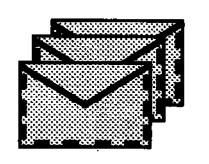
١٠ / ١٠ / ١٣٧٨هـ

جدة - مجلة الروضة للأطفال

المنتزه الجديد



من محمد عمر توفيق إلى طاهر زمخشري



وقعتي «زي لونك»..!

أخي / طاهر

أتمنى لك يا صديقي كل نجاح وتوفيق إن شاء الله .. ولقد حضرني ما تراه مع هذا كعناوين رئيسية وأبواب ثابتة.. وضعتها كما حضرتني وهي قابلة للزيادة والنقص.. والاختصار.. والتطوير حسبما تراه.. ولم أضع إلا ما كنت سأضعه لو كنت سأصدر هذه المجلة.. غير أنني لم أضعه مُرتَّباً، لأن الترتيب يتوقف على «الريبورتاج» .. كما لا يخفاك.. إنما استهدفت أن تكون المجلة مدرسة بالفعل.. يعرف فيها الطفل من هو؟ أو هي؟ وكيف جاء؟ ولماذا؟ وما هو دينهما.. وتاريخهما.. وحاضرهما ومستقبلهما؟ إلى آخر ما ترمز إليه المقترحات..

ومن المهم في نظري أن تحاول المجلة الارتفاع بالعامية إلى الأسلوب العربي السهل.. لتكون هذه خطوة طيبة في سبيل محو العامية التي توشك أن تطغى على الفصحى.. وليس هذا متعذراً، ومن رأيي.. وقد خطوت الخطوة.. وتحصلت على الموافقة.. أن لا تتردد كثيراً في الإخراج.. حاول أن تصدر المجلة ولو ارتجالاً، فإن التطوير بعد هذا ممكن على أساس ما يظهر كما لا يخفاك.

وأنا بعد هذا مستعد للمساهمة في تحرير ما تفرضه عليَّ.. إن كنت تراني صالحاً لمثل هذا الفرض.. ليس هذا تواضعاً .. ولكنني أخشى أن أفشل مع الأطفال.. وتبقى وقعتي زي لونك.! لأن الأطفال غالباً لا يرحمون..

وأنا مستعد بعد هذا لأن أطلّعَ معك على بروفات أول عدد، لنتعاون على إخراجه رائعاً بقدر الإمكان..

أعانك الله.. وأخذ بيدك

ونسيت فاروق ابني، فانه صاحب هواية ربما فاقت هوايتي في الأدب.. سأضع قلمه تحت تصرفك أيضاً في أي باب تختاره له..

حفظك الله وأبقاك،

أخوك

محمد عمر توفيق

١٤ / ١٠ / ١٣٧٨

أحواب مقترحة للمجلة

- اختر أصدقاءك
- أبازير: «نكت وفكاهات»
- حُزَيِّرة العدد
- ركن التعارف
- حدد هوايتك ومستقبلك
- طبيخ الأسبوع: «وصفات لعدة أنواع من الطهي الفني والمتبع»
- في بيوتكم: «للتدبير المنزلي بأنواعه»
- أنت وهي: «بقصد تعليم الحقائق عن الفرق بينهم وبينهن بأسلوب مبسط»
- أسئلة الأطفال
- طفل الأسبوع
- روضة الأخلاق: «برنامج خلقي للتعامل مع الجميع»
- من أب إلى أبنائه
- من أم إلى بناتها
- استفتاح
- قصة متسلسلة: «مع اختصار ما ينشر في كل عدد.. أي بأسلوب ما ينشر في سمير ونحوه»
- قصة قصيرة: «ويمكن الاستفادة من القصص التي تنشرها جريدة الأخبار للأطفال أسبوعياً»

❖ **هذا تاريخكم:** «التاريخ الاسلامي من بدايته في أسلوب سهل قصير»

❖ **معلومات جغرافية**

❖ **صحتك أيها الطفل**

❖ **صحتك أيتها الطفلة**

❖ **دينكم أيها الأطفال:** «معلومات دينية مبسطة تبدأ من العقيدة.. إلى كيف تتوضأ.. وتصلي وتصوم.. و.. إلخ»

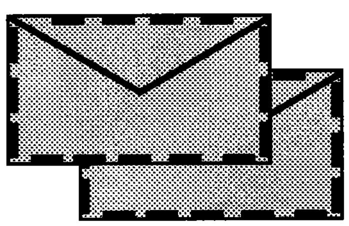
❖ **معلومات عامة:** «يقصد بها تثقيف الطفل جنسياً.. وعملياً.. بدون غموض أو تطويل..»

❖ **آباؤنا وأمهاتنا:** «بقصد تنوير الطفل عن علاقته بوالديه، وتطويرها إلى الإحترام.. والحب..»

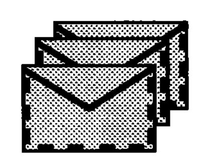
❖ **إخوانك وأخواتك**

❖ **المدرسة التي تعلمك**

١٢ / ١٠ / ١٣٧٨



من محمد عمر توفيق إلى عبد الله عريف



شعلة فكرية

أخـي / عريف

كان همي أن أكتب لك قبل اليوم، لاسيما وقد فرغت من قراءة ما كتبته عن «محمد سرور» أكثر من مرتين في ثلاثة ليال ولكنني غدوت أشعر شعوراً واضحاً بأن عمل الكتابة شاق مرهق، ولا أكتمك أنني ـ وقد فرغت من قراءة كتابك ـ عجبت مما بذلت فيه من جهد، واستهولت ذلك، كما استهول أي جهد آخر مضن، فهل ترى هذه الكبوة التي أحس أن بي من قيودها عناء من يحمل الربوة على صدره، تبرر سكوتي، وقد كان الواجب أن أنقل إليك هذا الصدى الذي تركه كتابك يهزّ خواطري، وقد أوشكت أن تعيا، مبكراً قبل اليوم.؟!

لقد علمتني ضرورة الحياة أن القى مظاهرها على اختلاف مفارقاتها، بما يشبه الابتسامة الدائمة التي لا تفتر، حتى لقد عدت فوجدت أنني لا أقدر على البكاء إلا اصطناعاً يغتصب الدمعة اغتصاباً، وصحيح أن من يبتسم خير ممن لا يبتسم، ولكن هذه الضحكة المستمرة، أليست في الواقع ضحكة أخرى أبدية على القوى العاقلة أو المحسَّةِ المتدافعة في نفوسنا.؟ وبعد فلعلك تريد أن تتكر الآن ـ وطالما أنكرت ذلك عليَّ ـ هذا التقبض الذي ألقاك به أول ما ألقاك في رسالة كهذه أريد أن لا تكون أكثر من حديث إليك عن كتابك، وعما أثار من خواطري الكامنة، وبي والله أن أعتذر لولا ما أود أن لا تضيق بنفاثة صدر محموم في رأس صاحبه منه همهمة طويلة ما تنقضي.

وقد أردت أن يتناول الحديث بعض ما قد اختلف وإياك فيه من «أفضلية» عبارة أو جملة أو كلمة، وهذا كما تراه يتعلق بأسلوب الأداء، ولكنني عدت فرأيت أن ما هو من هذا القبيل يضمنه أن نجتمع فنتداول القول فيه، أما الآن فخشيت أن يطول بي شرحه وما فيه بعد عناء.

وإن شئت رأيي في الكتاب بعد ذلك، فهو أن طريقة البحث والتناول كانت فيه قوية، وأخشى أن أقول، أنها أقوى من المُؤرخ أو المترجم له، وأعني بهذا افراطك في توجيهها إلى حيث قد يظن من لم يعرف الشيخ إلا في كتابك أنه «مثال» كسائر مُثل التاريخ، وما أحسبك أن تعتقد هذا، ولكنك أردت أن يكون تاريخك إياه تاريخاً يساير تواريخ الأفراد الذين كانت لهم في المجال الحيوي خطوة الزعيم المنتصر أبداً . وما أود أن أغمط الشيخ حقه، فما أشك في أن له من واقعه ما يمد تاريخه بهذا الوقود المتضرم، ولكنني أسوق ما قلت توطئة لما أريد أن آخذه على الكتاب بعد إذ توخيت هذه الطريقة القوية في تأليفه.

طريقتك هذه يا صديقي تتسم بميسم البحث الحر أولاً، وبميسم الروح العصرية التي تساير بواعث الأشياء قبل أن تساير ظواهرها، وهي إذ تساير ذلك تعرضها على أدق المقاييس العلمية وأقومها في ميدان النظرة الصائبة، فهل تم لك ما تكلفه هذه الطريقة .؟

كان في وسعك التمام والاكمال، وأنا لست أدري إن كنت لم تتعمده متأثراً في ذلك بمنطق المجاملة، أو متأثراً في ذلك بهذه «المحدودية» التي ينساق الكاتب ـ كما أحسست سلفاً ـ إلى الشعور بالتزامها قهراً .؟!

فقد كنت أنشد حلقات كثيرة افتقدتها فلم أجدها، فهذه الحلقة الأدبية التي تمثل جانباً من جوانب حياة الشيخ محمد سرور حلقة ما يزال الحديث عنها ناقصاً بعد، فأين هو كأديب اليوم؟ وأين كأديب بالأمس؟ وأين هو كشعلة فكرية اتصلت شرارتها بذهن الشباب؟ وأين هو من قبل ومن بعد في ميزان النظرة الناقدة المستقيمة؟ وهذه مقوماته ثقافة وفكراً وخيالاً، يتطلبها القارىء فلا يجد منها إلا لمحة مقتضبة.

وهذه «وطنيته» السابقة عرضت لها باختصار قصير النفس واكتفيت بعد بالاستناد إلى اعتقاده أنه خدم بلاده وأمته مع أن هذا ميدان نظرة طويلة، يقتضيها تاريخك إياه. ولو اكتفى المؤرخون كلهم بما اكتفيت به لألغيت ثلاثة أرباع كتب التاريخ، لقد كان المفروض أن تناقش اعتقاده هذا، وأن تنظر إليه هو وإلى «وطنيته» السابقة، وإلى أمته نظرة تجريدية تقوم على مقاييس الوطنية

المقررة في أذهان السواد والتي كانت مقررة في ذهنه سابقاً، فهل هو ـ كما يعتقد ـ قد خدم بلاده وأمته ووطنه في ميزان التقدير الاجتماعي الصحيح.؟

سؤال كهذا لا يعثر على جوابه القارىء في كتابك، ولست أدري ـ كما قلت ـ سبب تجافيك الاجابة عليه، وسؤال آخر عن النسبة الموهومة أو الموجودة بالفعل بين محمد سرور وبين آخرين ممن كانوا ولا ريب أنداده في ميدان هذه الوطنية. وسؤال آخر عن النسبة الموهومة أو المقررة بين محمد سرور وبين آخرين ممن يشملهم لواء الزعامة الرسمية في بلادنا.

ليس كتابك ـ على ما رأيت ـ أكثر من استعراض قصير لتاريخ الشيخ، فان أردت له ذاك، فما أعرف سبب ما أردت، وإن أردت أن يكون أكثر من هذا الاستعراض، فهذا ما لم يكنه واقعاً. ولا يزال بعد في إمكانك أن تتوسع فيه. ومن رأيي إذا استحسنت ذلك ـ أن يكون عدة فصول تستغرق ما كتبت، وما لم تكتب، و«سعد زغلول» للعقاد مذهب في البحث التاريخي حبذا لو انتهجته، وقد أردت أن تؤرخ حياة الشيخ محمد سرور.

أنا لا أنكر أن في كتابك لمحات تناولت بالنقاش والبحث نقاطاً كثيرة تتصل بما سألت عنه قبل، ولكنك لا تنكر أنها لمحات سبيلها اللف والانطواء، ويخيل إليَّ أن مصدر هذا الاختصار الشامل رغم اختصاره هو استعراض تاريخ الشيخ في فصل واحد، مع أنه في الواقع فصول قابلة للتجزئة والتبويب حيث يخرج الكتاب بعدها كاملاً لا تؤخذ عليه ظاهرة تعجل أو اقتضاب.. وعندي إلى ذلك احساس أردت أن أواريه عنك، فلا ينكشف لك ولكن مطلب النقد يدفعني إلى إباحته وانني كنت أخشى تفسيره تفسيراً آخر غير ما أرادت له حرية الفكر وطلاقة ما بيننا أن يكون، إذ هو في الواقع شبه اتهام أدبي لك بأنك انسقت ـ شاعراً أو غير شاعر ـ إلى حيث لا يزعج الشيخ محمد سرور أسلوبك في نقده وتاريخه، إذا كان أكثر اعراباً وحرية ولا يضيرك هذا، فلو كنت كاتب تاريخ الشيخ، لما وسعني غير أن أكون متلطفاً إلا إذا جاء يوم أجدني فيه إنساناً آخر غير هذا الذي يستجدى به الوظيفة أو الراتب أو المكافأة. على أنني أخاف عليك مغبة الجرأة على الشيخ فيما عرضت له من نقاط ضعيفة فيه قد يحب أن

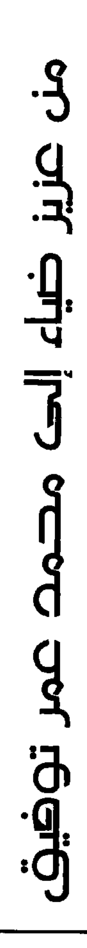
تبقى مستورة، فهذا ما كنت اتجافاه لو أرّخته استرضاء وتزييفاً.

وبعد فالى هنا ينتهي حديثي - مختصراً - عن الكتاب من حيث ما أردت أن أنقده مستعجلاً، أما هو من حيث الأداء، وطريقة العرض وحيوية الملاحظة التي تتبعت بها حياة المترجم وما لابسها من دقائق ومناسبات، فلا أكتمك الاعجاب به، ولي بعد معك بحث طويل يتناول كمية من الآراء قد عرضت لها فيما عرضت، وهذا ما تضيق به الرسالة الآن فإلى اللقاء في رسالة أخرى.

أخوك

محمد عمر توفيق

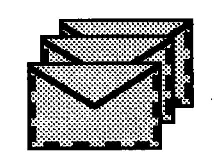
«لقد أبقيت الكتاب عندي حرصاً على مناقشتك فيما سيأتي، فان كنت تريده - فاشعرني لأبعثه إليك، وإلا فهو باق - إلى أن ينتهي البحث - في أمان من الفضول»





عزيز ضياء

مرارة الكأس



واجبات الرجولة

أخي / محمد عمر

تلقيت رسالتك، بعد سبعة شهور كاملة من انتظارها.. ولم أستغرب فالهند بالنسبة للحجاز، كالسحابه الرقيقة في أقصى الأفق نراها أو نلمحها، فلا تعني شيئاً أو معنى، سوى أنها سحابة رقيقة فحسب..

وقد وصلتني، عن طريق مفوضيتنا في بومبي، فأدركت مدى المتاعب التي يلقاها من يفكر في الكتابة إليَّ.. وسلّمتُ بأن أصدقائي معذورون إذا لم يستطيعوا أن يكتبوا طيلة هذه الشهور..

أما من أوصيت به، فقد اختار أن لا يغامر هذه المغامرة الطائشة. فبقي في مصر. وكان وفياً أميناً حين لم يعد بالرسالة إليك، وإنما تكرم بتسليمها إلى الأخ محمد منصوري، في مفوضيتنا في بومبي.. فأرجو أن تبلغه تهنئتي بعدم إقدامه على المجيء إلى هنا، وأن تؤكد له أنه لم يخسر شيئاً بل كان الرابح ١٠٠٪ حين اكتفى بمصر.

وبعد، فإن كنت قد فرحت برسالتي، فإن إنتظاري العنيد لرسالتك وتوقعي لها في كل بريد، يعفيني من تصوير فرحتي بها وحفاوتي بما فيها من ثرثرة، طال شوقي إليها وحرماني منها. فإننا هنا بين قوم لا مجال عندهم، للثرثرة الفنية التي تطبع علاقاتنا واجتماعاتنا، إلا إذا كانت في حدود مصلحة معينة أو هدف مرسوم. وأنت تعرف غرامي بالكلام متحدثاً أو مصغياً، ولك أن تقدر بعد هذا، الضيق الذي يعصر نفسي - أو هي روحي - عصراً - طيلة الساعات التي أقضيها في المنزل أو في المكتب أو في أي مكان للنزهة.. وما أقل أمكنة النزهة في هذا البلد الذي تستطيع أن تعتبره قطعة من الحجاز، لولا فارق المكان، والتنظيم القليل، ونسبة التعليم.

أعجبتني، ـ بل وأدهشتني ـ فلسفتك الجديدة في الحياة، فإنك تعتبر الشقاء مرحلة مرت وانتهت، .. وهذا يبشر بأنك اليوم سعيد، وسواء أكان ذلك، لأنك قد صممت على أن تأخذ الحياة بنفس الأسلوب الذي أخذتها به يوم ولدتك أمك كما تقول، أم كان لأن عاملاً أساسياً قد طرأ على حياتك فبدل نظرتك إليها .. ومع أنك تصف شعورك نحوها وصف من جرب ومارس واستنتج، فإني يا صديقي ما زلت أشك في أنك تعني ما تقول.. إن شقاءنا ليس نتيجة نظرة إلى الشمال أو نظرة إلى اليمين.. إنه حقيقة نتعثر بها في كل خطوة نخطوها، حقيقة كالصخور لا يسعنا أن نزيحها من طريقنا لأنها عميقة الجذور في ماضينا وفي واقعنا، وفي مستقبلنا الحالك الرهيب.. وأنت أذكى من أن تحسبني أعني، حالة فردية معينة، وهي حالتي أو حالتك.. فالحساب هنا أو في هذا المجال. ليس للفرد، وليس للحوادث تلحق زيداً، أو تنداح عن عمرو وإنما هو لهذه المقدرات التي تسيطر على حياة الجماعة كلها باعتبارها البيئة والمحيط اللذين نعيش فيهما .. انها لبطولة في الواقع أن نستطيع تناول الحياة وحوادثها بأسلوب القارىء.. والقارىء الهادىء البال، الذي لا يكلف نفسه عناء الجلوس لهذه القراءة وانما هو يقرأ مضطجعاً متأهباً لأن يغمض جفنيه في اللحظة التى يشعر بأنه قد استرخى وهوَّم وتغلَّب على القلق البسيط.. بلى.. هي بطولة دون شك ولكنها تكلفنا ثمناً غالياً.. تكلفنا امتيازنا كفنانين أو كشعراء أو كمتذوقين للفن والشعر.

ستقول «وأنا مالي» .. وسيدور في نفسك، ما يدور عادة من منطق يبرر سلبيتك العنيدة، فأنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً ما لدنيا تريد أن تدور شمالاً، ولا تستطيع أن تقف في مجرى الحوادث، ومن أين لك الطاقة على الاتجاه ضد التيار؟.. ثم أنت أب لعيال، وزوج لاثنين وعلى كاهلك مطالب أسرة بكاملها !! هذا هو المنطق الذي تذرعنا به جميعاً لنعفي أنفسنا من مسؤوليات معينة، وهو أيضاً المنطق الذي أدركه أولئك الذين يجلسون حول مائدة حافلة بما لذ وطاب.

«وأنا مالي» أيضاً .. وهناك ثالث ورابع وعاشر ومائة من أمثالي وأمثالك، يرددون نفس الكلمة ويتذرعون بنفس المنطق.. وتمشى الدنيا، أو هي تدور شمالاً، ويظل الجالسون حول المائدة الحافلة متخوفين، حائرين، كيف ينقضي

الوقت.. وقد ضمنوا أن الدنيا تدور كما أرادوا لها هم أن تدور، وأن المائدة ستظل حافلة بما يشتهون، وأن الرحيق الذي يمتصونه سيظل شهياً عذباً لذيذاً، ما دامت الحياة، أو ما داموا هم على وجه الأرض.

وماذا بعد ؟! .. لا شيء.. وقد مشت الحياة هكذا.. والحمد لله على العافية.. أما ماعدا هذا من هموم الانسان ومن واجبات الرجولة، ومن مشاكل الحس، فكتاب «كتاب نقرأه أو قصة نقرأها، ونطرحها» ونستسلم للنوم الهادىء العميق.. وهذه هي السعادة.. السعادة لا وهمها.. السعادة التي ترضي حسَّنا المرهف، وعقلنا المثقف، وشعورنا الرقيق !! فاذا رأينا امرأة ينهش عرضها الجوع، وطفلاً ينخر صدره الداء، وشاباً يضحّي بكرامته في سبيل اللقمة التي لم يأت بها عرق الجبين، وإذا رأينا الألوف، بل مئات الألوف، من الناس يمشون كالقطيع.. إلى حيث لا يعلمون وخلفهم راع يوجههم إلى حيث لا يعلم هو أيضاً شيئاً عن مصيره المجهول، إذا رأينا هذا كله، فإنه ليس أكثر من منظر يمر، نستطيع أن ننساه برمته بعد لحظات.. لأننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً لدُنيا تدور شمالاً، أو لأننا آباء لعيال وأزواج، أو ليست لدينا الطاقة على الاتجاه ضد التيار..

كلا .. لا أستطيع أنا أيضاً شيئاً.. إني أقدِّر عنف التحدي، وأقدر ما وراءه من عجز وشلل.. ولكن لي أن أتساءل.. ترى، هل نستحق حياتنا بهذا الأسلوب من الحياة ؟ ترى هل كتب التاريخ عن أمة، كما كتب أو يكتب عنا في هذا العصر الذهبي من عصور الأرض؟! تُرى هل من سبيل إلى أن نرى النور ونحن راضون بواقعنا ؟

ثم.. هل يباح لنا - أنت وأنا وأمثالنا - أن ندَّعي السعادة، أو نتوهمها، وهذه هي حقيقتنا في ميزان التقدير الصحيح ؟! ..

لا يا صديقي.. ليست الحياة كتاباً يُقرأ، أو قصة نمر بها، إنها حقيقة ماثلة قائمة، والشقاء الذي نعانيه، شقاء مرير، جاثم على الصدر، على الروح، على الماضي، على المستقبل.. شقاء لا يسعك كحُرّ أن تتجاهل وجوده بهذه السهولة واليسر.. فإذا لم تستطع شيئاً، ولن تستطيع، فإنك تستطيع أن تشعر بالشقاء

وأن تعانيه، وأن تتمرس به معنا فإذا كان هذا فوق طاقتك، فإن عليك، أن لا تضحك علينا.. على الأقل ! دعنا نشقى، «وتفرج علينا» ما شئت، ولكن حين تأزمك ضحكة، فعليك أن تذيبها على شفتيك، أو أن تذهب بها إلى الظلام، فإن الأشقياء لا يطيقون أن يروا مآسيهم تنقلب مسلاة للغير.. إنك لا تستحمل أن تزغرد فرحاً، وأهل الميت ينوحون..

أجلَّك، فما كنت كذلك في يوم مضى، ولست كذلك اليوم.. إنها موجة اليأس، والعجز، والفشل، تتكسر على الصخور، لتعود إلى أعماق البحر فتضيع بين ألوف غيرها من الأمواج.. إن حالتك التي تصفها هي اليأس على ما يعانيه ضميرُك وحسُّك ووجدانك من شقاء.. قد تستطيع أن تغمره بألف تعليل وتعليل، وقد تستطيع أن تستره بألف دعوى ودعوى، ولكنه سيظل قابعاً في مكانه من القلب، لا يغادره ما دامت الحال هي الحال.. وما دامت الأمور هي الأمور.. ولكنه سيمد في يوم ما رأسه، لا تستبعد هذا، فالنفس الانسانية كون عجيب، إن الذين يستقبلون الحراب بصدورهم لا يفعلون ذلك إلا لأنهم قطعوا مرحلة أو مراحل معينة من الصبر واليأس، ثم انتهوا إلى الايمان بأن النهاية التي يواجهونها هي سبيل الخلاص الوحيد.

ولنعد، أو لنقفز إلى موضوع آخر، فما أظنك تستطيب أن نظل في مجال واحد، ولعلك تعتبره حديثاً مكروراً أو لغواً لا طائل وراءه أن نقرر أو نناقش أموراً «فرغتم» أنتم منها ومن غربلة حقائقها منذ زمن بعيد.. ولست أدري أي موضوع ينبغي عليَّ أن أفعل، في المجال المحدود لرسالة متحتم أن تنتهي على كل حال.

رسالتك حافلة بالكثير في الواقع، ولكن من أهم ما فيها ملاحظتك عن إذاعة أم ضياء، ومع أنّي أقدر تماماً نبل الباعث عليها، فإن ما أحب أن أصارحك به هو أني فخور بإذاعة اسمها.. ولا معنى للاسم الآخر أو عدم التعريف إذا كانت الحقيقة أنها تذيع، وأنها تملأ مركزها، كسيدة عربية من الحجاز، في عمل لا فرق بينه وبين التدريس، أو التعليم، أوالصحافة، وهل أكره أن تكون زوجتي مشتغلة بالتدريس، أو بالصحافة. وهل ينبغي أن أشعر بأني

أرتكب أو ترتكب هي وزراً يجب إخفاؤه عن عيون الناس أو عن أسماعهم إذا كانت تقوم في الواقع بعمل يشرف المرأة أن تقوم به. إن ما كنت أتوقعه عندما التحقت بدار الإذاعة، وقدمت حديثها الأول، وأذيع اسمها، أن أسمع من مواطنيها الفخر بها، والاعتزاز، بوجودها في إذاعة تعد من أرقى إذاعات العالم وأرقى إذاعة في آسيا دون نزاع.

ثم يا صديقي، لمَ تعمى عيون هؤلاء الذين ينشرون ملاحظاتهم عن طبقة أخرى أو عن فريق معيَّن من النقاد نرى نساءهم على آخر طراز من العصرية مظهراً وقشوراً، يمشين في شوارع مصر، ساخرات بكل عرف، وبكل تقليد، وبكل حجاب، ولا يتورعن أن يشتركن في الحفلات، وأن يغشين الصالات، وأن يستقبلن الأصدقاء، وأن يرقصن الفالس، وأن يلعبن بالعقول، كما يلعبن بالنقود.. لمَ تعمى عيون الملاحظين عن هؤلاء، وتنفتح على أم ضياء وهي تذيع إلى جانب زوجها، وفي مساهمة محدودة، محفوظة الكرامة والمكانة كسيدة لا تجد إلا الاحترام والتقدير، وهي تعمل كما تعمل جميع زوجات أعضاء القسم العربي، في جو ملؤه الاحترام والثقة والتهذيب، لم تنفتح عيونهم عليها، وهي لم تتبرج، ولم ترقص، ولم تلعب بوكر، ولم تَغْشَ الصالات، ولم تسهر حتى الصباح.

ثم لنفرض أنهم قد لاحظوا، فماذا ينبغي أن يكون موقفك أنت.. أنت الصديق العصري، المفتوح العين والذهن، لم لا تدافع عن الفكرة ولم لا تدعو إلى الإيمان بحق المرأة في العلم والعمل والحياة. أم ضياء أذاعت وستذيع، وعندما تعود إلى الوطن في يوم ما فستشتغل بالتدريس وهي تتأهب لهذا بدراسة خاصة تستغرق طيلة اليوم، واعتقد أنها ستوفق وإذا اشتغلت بالتدريس فإنها ستكون حاملة الشعلة الأولى بين بنات جنسها، وإذا قدر لها أن تسلمها إلى أخرى، فلن تستطيع قوة مهما بلغت رجعيتها وأفت عقلها أن تطفئها إلى الأبد..

ما الذي يفضل المرأة الجاوية أو المرأة البورمية، على المرأة الحجازية إني أرى هنا الطبيبة الجاوية والمحامية والأديبة من الهند ومن باكستان ومن بورما، وأرى المرأة تعمل إلى جانب الرجل في مؤتمرات سياسية وثقافية.. إن مديرنا

العام سيدة، بل آنسة وهي آنسة كاللبؤة عنفواناً، وكالوردة رقة وتهذيباً، ولكن هذا لم يمنع حكومة الهند من تقديرها وإعطائها حقها في الحياة. وأنا لا أحلم للمرأة السعودية بشيء من هذا اليوم ولكني أطالب بحقها المعقول في أن تعرف على الأقل واجبها نحو زوجها وأطفالها. أن تعرف الطريقة التي يجب أن تتبعها لتربية أولادها تربية تقيهم شر الأمراض الجسمية، والاجتماعية والخلقية، وأن تعرف كيف تخيط فستاناً وكيف تدبر منزلها وكيف تشرف على دروس صغارها ثم أن تعرف الفضيلة معرفة وأن تؤمن بها إيماناً، لا أن تقسر عليها، بالحجاب، وبالنوافذ المغلقة والأبواب الموصدة. الفضيلة التي تثبت وجودها في الهواء الطلق، وتحت ضوء الشمس، لا في الخنادق أو ما يشبه الخنادق والأنفاق..

أرجو يا صديقي، أن تعتبر، اذاعة أم ضياء، خطوة في تاريخ المرأة السعودية، وأن تعمل على شد أزر هذه الخطوة، وعلى تشجيعها وعلى الدعوة إلى الإيمان بها. فذلك واجبك كرجل فكر، وكإنسان يساير الحضارة في محاولتها الحياة أو الاستقرار في ظلام بيوتنا، وعقولنا، وضمائرنا..

وبعد، فلي عليك بعد هذا عتب على شحك، بشعرك وقصصك ما لم تكن منشورة في البلاد السعودية.. إن ما ينشر في البلاد السعودية هو ملكها في الواقع، وليس من حقنا نشره أوإذاعته، وما دامت لديك قصائد تضرب شعراً، أو قصصاً عن غيره، فلم لا تذيعها من إذاعة يسمعها أربعون مليوناً من العرب..

دعك من فلسفتك، واخرج من القوقعة إلى النور والهواء، أسمع صوتك للعالم، فقد أذعنا للسرحان أسطورة تلقينا على إذاعتها إعجاباً من العراق، ومن سوريا، ومن لبنان، وأصبح بريدي، لا يخلو من رسالة تستزيدنا، من إذاعة الأدب الحجازي والشعر الحجازي، والقصص الحجازي. وقد أذعت حتى الآن لأكثر أدبائنا وفي طليعتهم حمزة، والسرحان. ونحن أحرار في أن نذيع ما نشاء ما دام لا يتعارض مع سياسة الهند. وسياسة الهند، واسعة مثلها لا تضيق بما تضيق به أية إذاعة في العالم الغربي، ولدينا أمر رسمي، من الإدارة العامة بأن نشجع وأن نعمل على تشجيع كل حركة ترمي إلى تحرير الفكر أو إلى تحرير الشعب أو إلى مناهضة الاستعمار، أو إلى تقرير الحقائق.. أو إلى ازدهار

الفنون.

وأخيراً، فإني أود لو أني لا أتوقف عن الكتابة إليك، فان هذا يشعرني بوجودك إلى جانبي، وقد أتحت لي برسالتك، لحظات سعدت فيها بحياة قل أن أحياها هنا. فشكراً.

بقي، أني أتمنى كما تتمنى أن أعود قريباً إلى بلادي، وإني أدعو الله أن يحقق هذا الأمل، وإني أرجوك أن تعمل له إذا كان يتاح لك سبيل ما للعمل، وتحياتي، لفاروق، وفوز، وللآخرين، أو هي الأخريين اللذين لا أعرف اسمهما، وتحيات أم ضياء، للأمهات عندك، وبلغ سلامي للأصدقاء السائلين، واخرج لسانك لمن لا يسأل، ولك حب أخيك.

عزيز ضياء

دلهي الجديدة

٦ أبريل ١٩٥٠م

تحياتي لجميل حلمي، خاصة، وللشيخ محمد عمر عرب، والشيخ محمد حابس،

هل تصلك نشرة برامجنا الشهرية وهل تصل إلى سواك من أصدقائنا أم لا؟



مرارة الكأس

أخي / محمد عمر

سعطت أنفي من رسالتك رائحة الضيق والبرم بالدردشة الطويلة التي ظننت أني أنفّس بها عما أجد في حياتي من ضيق وكمد، وما أراه في أفقها الشاحب من غيوم.. واستغرقني بعد ذلك شعوري بالثقل والصفاقة، وذهبتُ فيما أخالني أذهب فيه دائماً من انسياق وراء معدوم.. وركض خلف خفي، وخبب في أحشاء دنيا شوهاء.. ومرت فترة طويلة قبل أن آخذ القلم لأعود إلى الكتابة إليك. فما كنت في حال نفسية تتيح لي شيئاً من هدأة الروح وسلام النفس وصحة الحكم والتفكير. وما أظنني اليوم قد برئت، أو أنني أحسن حالاً، وأخف ثقلاً، وإنما أظنني قد عجزت عن ضغط الصمَّام أو تخاذلت عنه قواي.. فإذا بي آخذ القلم وأشرع في هذه الدردشة من جديد.. أخفف بها من هذا الشوق الذي أجد، واجتر معها ذكرى لحظات تُقضى مع مواطن صديق، في بلد حرمت فيه من المواطن والصديق..

ويبدو لي، أن الخلاف بين وجهة نظرينا إلى الأشياء أعمق من أن ينتهي بالرسائل نكتبها، أو الآراء نشرحها ونناقشها.. فانك تقول هذا رأيي، وأقول بدوري.. وهذا رأيي.. ونظل في مواقفنا لا نتزحزح وتظل المسألة هي المسألة رغم كل ما يقال...

إنك تمثل الفردية بكامل معانيها وتستغرقك الذاتية استغراقاً شرهاً بحيث يتعذر أن يكون لغيرها فيك نصيب.. وأنت تضرب على وتر خاص. وتستمد الحانك من ينبوع مستور عن العيون، وبينك وبين الحياة أو بين البشر على الأدق صلة واضحة المعالم والحدود، رسمت أنت سبيلها وأقمت على ضفتيها ما تريد من أسلاك شائكة تمنع سواك من أن يطرقها.. وهذا شأن كثيرين غيرك

ممن تحيط بهم نفس الظروف والأحوال التي تحيط بك، بل ربما كان هو شأني أيضاً إلى حد ما، والعالم حافل بأمثالنا، وليس في هذا ما ينقص شأننا، أو ما يضير ذواتنا، ولعلنا لن نضرَّ أحداً، ولن نؤذي إنساناً، ولكن الحياة تطالبنا بحقها علينا أيضاً، وكلمة «الحق» هنا، لا تؤدي الغرض.. لعل الأصح أن أقول أن الحياة تطالبنا بضريبتها التي لن يتغير ما بنا ما لم نؤدّها.. والأداء لا يعني أن نأسى وأن نتألم وأن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله ثم ننصرف إلى شأننا، وإنما يعني أن نعمل شيئاً إيجابياً ملموساً.. أن نضع في البناء لبنة، أو أن نضرب في الأطلال معولاً. وبذلك وحده نحقق معنى إنسانيتنا، قد تقول: ولكن ما علاقتي بالبناء أو بالأطلال، وحياتي كتابٌ وقلم.. فلا يعني إلا أن ابتسم.. وإلا أن أعجب للتاريخ، كيف يملأ آذاننا بأن الذين صنعوا الحضارة، هم الذين حياتهم كتاب وقلم.. ما هو التاريخ الإسلامي إن لم يكن القرآن.. وما هو تاريخ نهضات الشعوب وحركات تقدمها، إن لم يكن ما فاضت به نفوس الفلاسفة والمفكرين..

وبعد، فأحسبني لن أنتهي إلى شيء، بهذا الذي أقول، ولعلّي سأزيد الأمور تعقيداً كلما زدت الموضوع بحثاً ونقاشاً.. ولهذا فالأولى بي وبك أن نقف عند هذا الحد، وأن نؤجِّل البحث إلى أن نلتقي في الحجاز إن شاء الله وأنا واثق أننا سنتفق، وسنشعر يوماً ما بضرورة أداء الضريبة، بل سنؤديها باسمين.

سألت عن موعد انتهاء العقد القائم بيني وبين الحكومة الهندية، وقال لي الصديق عبد الله بلخير، أنك كتبت إليه بشأني، وما أريد أن أشكرك، ولكني أريد أن تعلم أن إحساسي بما تفعل عميق بعيد.

والعقد لا ينتهي قبل عام آخر، ولكن حقي في الغائه محفوظ ورهين بقدرتي على الاستغناء عن العمل والرحيل من الهند.

وأنا اليوم في حال تحتم عليَّ البتَّ في أمري بتاً قاطعاً، إذ تلوح لي فرصة للعمل في صوت أمريكا بنيويورك، ولدي عرض بالعمل في جاكارتا منذ شهرين. ولو أن في استطاعتي أن أخنق رغبتي المجنونة في العودة إلى الحجاز، لسهل البت ولاخترت نيويورك على أي بلد آخر، ولكن هذا يكاد يكون

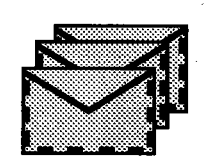
مستحيلاً، فإن ضعفي يغلبني ويسيطر عليَّ شعورٌ غريب بحتمية العودة إلى بلادي وخدمتها في أي مجال.. إني أرى ما قد لا تراه أنت.. من مستقبلها الذي يتطلب جهد الشَّيال، فضلاً عن جهد القادر على خدمتها في أكثر من مجال.. وسأبذل كل جهدي لتحقيق هذه الغاية بأسلوب يضمن لي كرامتي وحياتي خادماً لبلادي. وأملي أن أوفق، ولكن إذا تعذر عليَّ هذا أو استحال، فالأمر إلى الله، ولابد لي عندئذ أن أقبل ما تتيحه لي سمعتي الطيبة في الوسط الإذاعي.. ولكني لن اختار البقاء في الهند على كل حال.

وعليه، فلا ضرورة لأن تحسب حساباً كبيراً لمسألة العقد القائم بيني وبين حكومة الهند، وإذا أتيح لك أن تفعل شيئاً فلا تتردد وقد كتبت إلى بلخير، وكتبت قبل ذلك إلى الشيخ ابراهيم وعندي منه وعد كريم وأنا منتظر ما تسفر عنه الجهود، وليس لدي ما يقلق أو يزعج، فالعمل في حد ذاته لذيذ، والراتب يفي بالحاجة ويزيد، وقد عينت مدرساً للغة العربية، في مدرسة اللغات الشرقية في دلهي، علاوة على عملي في الإذاعة. وفي النية أن أشرف على تحرير مجلة الثقافة الهندية التي يصدرها آزاد ولكل عمل مقابل من مال.

ومع ذلك فإن هذا كلَّه لا ينبغي أن «يرخي» أعصابك من جهتي، أو أن يضعف من اهتمامك بالأمر، فإنك تعرف النفس حين تعوف عن شيء، وتعرف مرارة الكأس التي تشرب على زهد.

انتظر منك الكثير، على أن لا يكون في ذلك ما يثقل عليك أو ما يرهقك.. ولك حب أخيك.

عزيز ضياء



مشـــاركــة الرفـــاق

أخـي / محمد عمر

فتَّر عزمي على الكتابة إليك، كلما أعتزمت، شيئان: أولهما، أني لا أعرف عنوانك، وثانيهما، ان الكتابة مني، قد تقتضي رداً منك، وهو ما لا أحب أن تلتزمه الآن، وإلى أن يمن الله عليك بالشفاء. ولكني دائم السؤال عنك، ممن ممكن أن يتصل بهم خبرك، ومنهم يحيى أبو الفرج، والفارسي.. وعلى أن إجاباتهم قصيرة مقتضبة، بل وشاردة أحياناً، فانها مطمئنة تماماً، وآخرها منذ أيام قلائل. فقد قال أحدهم أنه رأى من رآك. وأنك على خير ما يرام، وأن كل أثر للحادث قد انتهى ولم يبق إلا إعادة، ما لليد من سابق قدرتها على الحركة بعد أن ظلت في ما يمنعها عنها، زمناً طويلاً دون شك..

وأجمل ما أعرفه فيك، يا صديقي، هو شجاعتك ونظرتك المتعلقة المدركة للواقع، وحسن تقديرك الذي يتسم بالاعتدال والتأني - أو هي التؤدة - للأمور. وحين تكون للرجل منا مثل هذه الذخائر والكنوز، فإنه لخليق بأن يهنّأ على التجربة، وأن تكون الضحكة الودود، والملامح المستبشرة، والحديث الفياض بالأمل، الزاخر بالرجاء، هي أسلوب رفاقه في مشاركته ما يجد من واقعه، ومن آلامه. وهذا ما أود أن تعبر عنه هذه الرسالة التي يكفيني أن أعلم من الأخ حمزة أنها قد وصلتك، وأنك تخطو الخطوات الأخيرة في سبيلك إلى بلدك وعملك ومستقبلك الوطيد اللامع إن شاء الله.

وأنت مشوق أن تعلم عن أحوالنا شيئاً، ولكن ماذا أستطيع أن أضيف من جديد، إلى ما لديك من ياسين وزيدان، فهما عندك ولعلهما قد زوّداك بالكثير عن كل شيء.. على أن المفروغ منه أن حياتنا بخيلة بالجديد من الأخبار.. أؤكد لك أن كل شيء على ما تعهد اطراداً وركوباً، أو لعلّ هذا هو احساسي، فإني

قليل الخروج من المنزل، ونادر الاختلاط بالناس، وليست مبالغة أن أقول أني لم أر أحداً منذ أسبوع، ولا أتوقع أن أرى أحداً لأسابيع، فإني أُشغل نفسي، بالكثير الممتع، الذي يوفّر عليَّ الكثير من عناء الاختلاط، وأنت خير من يدرك، ان للاختلاط بالناس واشتباك العلاقة بهم، عناء أي عناء..

أما عن نفسي، وأهلي وأطفالي، فإننا بخير، وأمورنا تسير في خطّها الذي رسمته الأقدار منذ وقع الحادث المؤسف، ولا يبدو أن طاقتنا المجرَّدة، تستطيع أن تخرجنا إلى خط آخر، إلا بمعجزة لا يصنعها إلا الله سبحانه، ولكن هذا لا يعني أننا نشقى أو أننا نكابد.. كلا. فالواقع، أن القلق على المستقبل، هو الذي يحجب عنا ما ينبغي أن ننعم به من نعم الله وأن نتحدث عنه من احسانه وفضله. وما عدا ذلك، فكل شيء على ما يرام..

وأحسب أننا الآن في المرحلة الأخيرة، من محاولة الاسترضاء أو المقدرة على السفر، وقد يستطيع حمزة أن يحدثك بتفصيل أوفى.. ولا أستبعد أن الطرف الأخير من المحاولة هو الذي سيرجح فيقدّر لي أخيراً أن أسافر، وليس ذلك مما أسر له كثيراً، ولكنه لن يسوءني أيضاً، فهو على كل حال خطوة نحو سعي، ظل موقوفاً عن الحركة مدة تقارب العام. ومن الذي يستطيع أن يقول أن الله سيغلق علينا جميع السبل.. إنه أكرم من أن يفجعنا في جميع الآمال..

أعذرني، إذا قلت لك أني لم أر محمد نور قط، فإني قليل الخروج كما قلت، وهو بدوره أكثر مني زهداً في خلق الله، ولكني سمعت أنه تزوج فعسى أن يعوضه الله خيراً، وأن يتيح له ما ينشد من دعة واستقرار وهناء.

لست أدري، ان كنت أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلك، ولكن ما لدي من فراغ.. يشجعني على أن أرجوك، أن لا تتردد في تكليفي بأية خدمة أياً كانت، وسأنجز ما تطلب، إن كان مما أستطيع إنجازه، وسأعتذر عما لا يدخل في طوقي.

المفروض أني باق.. في مكة إلى أوائل رمضان، أو منتصف شعبان، والمفروض أن أشرع في حركة السفر بعد ذلك، ولك، خلال هذه الفترة أن تكلفني ما تشاء، وإن كنت أرجو أن نراك قبل ذلك كثيراً.

محبُّوك، دائمو السؤال عنك، بل والقلق عليك، وإني لأغبطك حقاً، على ما تتمتع به من حب الناس وإعجابهم وشعورهم الطيب، وأنت تعلم هذا بالطبع، ولكن الذي أظن أنك تستبعده، هو أن منهم من يعد فيما يعد من أسباب سفره إلى القاهرة، أن يراك، وأن يطمئن عليك..

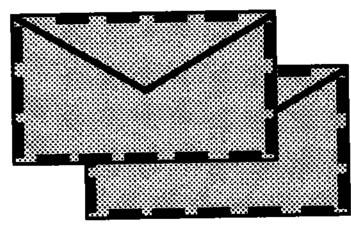
وبعد، فعسى أن أسمع بوصولك قريباً، ان لم يخطر لك أن تخبرني قبل توجهك، لأكون بين من يستقبلونك في المطار، أو في أم الدود على الأقل.

وتقبل، أيها الصديق، عميق حب أخيك.

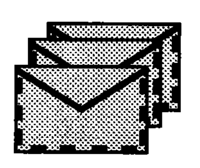
عزيز ضياء

مكة ١١ / ٦ / ١٣٧٤هـ

العنوان: مكة - الهنداوية



من محمد عمر توفيق إلى عزيز ضياء



من المستشفى لساحة البرج

أخـي / عزيز

من قبل ليال جاءني برسالتك الأخ حمزة.. ليودعني، فقد كانت آخر معلوماته أنني سأسافر في تلك الليلة.. وجدً أنني انشغلت بكتابة مذكرات عن أيامي في المستشفى.. وقرأت رسالتك أو قرأناها معاً - أنا وحمزة - ثم قرأنا فصولاً عن المذكرات.. ودار البحث بعد ذلك حول الأساليب، وكان حمزة يذكر المحاضرة في هذه الأثناء.. وكأنه ألقاها أمس في جمعية الإسعاف.. ثم انقضت السهرة حوالى الثانية عشرة في الليل.! ولم أره حتى الآن.. وربما كان مريضاً بعد البحث.. وقصَّرت، فلم أزره، وقصَّرت فلم أرد عليك.. لأنني كنت منهمكاً بجد في كتابة المذكرات حتى حبست نفسي في الشقة بضعة أيام.. وأتممت المذكرات. بل وقدمتها للطبع.. ولا أدري إن كنت سأحملها.. أو قسماً منها.. معي.. أو ستلحقني..

المهم أنني أرقت ما كان في أعصابي على الورق.. وأكتب لك هذا بعد أن خرجت من المستشفى.. فقد ردتني كتابة المذكرات إلى المستشفى.. وعشت في جوه الثقيل مرة أخرى.. ولثاني مرة أشعر الآن بأنني خرجت من المستشفى إلى ساحة البرج في بيروت. ستقرأ تاريخي ببساطة في هذه المذكرات إن قدر لها النشر !

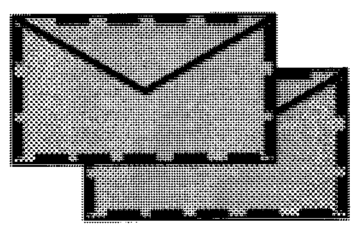
أشكرك.. كنت دائما في نفسي.. أسأل عنك.. ولا أفهم شيئاً.. ولم تزدني رسالتك إيضاحاً.. ولكن الخير في الواقع. إنها يا ابن الحلال قصصنا من الأزل.. علمني المستشفى أن الصحة هي السعادة مضافاً إليها عفو الله وكل ما عدا ذلك يهون.. وأن الطريقة الوحيدة - دائماً - هي الصبر لا على أساس أنه صبر بمعناه المزعج كما نتخيله.. بل على أساس أنه حالة مشرقة نتذكر فيها

أنت وأنا أننا نجتاز فصلاً من فصولنا المكتوبة من الأزل بقلم المؤلف الأكبر.. فان كان ألماً فإن الفصل مستمر على كل حال.. كيوسف وهبي في أي تمثيل عنيف.. وإن كان غير الألم فالحمد لله.. واستمر الفصل أيضاً .. كنت أقول هذا أحيانا ـ وأنا في المستشفى ـ وأشخر.. حتى عرفت أن الشخير كالأبازير في «مختوم» الصبر والطمأنينة..

أشكر عواطفك.. وتفضلك بالسؤال.. والكتابة.. سنلتقي قريباً إن شاء الله.. أشكرك.. لا زلت،

أخوك

محمد عمر توفيق



من محمد عمر توفيق إلى حسن قزاز

الاعـتمـادالمفـتــوح

أخـي العميل ..

حيرني كتابك الأول.. إن أسلوبه يشبه أسلوب الشيخ محمد في بعض شروحه أو كلها.. ولا أدري إن كان الذي في كتابك الثاني مزاح أو أكثر من المزاح.. وبين الكتابين كنت أعد هذه الدفعة من مفكرتي.. أي لم أكن في حالة «عرض» للبضاعة كما قد يبدر للظن.. أما نشر دفعة هنا ودفعة هناك - فإنه قد لا يحدث إلا إن وجد تطور في عقليتي - لا سمح الله - أو في عقلية «العميل» الثاني.. وربما كانت البضاعة مخطوبة.. ولكنني فضلت لا باحساس «التاجر» الذي تفضلت بالضغط عليه وحده، بل باحساس آخر حبيب في معناه - فضلت أن أخص «محلكم» بهذه البضاعة.. وهذه الدفعة الأولى في شكل ٣ كرتونات أو ٣ أيام.. والبقية في الطريق إلى ١٥ كرتوناً أو يوما.. وأنت حر في موالاة النشر يومياً أو أسبوعياً .. أو بين..

إن بعض الأيام التي ستأتيك - ربما كانت أقصر من هذه التي لديك.. ولكن هذا لا يمنع من نشر كل يوم على حده.. كالكبيرة.. أو كل يومين من الصغار كما ترى..

ولولا بُعد الشقة لفضلت أن أتولى التصحيح، وأستبعد أن يكون هذا ممكناً وأنا في مكة.. فأرجو أن يتسع وقتك للإشراف على «البروفة» الأخيرة.. لتكون طبق الأصل بدون أخطاء.. أرجوك..

لم أفهم الرمز في آخر رسالتك إلى العقل الذي نشترك فيه.. ولا قصة «الاعتماد المفتوح»..

إن رسالتك الثانية في حاجة إلى «مجلس» كمجلس أيام زمان.!

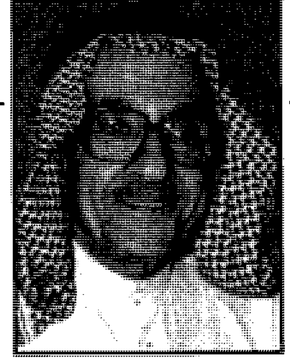
يرحمنا الله،

أخوك

محمد عمر توفيق

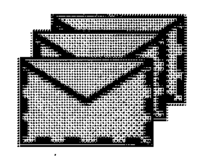
١٩ / ٥ / ١٣٧٧هـ

من حسن قزاز إلى محمد عمر توفيق



حســــن قزاز

الأدب الجــــم



الأدب الجم

عزيزي / محمد عمر

تلقيت رسالتك الكريمة.. وقد أوشكت أن أعذرك لمشاغلك.. ولكني أعرف إن بعض ما يجب أن نتناوله.. إنما يدخل في مجال اللذة الفنية التي يستعيض الانسان بها لأن يرفه عن «خاطره»..

أما أن أحدد نوع المساعدة والتي أعطيتها شكل الضروريات إن كانت تلزمني.. فأحسب أنك أغرقتني في بحر لطفك الزاخر بالتواضع والأدب الجم.

وأؤكد لك أنني لا أبالغ إذا صورت لك مدى اعتزازي بصداقتك الشخصية قبل أي صداقة أنشدها للجريدة.. لأنها تستمد خصاصيتها من الأصل الذي عشناه.. وأنت في موضع التقدير والاحترام.. من نفسي ومن أملي..

لقد فسر الرفاعي رسالتك بأنها غامضة.. ولكني على العكس وجدتها أكثر وضوحاً وأقوى تحديداً..

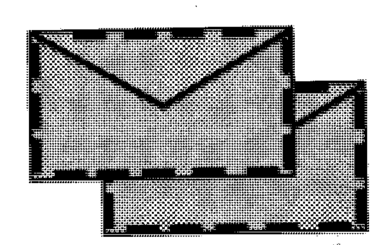
ولكني مع ذلك سأترك للاستاذ الرفاعي حق القول: إن جاء حدسه أكثر تأكيداً وواقعية من رأيي الخاص..

فهل تفضل..

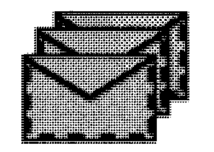
أتمنى لك العون والتوفيق ،

حسن قزاز

٢٧ / ٥ / ١٣٧٧ هـ



من محمد عمر توفيق إلى حسن قزاز



حـــالـــة تجـلي

أخي / حسن قزاز

.. ولكن هل صدرت عرفات.!؟ وسمعت أن عدداً ممتازاً صدر منها قبلاً فأين هو ؟

يا عطارين .. دلوني ..

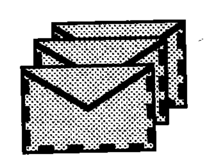
وبعد، فهل هذه غامضة ؟ أسأل الرفاعي أما رأيك فربما كان هو الواضح.. وأنا بين الغموض والوضوح ـ في حالة «تجلّي» كالذي أحسه دائماً إذا كنت في حالة «بَيْنَ .. بَيْنَ» ما رأيك في هذا الوضوح ؟

حفظك الله ،

أخوكم

محمد عمر توفيق

٣ / ٦ / ١٣٧٧ هـ



ظـــروف الســـــوق

أخي / حسن قزاز

تحيات وأشواق ..

تفضلت «البلاد» فأشارت قبل أيام إلى مذكرات أو يوميات العبد الفقير ـ في أسمرا ..

والحقيقة أنني «جلبت» معي من المذكورة ـ أسمرا ـ «بضاعة» قدرها ١٥ يوما أو كرتونا .. في كل كرتون ٢٤ ساعة .. غير أن حجمها قد يزيد أو ينقص بحسب التعبئة ! وربما كلفني مشروع هذه البضاعة ـ اليوميات ـ ما لم يكلفنيه مشروع بضاعة أخرى جلبتها من أسمرا أو غير أسمرا .. الأمر الذي حداني إلى عرضها في الأسواق كأية بضاعة أعرضها فيها .. متطلباً فضل الله ..

وما أزعم لها جودة «الكاديلاك» أو الحصان في العهد المرحوم .. بل أقدم استعدادي لعرض «العينة» لأمر «الزبون» ..

وثق أنك أول «عميل» أعرضها عليه شبه رسمي في هذا الكتاب ..

ولن يضيرك بحال أن تقول: لا .. كما أنه لن يفيدني في نفس الوقت ..

إنني ـ كتاجر في الأيام الأخيرة ـ أقدر جيداً ظروف الأسواق ..

فماذا ترى ؟

حفظك الله ،

أخوك

محمد عمر توفيق

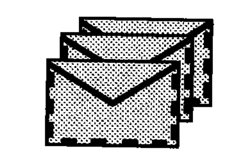
٧ / ٧ / ١٣٧٩ هـ

من أحمد قنديل إلى محمد عمر توفيق



أحمد قنديل

نمط الحياة المهضوم



نمط الحياة المهضوم

أخي / محمد عمر توفيق

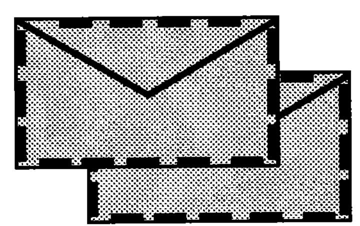
شكراً .. ولابد وأن يكون حلمك متقطّعاً في منطقة الصحو المقدس تمهيداً لليقظة الناشئة في الصحو والمنام.. والذكرى البالغة في مِلْك حياة الصحراء.. وثق بعد هذا أن استغراق الحاضر دائماً هو نمط الحياة المهضوم لألفته.. أياً كان.. وأن الاستغراق على مزاولة نمط بعينه مهما كان.. هي وحدها مصدر القرف والغثيان وحب الانتقال - ولو إلى رحمة مولاك ! ولعلك لا تستغرب إن قلت لك إني في انسجام تام من غرفتي في المستشفى - المكان وروتينه، وعاداته - واللون الجديد هو خروجي يومياً في العصر للنزهة وتبديل الهواء بعد تكرار إصابتي بالدوار - ورغم ذلك فسيجيء أوان القرف - و.. و.. إلخ..

أشكرك على تطميني آمل.. وأرجو أن تعقبه تليفونياً كلما تيسر لك ذلك إن كنت بمكة - وسأحرص على زيارة أولادك هنا بعد خروجي. وبما يلزم لي من هنا أخبرني.

ودمت،

أحمد قنديل

٢٦ رجب / ١٣٧٤هـ



من محمد عمر توفيق إلى أحمد قنديل

بحـــر من الـــدم

أخي / قـنديل

الذين يحسبون أو يعتقدون أن حرباً طويلة الأمد، ثارت بين المعنى والمادة، حتى انتهت أو أوشكت أن تنتهي إلى انتصار حاسم يلذ المادة أن تستمرئه، أولئك أقل من الذين لا يحسبون أو يعتقدون ذلك، فقد كانت ظواهر الحياة إلى ما قبل قرنين أو نحوهما ظواهر متأرجحة، وكانت الدنيا مسرحاً تكافأت فيه جهود الممثلين، فهي إن ضمنت النجاح لأحدهم مرة أو مرتين ضمنته للآخرين بنفس هذا العدد من المرات، وكذلك الفشل هُمْ فيه سواء. فلما استقرت الحضارة الشائعة، أو خيل إلى الناس أنها استقرت ـ كان للمادة أن تفخر بأنها أساس هذه الحضارة، فان نصيب الروح، أو نصيب المعنى في بنيانها نصيب ضئيل، أو هو يكاد يكون نصيب المحروم. وانبرى العقل يسند المادة، وقالت لهفة الانسانية التي أبلّها الظمأ الطويل: إن في المادة رواء. وقال التاريخ: هذا عصر بالنسبة لخطوات الزمن. ولكنه فجر بالنسبة لأن الانسانية أتيح لها أن تولد فيه ولادة جديدة وقالت الفلسفة: رجماً لمن لا يقنع في عقيدته الوجدانية بهذا التراب لا بما وراءه! وقال الحديد: كنت عنصراً لاغياً في الدنيا القديم، وأنا اليوم قد وضعت أنشطتي في عنق هذه الفيلة الإنسانية الضخمة! وقال الدم الحار: أواه! لقد بردت حمّاي بعد أن مكثت تغلي كل هذه القرون الطويلة! وقال كل شيء في الحياة ما هو بمثابة تسبيحة تلثم جبين المادة ـ إلا شيئاً واحداً أخذ يضحك، وعاد يتألم، وأدركته مرارة الألم، فطفق يبكي، وكانت دموعه هي هذه الويلات التي تكاد تغرق الانسانية في بحر من الدم !! أتدري هذا الشيء يا صديقي؟ إنه معاني الحياة في أسمالها التي باتت ملتفة فيها منذ فغرت المادة فاها العميق! وكأنما كانت هذه الأسمال قصيدة رثاء طويل يبكي فيه ماضي الإنسانية حاضرها الأثيم! وحسب الناس أن المادة قد

انتصرت بعد أن دام العراك بينها وبين دنيا المعاني الطليقة طويلاً، فركضوا وأدركهم الإعياء، فإذا هم يفتقدون مصدر عزاء كان من قبل لا يبرح قرارة ضمائرهم المنكودة، وإذا هو يطل عليهم من حيث تعجز أبصارهم عن النظر إليه في ضوء كضوء الشمس، وإذا هم يسألونه الإلهام بعد أن كادوا يبصقون في وجهه. وكأنما أرادوا أن يكونوا حرباً على أنفسهم، فاختفى وتوارى، وعادوا يضجّون صائحين: إنها المادة غزت أصلب معاني الحياة فتركته فتاتاً لا يستجيب! ، وضحك المعنى وضحكت المادة، في حالة سلمية، ولأن حكومتهما لم تحسب حساب سيف أو مدفع أو أسطول، فليس لأدوات الحرب في واقعها أو مستقبلها أو ماضيها مجال فكر أو احتمال.

فإن كنت ما تزال تنطوي على تخيل وقوع هذه الحرب أو اعتقادها مرجحاً انتصار المادة كما يتراءى لك من واقع الدنيا، فأنت وذاك، ولكنني أظن ـ وأحب أن تظن معي ـ أن هذه الحرب في ظاهرها ليست حرب مادة ومعنى، ولكنها في حقيقتها المستورة حرب مستعرة بين عصب الجيل الحديث الذي أسلمه التاريخ الماضي للتاريخ الحاضر، حاراً متوتراً تكاد تخنقه الحياة بين سُنَّة الاعتدال التي تريد الحياة أن تنشئ الأجيال القادمة نشأة قائمة على أساسها أوهي لعلها حرب عنيفة بين إرادة الحياة وإرادة الأحياء. هؤلاء تنحصر إرادتهم في تسخير كافة قوانين الحياة لما عساه أن يضمن هناء إحساسهم، على قدر ما يمتد به الزمن، وهي لا تأبى عليهم ذلك، ولكنها تريد أن تترك نصيباً من إرادتها ليعمل عمله البنائي مستقصياً في ملاحظة أعالي البناء وأسافله وسائر أجزائه التافهة والعظيمة. وهل تناطح إرادة الأحياء ما تريد الحياة نفسها؟ سل التاريخ ـ على احتمال كذبه ـ يجبك عن هذا، فقد اندثرت مدنيات وحضارات أرادت لنفسها أن تعيش متمردة على الإرادة الخفية التي تسخر قوانين الحياة. هي يا صديقي حرب ولكنها بين مظهر زائف من مظاهر النضوج الإنساني، وحقيقة من حقائق النقص الفاضح الذي ما يزال يعدّ دليلاً على أن الإنسان حيوان إذا فاتته البهيمية في منطقه وحسه وعقله، فإن له من غرائزه وميله ونزعاته ألف بهيمية تروح في دمه وتجيء. هي حرب ولكنها بين إنسان الغابة الراقد في واعيتنا الباطنة وبين هذا الانسان المتمدن الذي أراد أن ينظر إلى

الحياة والى تاريخها الطويل نظرة تتدلّى من قدميه لا من عينيه! هي حرب ولكنها بين الجحود الكافر الذي يؤله نفسه، وبين ذلك الحدب الروحي الذي استظلته هذه الآدمية التاعسة في أدوارها الماضية..

هي تجربة أرادت الحياة أن تختبر بها عقل الانسانية ومدى اتزانها الحسي بعد هذه الطفولة التي حنَت عليها طويلاً لعلها تستريح من عناء الإرشاد والتقويم، فهل وفقت التجربة ؟

لقد وفقت لا حيثما أرادت الحياة، بل حيثما لا تريد، فقد أكدت أن هذا القطيع السائر في كنفها هو قطيع مهما شاب أو شاخ أو تكاثر، فهو في حاجة إلى عصا تلهب ظهور أفراده الذين لا يركبون الطريق.

إن هذه الطبقة التي يحسبها قانون النشوء والارتقاء طبقة رفيعة بالنسبة لما دونها من طبقات كثيرة، هي في الواقع طفولة، تلبس زيًّاً جديداً فانياً، ولكن تلك ، ـ وأعني رفات الأجيال الغابرة ـ كانت في طفولتها عارية مجردة، ومن هنا ردد الجيل الحاضر نشيد الخلود، مستوحياً معانيه مما ألهمته إياه أسطورة تصور همجية الإنسان القديم تصويراً واضحاً ، أقامته الصنعة الفنية مقام الصورة الصادقة، بعد أن مرت عليه كل هذه القرون المنطوية. وما برح الاستمرار دليل الصدق ودليل قوته الخالدة، مع أن القاعدة هي أن تستمر الكذبة، وأن لا تعمّر القولة أو الفعلة الصادقة أكثر من فترة وجيزة تفصل بين كذبتين !

أما المادة وأما المعنى، فإنهما قاعدتا الحياة منذ كانت تتدافع في أحشائها عوامل الوجود، حتى أتيح لها أن تتدفق وأن تتلاطم أمواجها، وما يزال المعنى ـ كما كان في بداءة الحياة ـ عاصفة تهز شجرة المادة، لتسقط عنها أوراقها الذابلة، وتكتسي ورقاً جديداً . وحيثما تضع يدك أو أية حاسة من حواسك فسوف لا تجد إلا فكرة مكسوة بلباس رقيق أو سميك، فإن تجسدت المادة بعد هذا، ووهنت الفكرة المعنوية فإن هذا خداع لا تحفل به النظرة العميقة.

ليس في إمكان المادة الصمّاء أن تستمدّ الحياة من نفسها، وهي إن لم

تعوزها المقدرة على التحول المستمر، أعوزتها قوالب الوجود الضرورية التي لابد منها. كما أن الفكرة وميض لا يسعه أن يمشي على ساقين. وقد ترى اللمحة الفكرية العابرة غير ذلك، فإنها لا تغير من الحقيقة شيئاً. وصحيح أن تيار هذه اللمحة قوي حتى لقد أخذ الناس يعتقدون أن المذهب المادي وحده مثال تهدمت تحت بنيانه المشيد أمثلة أخرى عتيقة تحدرت إلينا.. حثالة تاريخية ليس فيها غناء. ولهم أن يستبيحوا إهدار معنوية الفضائل وأن يقرروا أوضاع الحياة تقريراً مادياً بحتاً وهم قد فعلوا هذا، ولكن أتراهم مطمئنين إلى ما انتهوا إليه ؟ أو ترى الحياة نفسها أتاحت لهم هذه الفرصة لكي يلغوا في تاريخها القصير مما أشادته هي، وأمدّه الزمن بعناصر القوة والاستدامة.

ما الفضائل التي قررتها المادة ؟

أنا معك في أنها أباحت الكثير من مجاهل الفكر، وجعلت اسلوب الحياة أكثر قابلية وإباحية وانطلاقاً، ولكنك لا تنكر ترسيخ الاعتبارات المتركزة في قرارة دمائنا. أنت إن جئت تتناول الفضائل العامة في تاريخها الطويل، ألفيت ان الخلاف في جزئياتها خلاف يساير هذا التاريخ، لذلك فليس هذا التنازع الذي تلوح آثاره اليوم إلا تمديداً لذلك الخلاف السابق، وإذا فليس من جديد فيه، وإلا فهل ينكر التاريخ أن بعض هذه الفضائل التي يخيل إليك أن النظرة المادية أحالتها رماداً متطايراً، قد كانت في سابق العهود والمراحل الفكرية موضع الشك في قيمتها فهم ونحن في ذلك سواء. وهذه نتيجة المقدمة التي تقول.. أن الفضائل أنانية متحجرة أرادت الشرائع السماوية والأرضية أن تهذب منها وأن تسخرها لصالح المجموع الانساني، وأخذ الأحياء يسايرون هذه الإرادة التشريعية، ولكنهم يعودون فيثورون في مختلف الأحيان إذا ما طغت أنانية الاجتماع على أنانية الفرد طغيانا قاسياً، وهذه الثورة لهيب اندلع ويندلع أبداً، فإن تراءى لنا اليوم أكثر اندلاعاً، فإن مايكون ذلك على دليل أن الفرد في عصرنا الحاضر، أكثر أنانية وأشد طغياناً من جدّه القديم، رغم هذه الظواهر الاجتماعية التي تبشر بوحدة الحياة الإنسانية. ويؤكد ذلك وجود الفروق الهائلة بين طبقات الأحياء في كل أمة تدين بالمذهب الروحي أو المادي أو بهما معاً.

تقول النظرة التجريدية.. أليس الزواج والعلاقة الأخرى سواء؟ ويعتنق هذه النظرة إباحيون أوحشتهم قيود النسل والوراثه الطبيعية، فباتوا يريدون أن تكون الدنيا كلها فوضى تحقق رغبة الفريزة الجنسية في أوسع حدودها وأعني حدّ الشهوة الحارة ! ولا نناقش هذه النظرية نقاشاً يستمد قوة مما يترتب على واقع الإباحية المفروض من تهدم الروح الاجتماعية والفردية معاً في المستقبل القريب والبعيد، وذلك ما تأباه إرادة الوجود بالتأكيد، ولكننا نحاول أن نهدم هذه النظرة بأن نجعل نتائجها تمس احساس أصحابها التجريديين لنرى كيف تنقلب هذه الإباحية جموداً متحجراً، لتكن لديهم أمهات أو أخوات أو ما إلى ذلك ممن تريطهم بهن أواصر النسب الأكيدة، وليتقدم إليهم إباحيون آخرون سوف لا يتوانون عن تطبيق خلقهم التجريدي في علاقتهم الجنسية بهذه الدمى الأنوثية، فهل يرضخ أولئك الذين لا يختلفون عن هؤلاء في التزام هذه الفلسفة التجريدية، لنتائجها التي سوف تجعل من حرمة دمهم حمًى مباحاً ؟ ستثور في نفوسهم دوافع الشعور الذي ركزته الفضائل القديمة البالية بتحرج هذه العلاقة، وتأبى عليهم الاطمئنان إليها، فإذا هي علاقة أثيمة جديرة بالعقاب بعد أن كانت علاقة عادية الاعتبار !. وهكذا يكون مقياس الفضيلة والرذيلة مقياساً أصيلاً، إذا أراد الفكر أن يتمرد ثائراً عليه فلتتصل به وبنفس من يحمله في رأسه من نتائج هذا التمرد، فتراه منكمشاً يكاد يخنقه الصمت. وهذا مثال لعله يمثل كرامة فضيلة واحدة أحسبها من أدق الفضائل وأقومها في توثيق عرى الأحياء. وكذلك تلوح أمثلتها الأخرى قابلة للمسخ والتجريد، مادامت بعيدة عن أنانية الفرد العابث بكرامتها.

وأنا، لقد كنت في عهد مضى أكاد أزري بكل هذه الاعتبارات التي اصطلح الناس على تسميتها فضائل ورذائل، وكنت متأثراً في ذلك بمنطق التجريد إلى حد بعيد، ولكنني عدت فرأيت أن واقعي النفسي غير هذا بالتأكيد، وأن الرذيلة التافهة في نظر التشريع الاجتماعي تثير في نفسي - إذا ما ارتكبتها - زوبعة إذا سألت العقل أن يلاشيها تثاءب وتمطّى. وليس ذلك لأنني فاضل، بل لأن التربية والوراثة والبيئة كل ذلك أوحى إليَّ هذا الإيحاء.

أعود بعد هذا فاسألك عن أثر العقل في «واقعنا الحيوي» هو هذا الأثر

الذي تجلجل آثاره مدوية صائحة؟ هو هذا الضباب الذي يقف في وجه الحس وقفة الجبان المنخوب؟

نعم لقد كانت خطى الإنسانية السائرة متأثرة بمجموع هذه القوى العقلية، ولكن هذه القوى نفسها أليست غرائز وأهواء وتراثاً وحاجات متحجرة؟ .

والفرد الواحد، أيبلغ لأثر العقل في حياته ما تبلغه اللمحة العصبية الثائرة أو الشهوة المعربدة ؟

إن من يمتنع عن الجريمة ـ على اعتبار أنها جريمة ـ إنما يمتنع عنها بفضل إيحاء وجدانه لا بفضل إيحاء عقله، هذا يقول للقاتل وهو في حالاته النفسية العادية.. ستُقتل إذا قَتَلت. حتى إذا أمسك المدية ووضعها في نحر فلان من الناس، انزوى في ركن مظلم من نفسه كأنما هو شامت يريد أن يقتص، فعقل القاتل لم يكفه أنه لم يصده عن القتل، بل لقد دفعه إليه بهذا الصمت والإغفال. وهكذا يساوي القاتل عقلاً هارباً، لا غريزة مجرمة، ما دامت هذه كما يظنها الناس مجنونة لا تثريب عليها.

يقول اناتول فرانس: «إن الغباء والخطأ لازمان للحياة لزوم الخبز والماء، ولكي يكون العقل مأمون الضرر يجب أن يكون نادراً، وهذا هو الواقع، وليس ذلك لأن كل شيء في العالم مقدر تقديراً لغرض صريح هو حفظ النوع، بل لأن الحياة لا يتهيأ لها أن توجد إلا في الظرف الملائم لها» ويقول: «الشعور مادة الحياة والعقل زيادة طارئة» ويقول.. «الانسان لا يعيش بالعقل لأن هذا لا ينظم وظائف الحياة، فهو شيء غريب عن الطبيعة».

وإذا كان فيما يقوله الشيخ اناتول شيء من التحامل المكشوف على العقل فإنه على ذلك لا يعدو أن يكون تقريراً صحيحاً لمذهب النفس الآدمية، ومذهب الحياة نفسها، على أن فشل العقل في فرض نفسه على أسلوب حياة الكائن الحي قد يكون معناه ـ في مفهومه العكسي ـ أن الحياة أحقر وأضعف شأناً من احتمال وجوده (القوي) فيها. وذاك يفضي إلى تقرير أن قيمة العقل لا تكافىء قيمة الحياة، فإن قدر لها أن تكون في المستقبل نمطاً رفيعاً، فان في الوسع إذ ذاك أن يقرر العقل مكانته اللاغية اليوم.. على أنني أحب أن أعرض لصلة

العقل بالمادة التي يخيل إليك أنها شامخة الرأس في هذا العصر، فإذا كنت تعتقد أنها مُدينة للعقل بهذه السطوة البارعة فأنا أعتقد أنها مدينة إلى ذلك بشيء آخر أقوى توجيهاً منه، وأعني الخيال والشعر، فلا شك أن نصيب الحقائق المادية المتماثلة، ليست في مصدرها أكثر من حلم مثالي تعوز العقل ملكته الإلهامية، ولذلك فان من الضروري أن يكون بين الأحياء نمط خيالي أقرب إلى الجنون منه إلى العقل. وهذه نقطة تتصل بنقطة المذهب الواقعي الذي تريده أن تدفعنا الحياة إليه. وأنت على ما أحسبك تعني بواقعية المذهب، النزول على نواميس الدنيا ممثلة في ظواهرها المكشوفة، وعندي أن ذلك لا يعني أن يكون المرء مادي النظرة، فليست الواقعية والمادية طريقاً واحداً، بل لعل بينهما من المسافات ما يعجزني الآن تحديده. إذ الواقعية أساسها القناعة والاكتفاء، أما المادية فقائمة على التجرد من اعتبار المعاني الروحية، بصرف النظر عما إذا كانت واقعية أو غير واقعية. وأنت في وسعك أن تقول عن ٩٠٪ من سكان هذه البلاد أنهم واقعيون فهل تقول عنهم لذلك أنهم «ماديون».!؟ إنما الواقعية عملية بحتة سماتها سهولة التناول وبساطة الأداء، فهي مذهب مطلق يسع كل الأحياء أن يتخذوه دون أي فارق بينهم على الإطلاق. ولست ممن يتحيزون للمثل الأفلاطونية، فأنا ـ كما لعلك تعرفني ـ أحيا حياة «واقعية» بعد أن لاحت لعيني هذه المفارقات الهائلة بين دنيا الواقع ودنيا الأحلام. ولذلك لا أنكر أن اتخاذ الخيال مطلباً تتعلق به النفس الحساسة أو البليدة يساوي وضع حجر عثرة في سبيل من يريد أن يعيش على هذا المنوال. وأولئك الذين ينزوون في ركن مظلم من أمثلتهم العليا، مهومين لاهين عما يلوب في دنيا الحقائق، من وجود يستفز ملكاتهم النفسية جميعاً ـ أولئك في نظري نطف آدمية لم تخلق بعد، وإنما تُخلق يوم أن تأخذ الدنيا كما يأخذ الرجل العادي أي ثوب يلقى عليه في الصحراء !

ولكن «الواقعية» لا تناقض الإحساس الخيالي بمطالب أخرى بعيدة عنها، فان هذه الأزمة نفسية وما أحسب أن في وسع أحد من الناس أن يجرد نفسه من التعلق الخيالي بأية رغبة مهما كانت جامحة. ولكنهم يختلفون في التشبث بهذه الرغبة، ولذلك فهم يكادون أن يُكوِّنوا ثلاث طبقات مختلفة.. طبقة

مسرفة في التخيل، فهي عاجزة عن الشعور السعيد بالواقع المكشوف وهذه هي الطبقة المريضة التي تنتحر انتحاراً بطيئاً، وطبقة مسرفة في هذه «الواقعية» البحتة هي نمط آلي لا يقدم وجود الحياة خطوة ولا يؤخرها أخرى، وطبقة تعيش بإحساسين، إحساس ينغمس كل الانغماس في خضم الحياة، وإحساس منطلق يفتش عن المثال الذي ينام تحت قدميه، فهي لذلك سعيدة باحساسين لا بإحساس واحد، وليس في وسع من يتخيل، أن يصد نفسه عن التخيل، لأن هذه ملكة لا تفنى، على أنها ليست ذات صبغة جنائية كما قررت ذلك عنها، فخليق بمن وهبه الله طاقة أخرى يطلّ منها على الحياة إطلالة إضافية بالنسبة لما يطل سائر الناس ـ وهو أحدهم بالتأكيد أن لا يرى في هذه الطاقة مصدر شقاء وجناية.

وأحسبك قد رأيت في «سانين» بطل «ابن الطبيعة» مثال الرجل الواقعي الذي يريد أن يعيش كيفما اتفق. أما أنا فأرى أن سانين لم ينته إلى هذه الواقعية الصريحة إلا بعد حلم وتخيل وفشل، فاندفع إلى الواقعية ينشدها العزاء. فهذا كما ترى أسلوب من القناعة قد انطوى على أسلوب من اللهفة الملتهبة والجشع الشديد.

والكاتب الغربي الفرنسي «اميل زولا» هو واحد من أولئك الذين جاءوا في أواخر القرن التاسع عشر، هذه الفترة تعني بدأة التاريخ الذي تأثرت فيه الآداب الأوروبية بالمذهب الواقعي. وأميل زولا كذلك بالفعل، إذ لم يعالج في قصصه ورواياته غير مجموعة من الحقائق الاجتماعية، حتى قال عنه غير واحد من النقاد إنه على عمق تحليله ودقة تصويره وقوة ملاحظته جاف لا حياة في آثاره تهز أوتار الحس. فهل يعني ذلك أن اميل زولا كان لا يحس بالدنيا احساساً شعرياً يقوم على الألم والتخيل والتهويم؟ لقد كانت روايته «نانا» رغم أنها تمثل حالة عادية في فرنسا المستهترة، هي حالة الجمال الذي يقهر أولاً، فيقهر ثانياً، ويجوع، ويظمأ، ويشحذ، و......، يموت في آخر الأمر ميتة عادية إلا أنها مؤسفة بالنسبة له. ورغم أنها عادية العرض والتصوير أقول لقد كانت تعبيراً خفياً عن الحس بأن واقع الحياة الفرنسية واقع سقيم، وتعبيراً عن اللهفة المكبوتة إلى قلب أوضاع هذا الواقع ومسخ صوره الداعرة.

وإلا فما شأنه وشأن هذه الراقصة المسكينة ما دام للواقع كل هذه القيمة أليس ذلك دليل أنها قد مست في نفسه وتراً آخر غير ذلك الذي تهزه أية صورة عابرة ؟. وقد كان في وسعه أن يقص قصة راقصة أخرى لا بد أنها انتهت إلى غير هذه النهاية، ومثل هذا كثير في فرنسا وغيرها. وهكذا أعود فأقرر أن واقعيتي التي أنا حريص عليها، يجب أن لا تصرفني عن استلهام ملكات التخيل، أو الحلم. وهكذا أحس أن لابد من أن أستجيب لنداء الحياة في أوضح لغاتها، ولابد أيضاً من التعلق بكل حلم يطوف في رأسي، فإن خانني التوفيق إلى إدراكه وقبوله واقعياً، فإن ذلك لا يدعوني إلى اليأس، وإن لم يفتني ذلك فإلى حلم آخر جديد !

وللفضائل وللمثل الأفلاطونية وما إليها سبيل آخر غير سبيل الواقع وضرورة مسايرته، وهما سبيلان لا يتعارضان أو يصطدمان أبداً.

الحس يا صديقي ثروة يجب أن لا نلفظها لأننا نعيش في بلد لا يحس. وإلا فهل كانت مادة القرش والجنيه مصدر سعادة أو التذاذ؟ قد تكون كذلك لدى لون من ألوان الناس هو ذلك الذي يسعد بالمادة لا بما بعد المادة. أما أنت وأنا فذلك لا يسعدنا إذا ما كبا في نفوسنا الحس بمجالي الفتنة المتدفقة. وقد أرادت الحياة أن يكون نصيب كل فرد من السعادة أو الشقاء وقفاً على نمط نفسيته فهذا يسعد بما يشقى به ذاك والعكس أيضاً، ومتى تقلدت أنا سلاح زيد الذي يقتنص به سعادته وحاولت أن أنبذ سلاحي الذي وهبته، عدت فاشلاً غير رابح وسوف لا ينفعني بعد ذلك السلاحُ المنبوذ بل لعله يكون مجلبة شقاء دائم، وذاك بعض نقمة الحياة.

فمن العبث بعد هذا أن نظن أن في مسايرة الواقع مسايرة آلية محضة، سعادة تطلق إحساسنا من سخافات الشعر والأفلاطونية. بل لعل ذلك يساوي انقاص مصدر سعادة أخرى هي سعادة التهويم الروحي الذي نركن إليه في دخيلة نفوسنا.

وليس حسنا هذا أو تشاؤمنا دليل أننا أرفع من الآخرين بل دليل أن الأحياء عدة ألوان كثيرة، نحن لون واحد منها، لا ضير على هذه الألوان أن

تمجد مكانتها، فإن ذلك لا اعتبار له في حساب الحياة نفسها.

وما يزال التشاؤم عندي دليل الحس المرهف، ولكنه مع ذلك لا يحول بيني وبين الواقع، وأنا إذ أكون واقعياً لا أنكر أني متشائم فما أحب أن أكذب على نفسي وأضحك عليها، وعندي أن مصافحة الواقع على هذا الاعتبار خير من مصافحته على اعتبار من يريد أن يلغي منطقه ليتقبل الدنيا وتتقبله. فإن هذا كمن يريد أن يقول لابد من أن أعيش في جحيم أو في غيره. وهذا كما ترى تشاؤم صريح ولكنه مكبوت، والكبت قد يسيء إلى شعورك بالحياة بعد أن تُعبَّ منها كأساً أو كأسين، وتَعمُّد إطلاق النفس على عواهنها خير بالتأكيد.

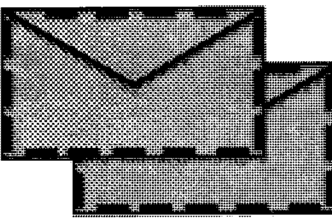
وسبيلي إلى الحياة بعد، هو أن «أعيش» وأن «أحلم» وأن «أسأم» فإن هذا كله عندي يساوى مجموعة سعادات يسوءني انتقاص حلقة واحدة من حلقاتها الوثيقة المتصلة.

وبعد فإن طالت هذه الرسالة فإن ذلك جناية رسالتك التي أثارت في نفسي حريقاً من الخواطر المتدفقة، وأنا على ذلك أشعر بأن مجال القول ممهود كلما امتد بي النظر، ولولا أننى على موعد في مساء يوم الجمعة الذي أكتب إليك فيه هذه الرسالة لخشيت أن تكون أطول نفساً. وإلى اللقاء في الطائف بعد أربعة أو خمسة أيام من تاريخ هذا..

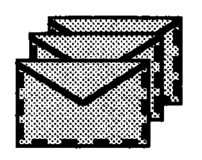
أخوك

محمد عمر توفيق

١٤ / ٧ / ١٣٧٤هـ



من رسائل محمد عمر توفيق إلى أبنائه



من رسائل محمد عمر توفيق -رحمه الله- إلى أبنائه

ففي رسالة بتاريخ ٣٠ / ١٠ / ١٣٨٢هـ

قال:

الله الله في دينكم وصلاتكم، فلا يغرنكم أن الناس فيهم كثيرون متهاونون في دينهم وصلاتهم.. فإن الحقيقة الوحيدة التي يجب أن لا يغرّنا أي غرور.. هي الله ..

والله الله في دراستكم.. فالامتحان قريب، والكفاح لا بد منه للنجاح، وتذكروا أن أمامكم مستقبلاً ينبغي التسلح له بالعلم والشهادات الحقة.. أرجوكم أن تهتموا بدراستكم وأن تذاكروا وأن لا تشغلوا أنفسكم في هذه الأيام إلا بالدراسة.. وهناك هدايا متفاوتة سأعدّها للناجحين على أساس تفاوتهم في النجاح الذي أرجو أن يحصل للجميع إن شاء الله.

والله الله في تعاونكم مع بعضكم وحبكم لبعضكم وللآخرين أيضاً، فإن الحب الصادق هو أساس النجاح.

والله الله في صحتكم ونظافتكم وفي أموركم كلها.

وفي رسالة بتاريخ ١٧ / ٤ / ١٣٨٤هـ

قال:

وأنت دائماً في القلب والبال منا جميعاً.. وعناية الله معك إن شاء الله..

ولا يمنعك عدم إجابتي أن تكتب إليَّ كلما اتسع وقتك.. وأن تكتب أسبوعياً بعنوان.. مذكرات طالب في أمريكا، مثلاً أو غيره للنشر فإنها مفيدة.. مادة ومعنى.. ثم لا أجد ما أضيفه إلا وصاياتي إياها.. الصلاة.. والقرآن.. والجد.. والمذاكرة.. وتقوى الله.. واليقظة لأمورك.. والتعامل مع الناس بلباقة وحذر.. والاعتدال بين الأمور وفي كل شيء.. والعناية بصحتك.. وجسمك ومظهرك .. ومخبرك.. واجعل علاقتك الحقيقية بالله في سرّك .. وقلبك.. تذكَّره دائماً يكن معك .. واحفظه يحفظك.

أحب أن ألاحظ أولاً ملاحظة قديمة أنساها دائماً على خطك.. إن قاعدته جيدة، وهو غير رديء، ولكنك تكتب أولاً بحبرغير واضح، ثم بحروف وكلمات وسطور صغيرة متحاشرة.. فحاول أن تصلح خطك من الآن قبل أن تدرج عليه، والخط المقروء الفصيح زينة الكلام والفكر.. بالأخص القانوني! ثم لقد كان خطي رديئاً عندما كنت في المدرسة وبعدها.. غير أنني حاولت أن أجعله واضحاً حتى كان كما تراه.

وفي رسالة بتاريخ ١٤ / ٨ / ١٣٨٤هـ

قال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أرجو أن تكون بخير وصحة طيبة، ومواظبة على حقوق الله.. كما أرجو أن تحاول شَدَّ وحَبْكَ شخصيتك، فإنك ما زلت كما لاحظت من صوتك في التلفون ـ فيما يشبه الاسترخاء، والمطلوب كما أظن هو توازن الشخصية، سواء في الحديث أو في التصرفات، والواقع أن الحديث ـ أي الكلام ـ هو عنوان الإنسان، وربما مفتاحه أيضاً.. وطريقة الكلام، ومخارج الألفاظ، واستبعادالخجل، ومحاولة التأثير باعتدال ـ كل هذا وما إليه ضروري أن يتعود عليه الإنسان من بداية شبابه، لتكوين شخصيته المناسبة في الوقت المناسب.

وفي رسالة بتاريخ ١٣ / ٧ / ١٣٨٥هـ

قال:

إن ما كتبته لك ناصحاً ومنبهاً كان موجزاً، وما كان قصدي أن تعترف ولو لم تكن قد فعلت.. ولكن كان وما زال هو أن الإنسان عرضة للخطأ والصواب.. فإذا ارتكب الأول فإن مما يدل على شعوره بالخطأ هو أن يعترف ولا ينكر، وأن يحاول تفادي الخطأ مرة أخرى.. فلو قدر أنك فعلت شيئاً مما أحب أن لا تفعل، فإن مما يسعدني أن تعترف به. ثم ترادف الاعتراف بالتوبة.. هذا قصدي وأملي دائماً..

وأرجو أن لا يغريك بالخطأ أن أباك قد وقع فيه من قبل، بالعكس.. ان هذا ينبغي أن يكون إغراء لك بأن لا تفعل إلا التجربة التي لم يخطىء فيها أبوك..

إنني ـ كما قلت مراراً وتكراراً ـ أحب أن يقيكم الله شرّ ما وقعت فيه من عثرات .. وأرجو أن تساعدوني على ذلك بالقبول والامتثال.

وأنا أعرف أنك في جو كالذي تعيش فيه حر من القيود، عرضة للأخطاء بصفة مستمرة.

وفي رسالة بتاريخ ١ / ٧ / ١٣٨٩هـ

قال:

الشيء الآخر نصيحة أحب أن تعيش فيها أنت وإخوتك ما حييتم وأنتم في مقتبل العمر.. وهي أولاً: أن تحتقر كل من ينقل إليك خبراً عن آخرين فيه معنى السوء.. مؤمناً بأنه سينقل عنك أيضاً.. وبأن سلوك النقل من أحطّ أنواع السلوك.. حاولوا أن لا تمارسوه ما استطعتم.. وأن تجانبوا أهل النقل ما استطعتم، فإنهم وباء فظيع.. وثانياً: أن لا تصدق ما ينقل إليك لدرجة الانفعال به كما حدث في مشاعرك بعد ما نقل إليك..

حاول أن تكون منطقياً عندما ينقل إليك أي كلام فارغ كالذي نقل إليك. بحيث تسأل نفسك عن مدى المنطق في مثل هذا الكلام.؟

وفي رسالة بتاريخ ٢٢ / ٨ / ١٣٨٩هـ

قال:

وما أزال أوصيكم بالله.. إيماناً به، واتقاء له، واعتماداً عليه، وبشعائره فانها رمز العلاقة التي ينبغي أن تكون بيننا وبين الله.. فلا يجوز التحلل منها أو التساهل فيها اعتماداً على الإيمان وحده كما يزين الشيطان لبعض المتحذلقين..

ثم بالدراسة.. وإنها الهدف بالنجاح الذي يؤتي ثماره إن شاء الله.

وفي رسالة بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٣٩٠هـ

قال:

ونرجو الله لنا ولكم جميعاً بمناسبة رمضان وعيد الفطر حسن القبول ودوام الستر والنعمة، وصون اللسان والجوارح إلا في طاعته، وأن لا يكلنا وإياكم جميعاً إلى سواه، وأن يأخذ بيدكم ويعيننا وإياكم على ما فيه خير الدنيا والآخرة.. وأن يحفظنا وإياكم من طوارىء الليل والنهار، وأن لا يخيب الاجتهاد في سبيل النجاح الذي يحبه ويرضاه.. وأن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين العابدين المقبولين على ما يحبه ويرضاه.

إنني اعتمد على الله فيكم وفي كل أموري على القرب وعلى البعد، فما يهمني أن تتأخر رسائلكم، كما يهمني أن لا تتأخر صحتكم، أو ديانتكم، أو مساعيكم للنجاح الذي هو الهدف لكفاح طويل كالذي أنتم فيه، أو كالذي ينبغي أن تكونوا فيه.. كما ينبغي أن يستهدف الأعلى.. والأحسن..

أما مضايقتي أو الإثقال علي كما (تتصوروا) فإن ذلك في غير محله إطلاقاً.. ولا يحملن أحدكم تدقيقي في الحساب معه على الظن بأنني مستثقل أو متضايق.. وإنما هو نفس الحساب الذي أحاوله مع نفسي ومع من هنا.. وأفشل في الأغلب.. إن القاعدة في نظري - وليتها تكون في عملي - هي كما قال الله «وآتِ ذا القربى حقَّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً» هي الوسط بين اللؤم والتبذير.. لا بخل.. ولا إسراف، الاعتدال الذي يوازن به الانسان أمور نفسه جهد المستطاع في حدود دخل معين.. وهذا ما أردت وأريد أن أحملكم عليه دائماً.. ولهذا يبدو أنه ليس هناك محل للشعور بالمضايقة أو الاستثقال.. وما ينبغي ذلك لأنه حق علي في حدود استطاعتي أن أسد حاجتكم حتى تقفوا على أقدامكم وقفة الرجال الناجحين إن شاء الله.. ولذلك فما يضيرني ولا يضايقني اطلاقاً أن تزيد مدة دراستكم أو دراسة بعضكم مدة أطول إذا كان هذا يفيدكم مستقبلاً.

المهم أن تتوازنوا في أمور حياتكم ومصرفكم ، وأن تلتمسوا دائماً الطريق الأفضل، والسلوك الأحسن مع الله أولاً ، وأنفسكم ومن تعايشونهم.. ولتكن علاقاتكم بالآخرين في خط الحيطة وتفادي الأعماق.. مع ما يمكن المسايرة على ما يفسد ويسوء به القول أو العمل.. والله معنا ومعكم ويتولانا وإياكم بما يحبه ويرضاه.. اذكروه يذكركم.. واشكروه على نعمه يزدكم، وأدواحقوقه ولا تنسوه في سرائركم يكن معنا ومعكم..

وفي رسالة بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩١هـ

قال: أبنائي الأعزاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أرجو أن تكونوا بخير وصحة طيبة،

ولقد تلقيت الرسائل الواردة من البعض منكم.. وقد اطلع وزير المعارف بالمصادفة على الرسالة التي جاءت مع فاروق من أحدكم، وفيها ما فيها من مشاعره عن الدراسة، وأمريكا، والهدف المادي المستهدف من الدراسة.. إلى آخر الدردشة التي فيها.. وكتب في الحال الكلمة المرفقة التي فضلت إرسالها

لكم ـ وللابن خاصة ـ ولا أجد ما أضيفه إليها في الإجابة إلا كلاماً موجزاً معناه أن المادة هي الهدف الرئيسي لأغلبية الأحياء، غير أن الأقلية منهم هم الذين لا يتخذونها هدفاً.. بل طريقاً إلى الهدف.. الهدف الحق هو أن نحيا كراماً ونموت كراماً، ونبعث كراماً.. والعلم لابد منه حينئذ، لأنه يوجد الكيان، ويصحح السلوك، ويوجه إلى كسب المادة على نحو فاضل مشروع مع الكرامة، ولهذا تدرسون الآن، ولهذا درسنا من قبل.. وإذا كنا سنتساءل: لماذا ندرس؟ ولماذا نتعلم.. ونجيب بأن ذلك بغرض المادة، وإذن فلا لزوم للدراسة أو للتعليم.. فإن هذا يجرنا إلى التساؤل أيضاً: لماذا نعيش على المستوى المناسب؟ لماذا لا نعيش كيفما أتفق؟. ولا يخفاكم أنه من منطلق كهذا وُجد البوهيميون .. والمنحرفون.. والهيبزيون.. إلى آخر الجماعات التي لم تحسن الجواب على مثل هذا التساؤل..

وما أود أن أطيل.. ولكنني اختصر كلامي، بأنني أحاول وأحب أن تحاولوا دائماً أن تكونوا رجالاً ما استطعت واستطعتم، وأن لا تصدكم الأمزجة العارضة عن أغراضكم الصحيحة، وواضح أن الحياة لا تخلو من المتاعب والصعوبات في كل مكان، وأن مزاج الانسان هو الذي يكيّف سلوكه فيها.. فحاولوا أن يكون معتدلاً غير حاد التشاؤم أو التفاؤل.. أما الدراسة وتغييرها بين كل يوم وآخر، فشيء لا أراه، ولم أره من قبل، ولكنني أعلم أن كلا مُيسر لما خلق له.. فلا يسعني غير أن أبدي الرأي والرغبة، وأترككم بعد هذا لخيرة الله فيكم، وأرجو أن تكون طيبة النتائج إن شاء الله.. وأسأل الله أن يقدّر ما فيه الخير للجميع.. وأداء صلواتكم والاهتمام بما أنتم فيه إلى حد النجاح.

كلمة وزير المعارف:

إن الحالة النفسية التي يمر بها الابن ليست غريبة فقد مرّ بها كثيرون غيره نتيجة للصراع النفسي بين المثل والمبادىء التي يحياها طلابنا هنا ـ وبين الواقع القاسي الذي تحياه الشعوب الأخرى التي جعلت المادة هدفاً لها وأضاعت في سبيل ذلك أغلى ما تملكه.. هي الصحة وراحة البال والروابط

العائلية التي تجعل للحياة معنى رائعاً.. وأرى «إذا أستحسنتم» أن تجيبوه بأن الدراسة الجامعية ليست لطلب النقود كما يظن ولكنها خطوة في طريق طويل اسمه (العلم). وهو يتخذ في كل زمان ومكان مظهراً يختلف عما سبقه.. إن الدراسة الجامعية هي بداية مرحلة التخصص العلمي الذي لابد منه لبناء الشخص المثقف، والدراسات الخاصة مطلوبة ومرغوب فيها لكنها لا يمكن أن تكون بديلاً عن الدراسات النظامية وخاصة في هذا العصر الذي يؤمن بالتخصص والذي توفرت فيه وسائل العلم، وأن عليه أن ينتهل من مناهل العلم حتى إذا عاد لوطنه كان قادراً على أداء واجبه في بنائه.

ومعذرة (فلا يهدى التمر إلى أهل هجر).

حسن آل الشيخ

وفي رسالة بتاريخ ٤ / ٥ / ١٣٩١هـ

قال:

وأسأل الله لكم النجاح جميعا، وأن يأخذ بيدنا وإياكم في الدارين وأن يوفقنا وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه.. ومن ذلك أو في مقدمته الصلاة، فانني جدني مضطراً، بعد الذي فهمته من أحدكم عن تقصيره فيها، وربما أن حالكم فيها واحد.. إلى ترديد ما سبق أن ذكرته لكم مراراً وتكراراً عن الصلاة، وضرورة المحافظة عليها قضاء آخر النهار وقبل النوم إن فاتت أداء.. ولا يُعفى منها شيء أبداً.. وأعرف جيداً أن الجيل الناشئ الآن بل ومن قبله - بعضه وليس كله بالطبع - يتندَّر ويتفكّه بالصلاة.. كما لو كانت عملاً غير مفهوم، أو عملاً تقليدياً لا يتفق مع متطلبات حياة العصر وأجوائها الطليقة.. إلى غير ذلك من الأفكار المزركشة التي يزينها الضلال، نسأل الله السلامة لنا ولكم منه.. بينما الحق غير هذا.. الحق أن الانسان - وهو المخلوق الوحيد المسئول على وجه الأرض - ينبغي أن يعرف جيداً أن الإيمان بخالقه هو طريق النجاة..

وأن هذا الإيمان يعني وجود العلاقة الدائمة به قلبياً وسلوكياً إلى حد كبير يزيد ولا ينقص.. وواضح أن وجود هذه العلاقة هو الركيزة التي يستطيع أن يعتمد عليها الانسان في هذه الحياة، بحيث يعرف أنه هو المؤثر وهو الفعال المهيمن على حركة هذا الكون والخلق جملة وتفصيلاً، فلا يخشى حينئذ إلا إياه ولا يرجو إلا إياه.. وهذا لا ينفي ضرورة التماس الأسباب والعلاقات الأخرى بالناس والحياة.. إنما على أساس أن العلاقة بالله حاصلة وعلى نحو يمنع التلاشي في العلاقات الأخرى إلى حد القلق والضعف والانهيار..

إن الإيمان بالله يعنى استدامة العلاقة به والاطمئنان إليه، والاعتماد عليه. ولهذا ولأن الإنسان قد ينسى في غمرة الحياة هذه الحقيقة، حيث تذهله الحوادث عنها، فلا يكاد يبصر إلا ما حوله ـ قدّر الله له فترات معينة كالمحطات في يومه وليله.. ليقف فيها بين يديه، ويناجيه بالدعاء والصلاة.. وبهذا لا ينسى.. خاصة إذا طابق سلوكه صلاته..

إنني بهذا أقصد إلى إزالة أي مفهوم غامض عن الصلاة، قد يضل لحساب غموضه الانسان من حيث لا يشعر..

وبودي أن أطيل أكثر من هذا في الكلام معك، وقد غبت عنا في هذا العام وإن كنت لم تغب عن القلوب، وهذا هو اللقاء الحقيقي، أي في القلوب، والتجاوب.. على القرب والبعد.. إن الأيام ثياب كالتي نلبسها على الأجسام.. ولكنها سميكة بعض الشيء.. غير أنها لا تحجب القلوب عن بعضها إذا كان التجاوب بينها حاصلاً، وإلا فلن ينفع لقاء الأجسام حتى إلى درجة الاندماج..

وفي رسالة بتاريخ ٢٠ / ٦ / ١٣٩١هـ

قال:

قد أخذت رسالتك من وقت غير قصير.. ولكنني كما تعلم مشغول، وأسأل الله سبحانه أن يحسن المخرج من الأمور كلها على ما يحبه ويرضاه..

إن في رسالتك شحنة انفعالات تجاهي وتجاه متاعبي أشكرك عليها وإن

كنت في الوقت نفسه ما أحب أن تعني نفسك الآن إلا بالنجاح الذي أرجوه لك ولإخوتك جميعاً إن شاء الله.. ومهما يكن من أمر متاعبي فانني أحمد الله على نعمة القرآن الذي كان وسيظل عضدي في مواجهتها.. وأرجو أن يشملكم الله بنفحة من نفحاته.. لنكون جميعاً من أهله..

مرة أخرى ومراراً وتكراراً أوصيكم بالصلاة.. وسيزعجني أي تهاون منكم فيها أو في صوم رمضان.. فليس هناك أي عذر لكم يبرر التهاون في أية مسألة من مسائل الدين والعبادة.. والتقوى..

وفي رسالة بتاريخ ٧ / ١٢ / ١٣٩١هـ

قال:

أما بخصوص الاسئلة الحائرة التي أظن أنها تدور في رؤوس معظم الناس أو كلهم بما فيهم أنا ـ لا أستطيع أن أجيب عليها بالتفصيل الكافي الذي أحبه الآن، ولها من الأهمية في نفسي ومن قبل رسائلكم ما فكرت وأفكر بسببه في إعداد بحث مطول حولها وربما في كتاب أو سلسلة رسائل أو مقالات. وإلى أن يحدث ذلك، لأنه يحتاج إلى وقت وتفرغ، أحب أن أقول كلمة موجزة وهي أن مستوى العقل الإنساني مهما ارتفع وتعبقر (من العبقرية) فانه سيظل إلى الأبد عاجزاً عن فهم الكثير جداً مما قد يفكر فيه أو يتساءل عنه. وعلى سبيل المثال نفس الأسئلة هذه التي تعيش في داخل كل منكم وكل انسان، ضمن هذا الكيان المعروف المؤلف من اللحم والدم والأعصاب ومن مجموعة أعضاء وعضلات، وغدد، وغيرها مما قد يكون معروفاً من الناحية العلمية على نحو مادي واضح. ولكن الذي كان وما زال وسيظل غير معروف علمياً هو هذا التيار الذي يعيش ضمن هذا الكيان، ويؤلف فيه هذه الوحدة العجيبة في صمتها وفي كلامها، وفي سكونها وحركتها وفي تصرفاتها المتناقضة أحياناً..

كيف تدور الأفكار في ذهن الإنسان؟ وكيف تنتقل إلى حركات، أو إلى

أحرف كهذه الأحرف التي أخطها الآن؟ وكيف تتذكر ما نسيت، وكيف تنسى؟ وكيف تنام وتصحو؟ وكيف تشعر بالحاجة إلى الطعام ؟ أو إلى غيره من مستلزمات الكيان.؟ هذه الأجزاء الصامتة في داخل الكيان من الرأس ومحتوياته إلى القلب؟ إلى الدورة الدموية كلها ـ عبارة عن محتويات مادية محضة. فما هو السر الكامن فيها الذي يعطي كل هذه الحياة ؟ لا أحد يستطيع أن يجيب ومع هذا لا يستطيع أحد أن ينكر أنه حيّ وأنه يعيش بهذا السر إنساناً سوي الخلق والخلقه.. يؤدي دوراً معيناً في الحياة.. ومن هنا يبدو أن التساؤل عما لا يستطيع أن يعلمه الانسان ضرب من العبث، وأنه ليس من الضروري لكي يؤمن الانسان بشيء ما، أن يعلم التفاصيل، وإلا تعذر علينا جميعاً الإيمان بملايين النجوم والكواكب التي تحيط بنا على مسافة ملايين السنين.. لأننا لا نعرف تفاصيلها.. ولا نعرف أكثر من أحجامها الصغيرة التي تلمع على البعد ليلاً فحسب.. وهكذا يلوح أن الطريق السوي هو طريق التسليم، وطرح التساؤلات غير المجدية مع الايمان بالواقع وبعبودية الانسان فيه كعبودية المخلوقات الأخرى للقدرة الكبيرة التي أوجدت هذا الخلق كله، على نحو لا يستطيع الانسان أن يدركه بحال من الأحوال، لأنه فوق إمكانيات مقوماته.. تماماً وعلى سبيل المثال كالعقل الإلكتروني الذي يؤدي وظيفته في حدود البرامج الموجهة التي غذي بها. إنه لا يستطيع أن يؤدي وظيفة أخرى خارج هذه الحدود.. العقل المبرمج حسابياً لا يستطيع أن يؤدي وظيفة في الهندسة.. والمبرمج هندسياً لا يستطيع أن يؤدي وظيفة في حقل آخر، ولا يخطر ببال أي عقل الكتروني قط أن يتساءل أية تساؤلات من طراز تساؤلات إنسان، فالمفروض أن يعيش العقل الإنساني على هذا النحو من الشعور بالمحدودية، وبأنه مسخر لمهمات معينة لا ينبغي أن يشغله عنها التساؤل.. ولا ينبغي أن يستغرقه الأداء بكل المهمات مع الشعور بالسعادة في هذه الأثناء، لأنه في دور عبودية مفروضة على الخلق كله، لا يمكن التمرد عليها بحال من الأحوال.. إلا نظرياً من الذين تشطح بهم الاسئلة إلى حيث يتصورون بعدها أن تعذر الفهم والإجابة عليها لا يعني التحرر من العبودية.. ومن الإيمان.. بينما هم ضمن الخلق التافه كله في قبضة القدرة المهيمنة التي أحكمت كل شيء..

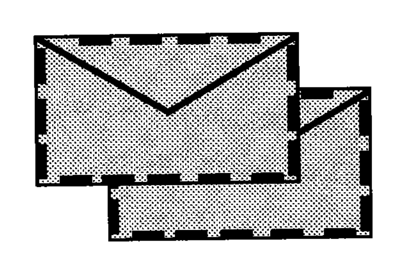
والكلام في هذا يطول.. وكما قلت أرجو أن أوفق يوماً ما إلى كتابة ما أحب أن أكتبه باسهاب.. والقاعدة باختصار هي أن تؤمن، وأن تعمل.. وأن يمضي كل في طريقه مع الشعور بالعبودية التامة لخالق هذا الكون.. وطرح كل ما يجري به الشيطان في ذهن كل منا من أسئلة وحيرة، لأنها مضيعة للوقت.. لا أكثر ولا أقل.. أسأل الله لي ولكم الإيمان والمزيد من الإيمان دائماً ومن شعائره ومقوماته.. وأن يجنبنا وإياكم شرّ الضلال والغوايات..

وفي رسالة بتاريخ ٣٠ / ١٢ / ١٣٩١هـ

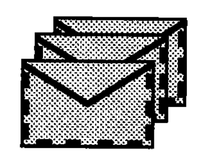
قال:

وقد وصلتني رسائلكم ولم أجب عليها، لأن فيها ما يستدعي التفرغ لإجابة مطولة تعالج ما في نفوسكم أو بعضه.. ولم يتسع وقتي لمثل هذه الإجابة، ولكنني سأفعل يوماً ما إن شاء الله.. وإلى أن يكون ذلك، أوصيكم باختصار، أن تضعوا الله في قلوبكم كجواب موجز ومطول على أية حيرة أو أفكار أو تساؤلات تدور في أنفسكم وإذا صح ذلك منكم باخلاص وعزم فسينقطع ما يشوش عليكم وتعودوا إلى الطمأنينة.. هذه نصيحة مجملة والتفاصيل فيما بعد..





من ذريته بقلم واحد



وآخر الكتابات.. منك.. إليك
(خطاب من ذريته بقلم واحد)

دقّات قلب المرء قائلة له ... إن الحياةَ دقائقُ وثواني
فارفعْ لنفسكَ قبل موتكَ ذكرَها ... فالذكرُ للانسانَ عمر ثان

رسائل الأبناء غير المكتوبة إلى والديهم لا تنقطع ولا تنتهي لأنها دعاؤهم المستمر لهم، وعملهم بنصحهم وبسننهم..

أما الرسائل المكتوبة.. فما دامت بقلم الأدنى فسيعجز حتماً ويتوقف لولا دافع الحب.. فاسمح لي يا أبتِ..

فان كانت الأجسام منا تباعدت ... فإن المدى بين القلوب قريب

أبتاه.. كم كررت في كتاباتك وأحاديثك ذكر الموت الذي هو بوابة الحياة الأزلية الحقَّه، وكيف لا تفعل ولسانك كان رطباً بترديد الدستور السماوي الموصل لتلك الحياة السعيدة التي نقول بأنها «وجبت» لك..

اللهم آمين..

أبتاه.. قلت عني يوماً ـ وقد صرتُ يافعاً ـ «إذا كبر ولدك خاويه».. فقد أحببت دائماً ألا يكون بيننا ـ جميعاً ـ إلا التفاهم والود.. بدواعيه التي تعلمناها منك وهي التعقل والانضباط ومراقبة الله..

نهرتني عن الخطأ، وعاتبتني على الكسل وعنفتني إن أهملت، ولكن الحب الذي تعيشه في داخلك يرتفع دعاء لي في خلواتك وصلواتك، والحب الذي

يملؤك يفيض قراءات بيدك الحانية على رأسي..

كنت تضنُّ أن يكون غضبك سبباً لغضب الله علي فتتعثر حياتي.. فكان الحب يملي عليك أن تتركني ـ مهما أخطأت أنا وتجاوزت حدودي ـ حتى إذا ما حاسبت نفسي يوماً ما وتبت إلى الله لم أجد بابه مغلقاً.. وكان صفحُك عني سبباً وكتراً باقياً ومستمراً حتى ألقاك..

أبتاه.. لم يعرف البعيد ـ وهو أكثر الناس ـ في انفعالاتك وغضباتك ما عرفه المقربون القليلون إنها لم تكن فظاظة وإنما أصداء قوية لصوت الحب فيك عند موقف فيه ابتعاد الناس عن دواعي المحبة. لم يتحرك غضبك إلا إذا افتقدت معاني الحب في تصرفات الناس، وما كان وراء ظاهرك الصلب الآسر إلا باطناً ليناً متحسساً للود والتراضي، وللتغاضي، عن تفاهات الدنيا وصغائر الأمور.. وكانت كلمات عتابك مهما اشتدت في ظاهرها تكاد تذوب وتشف عن المعاناة الشديدة في داخلك، من أن يلتفت الخلق لغير الخالق ويحوج الانسان نفسه لمثيله، ومن أننا ننسى الحب الذي يغلب كل أسباب العتاب، وفيه لكل سؤال جواب..

أبتاه.. جبت الآفاق مأخوذاً بكل ما ذلل الله بها للانسان وما بث من أسرار الجمال واللطف والروعة والقوى والأسباب العجيبة الهائلة في الطبيعة وفي المخلوقات، ولطالما رددت اعجابك بكل ذلك، ولطالما رددت أسفك إن أحسن استغلالها الانسان بعقله في جهات من الأرض دون أخرى.. ولطالما تحسرت حيثما وجدت عوائق الحقد والحسد والأنانية والجهالة وتمنيت الابتعاد.. فمثلك لا تأنس بصيرته إلا بمصادر النور..

أبتاه.. مجد الدنيا الذي يسعى ويتسابق إليه الناس بأيديهم وبأرجلهم وبكل قواهم وجوارحهم سعى إليك سعياً، فاجتهدت أن توليه ظهرك، فالقرآن رفيق النشأة ـ وأي رفيق ـ كان هو شغلك وصمتك وسعيك، كما علمك إياه ولقنك أبوك رحمه الله وجزاه عنا جميعاً بما هو أهل له..

ذلك الضعيف الذي خدم مدرستك التي حفظت القرآن فيها طفلاً، قابلته

يوماً وأنت في قمة من ذلك المجد الدنيوي، فلمحتك كيف أذاب الحب برقته فيك كل اعتبار آخر يضعه الناس أمام أعينهم، وإذا بك تُلبس ذلك المعدم عباءتك - الثمينة - ثم تنطلق فرحاً مبتسماً لفرحته ولابتسامته، في لحظة صفوت فيها مع الحب الذي تنشده، حتى أنساك الذين لبست لمقابلتهم تلك العباءة !!.. أو لم يكن مما في قلبك «وما عند الله خير وأبقى» ؟.. بلى ..

أبتاه .. كنت أظن أن ليس بينكما مقدار ذرة خلاف مما يطفح - كريهاً - في علاقة كثيرين غيركما، ولكن الاحترام الذي يفرضه الحب والمودة الحقيقيان هو الذي كنتما تسموان به في التعامل عن بقية الناس.. ولم أسمع من أحدكما عن الآخر - مهما جرى - إلا الثناء والذكر الحسن..

صلابتك وقوتك أمام الحياة كلها لم تقو أمام الحب الذي فاض تأثراً وحزناً ودموعاً أكثر من مرة عندما حالت الخطوب بينك وبين شريكة حياتك.. وأي أم عظيمة كانت وراء رجل عظيم.. بذل من عقله ونفسه وماله ما لا يمكن ذكره.. وبذلت معه الكثير..

لك من كل ذرة في ذريتك عاطر السلام والدعاء في كل فعل وسكنة وقول حسن علمتهموه، ولك الذكر الحسن العالي بكل ما أسديته في حياتك - مخلصاً صابراً - للناس جماعات وفرادى، مما ظهر أو خفي.. وما خفي كان أعظم ولله الحمد والمنة..

وهذا الكتاب.. آخر انتاج مكتوب لك اجتهدتُ أنا في اخراجه بتردد المقصر، لولا أنني أتشرف بأن أقدمه أمنية من أمانيك وأتشوق أن أرسله عملاً متصلاً لك في الدنيا لعلي أضع به قبلة وفاء واحدة على أياديك الكثيرة في حياتي..

لا أختم قولي بأفضل من شهادة أعلنها لمن لم يعرفك: إن فيك أكثر من خصلة من خصال الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله والتي منها النشأة في طاعة الله وقولة الحق.. فلا نامت أعين الجبناء.. وما أكثرهم..

ولقد تركت فراغاً في غير مكان.. هيهات هيهات أن يجرؤ على ملء مثله

إلا مؤمن قوي..

قد ماتَ قومٌ وما ماتت مكارمهُم ... وعاش قومٌ وهم في الناس أموات

اللهم اجعلني فاروقاً في الحق وارزقني الفوز بعفوك ونقاء الفؤاد، وأسألك الفضل والتوفيق في الدارين واللقاء بيننا في الفردوس، وهب لنا ذرية فائزة بحسن ذكرك وعبادتك واجعلنا وإياهم فرساناً يتسابقون في سبيلك إلى الربيع الدائم في جنة الخلد.

اللهم رحماك للوالد وما ولد.. اللهم آمين..



الفهرس



دار المرسى للنشر والتوزيع والدعاية والاعلان

جدة - المملكة العربية السعودية

تليفون : ٦٦٥٧٤٥٥ - فاكس : ٦٦٥٧٦٠٥

ص . ب : ٣٩٨٩ جدة ٢١٤٨١

